

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رسالة الثقلين

مجلة لثلاثية جامعة

العدد الرابع والثلاثون • السنة التاسعة • ربيع الثاني - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

* الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص . ب : (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هواتف : ٧٤٠٢٩٤ - ٣ ، ٧٤٠٧٧١ فاكس : ٧٢٥١٧٩

* موقعنا على الانترنت :

<http://www.iran-itf.com/risalatuththaqalayn.html>

مجلد اسلامية بامعة

● نعتى باحياء المعارف
الاسلامية من منبع
الثقلين والدفاع عن حريم
القرآن الكريم والسنة
الشريفة للرسول
الأمين ﷺ واهل بيته
الطيبين الطاهرين ﷺ .

● تستقبل نتائج
العلماء والمفكرين
والكتاب الاسلاميين التي
تصب في رسالة الثقلين
لتكريس وحدة الامة
الاسلامية وتثبيت
شوكتها في أرجاء
العالم .

● الآراء الواردة فيما
يُنشر لا تعتبر بالضرورة
عن رأي المجمع أو
المجلة .

● تسلسل الموضوعات
يخضع لاعتبارات فنية .

● يُرجى ممن يرفد المجلة
بمنتجاته الاحتفاظ
بصورة منها، فإنها
لا تُعاد نُشرت أم لم
تُنشر .

□ كلمة التمرير

● العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس

..... بقلم رئيس التحرير ٤

□ من أحاق الضيافة الإسلامية

● ذكرى ولادة الكوثر

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) ١٤

□ دراسات

● مواصفات المرجعية الدينية الفاعلة

..... السيد محمد باقر الحكيم ٣٠

● خديجة الكبرى مثل أعلى للمرأة المسلمة (٢)

..... عز الدين سليم (العراق) ٦٦

● دور العصبية في اضعاف الكيان الاسلامي

«عصر صدر الاسلام نموذجاً» (٢) الشيخ عبدالكريم آل نجف ٩٠

□ من ضعة مدرسة أهل البيت (ع)

● بطاقة الائتمان غير المغطاة

..... الشيخ محمد علي التسخيري والشيخ علي عندليب ١٠٩

□ من تاريخ أهل البيت (ع)

● الامام علي (ع) والمعارضة السياسية (١)

..... صلاح عبد الرزاق (هولندا) ١١٦

□ فرق ضالة

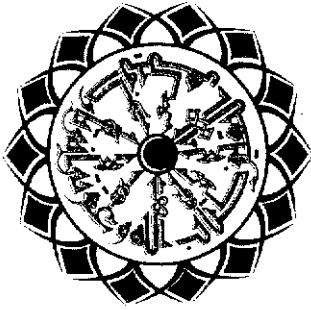
● البهائية

..... عبد الكريم رؤوف ١٤٦

□ من اعلام مدرسة أهل البيت (ع)

● عثمان بن سعيد العمري «السفير الأول»

..... حسين الشاكري ١٨٤



الجميع العالم الإسلامي

المشروع :

الشيخ

محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

رئيس التحرير :

الشيخ

فؤاد بن عبد الله بن عبد الوهاب

○ العدد الرابع والثلاثون

○ السنة التاسعة

○ ربيع الثاني - جمادى الآخرة

١٤٢٩ هـ ق / ٢٠٠٠ م

○ المطبعة ، لبنان

□ رأي

* الكتمان والسرية في الاسلام

١٩٧ مهدي عبد المهدي

□ أدب في إهاب الثقلين

* قصيدة : الله السيد محمد جمال الهاشمي ٢١٠

* قصيدة : مراكب الذكر ابراهيم محمد جواد (سوريا) ٢١٢

□ من غرر مقام أهل البيت (ع)

* المحسن الشيخ عبد اللطيف الأسدي ٢١٧

□ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

* روايات عمار بن ياسر

٢٢٨ الشيخ جعفر الغريب

□ من أنباء العراق

* الجمهورية الإسلامية في إيران :

٢٣٦ طهران والقدس مدينتان تنبضان بقلب واحد

* فلسطين : القضية الفلسطينية .. تسوية أم تسويق ؟ ٢٣٩

* العراق : الشعب يكتوي بأكثر من نار ٢٤٢

* الشيشان : خطيئة الروس .. إلى متى ؟ ٢٤٥

* ملهى هامش أوضاع السوق النفطية :

٢٤٧ آمال مفقودة وآلام معقودة

* أميركا : الانتخابات الأميركية .. نظام الحزبين ، بين الحرية المزعومة

٢٥١ والديمقراطية المتخلفة

* الأمم المتحدة : الألفية .. افكار بعد القمة ٢٥٦

..... اعداد : عباس الأسدي

□ مع قرآن الثقلين

* رسائل وتقويمات

٢٦٠ اعداد : قسم العلاقات

العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس

✽ بقلم رئيس التحرير

ان كل حركة واعية في الواقع الانساني ، وهي تسير باتجاه الكمال ، لابد لها من أن تتوفر فيها شروط ومواصفات جوهرية هي السر في نجاحها واستمرار سيرها نحو الكمال المنشود ، وهذه الشروط والمواصفات كما تصدق على حركة الأمم والمجتمعات كذلك تصدق على حركة الفرد بما هو فرد ، ويمكن اجمال هذه الحقائق بما يلي :

١ - تعيين الهدف بكل وضوح و يقين والحضور الدائم والذكر المستمر له - بحقيقته الناصعة وحدوده الواضحة - في وجدان السائرين بوعي نحوه وفي ضمير السالكين الدرب إليه . وقد تناولنا هذه الحقيقة في كلمة سابقة للتحرير تحت عنوان : «رسالتنا بين النظرية

والتطبيق»^(١).

٢- توفر عوامل الانطلاق والتحرك ، أي ما لا بد منه لبدء الحركة ، فكما أن المسافر ، حتى يشرع بسفره ، يحتاج إلى توفير واسطة نقل وإلى تهيئة مؤنة الطريق ؛ كذلك فإن من رام البدء بحركته الواعية نحو هدفه المنشود لا بد له من توفير مقومات شروعه بالحركة ، والتي تحددها طبيعة الهدف وطبيعة الحركة المتجهة نحوه ، ولعل أبرز نموذج تطبيقي يحكي لنا هذه الحقيقة هو مسيرة الأنبياء والأئمة المهديين عليهم السلام وهم يترجمون حركتهم الرسالية على أرض الواقع .

٣- معرفة مراحل الطريق واشواطه والحدود الفاصلة والنسبة المتداخلة بين كل مرحلة وأخرى لأجل توفير متطلبات كل واحدة من هذه المراحل واستيعاب شروطها واشباع موضوعها من جهة ، ومنع الجمود والتكلس في اطار مرحلي معين ، أو الوقوع إما في الاستغراق أو التخلف في إحداها من جهة أخرى ، الأمر الذي سيؤدي إلى أن تنكفي الحركة وينزوي رجالها في بؤر مرحلية تاركين هدفهم بعيد المسافة عصي المنال ، ألا تلاحظ كيف يشيّد المهندس البناء ، وكيف يسير الطالب في مراحل الدراسة وهو يطويها مرحلة بعد أخرى وصولاً إلى ما يصبو إليه في أن يكون فقيهاً في الشريعة الإسلامية أو طبيباً أو مهندساً معمارياً ؟ وهكذا أيضاً مراحل الدعوة إلى أية فكرة أو رسالة ، وهكذا كانت مسيرة الثورات الالهية في تاريخ البشرية ومسيرة الأنبياء والأولياء نحو الله ، فالرسول صلى الله عليه وآله لم يأمر بإعلان الدعوة إلى الإسلام إلّا بعد أن تكاملت شروطها ، وكذا عندما حانت مرحلة الهجرة وإقامة أول

(١) راجع (رسالة الثقلين) السنة ٩ العدد ٢٣ / كلمة التحرير.

دولة للإسلام بقيادته الشريفة في مدينة يثرب ، ثم لم يأذن بالقتال حتى أُنْزِلَ له فكان إِيْذَاناً ببدء مرحلة الجهاد بالسيف بعد أن قويت شوكة المسلمين وكُمُلَت الحجة على المشركين وبعد أن باتت بيضة الإسلام في خطرٍ من كيدهم ونيلهم منه .

٤ - تشخيص وتحديد الموانع والعقبات التي ستعترض الحركة وأفرادها ، وتمييز ما هو من طبيعة الطريق وما هو طارئٌ عليها ، لعلاج كل منها بحسبه وذلك بإزالة أسبابه واحتواء أعراضه ، صبراً في مواطن الامتحان وحسماً في ميادين الوغى .

ولا يخلو أيّ طريق تسلكه الأمم أو يطويه بنو الإنسان من عقبات كؤود وموانع عنيدة ينوء بها من يريد مواصلة المسير ، وبدون وعيها ومعرفة السبيل لتذليلها واجتيازها لا يجد السائرون أنفسهم إلا وقد طوتها سنن الحياة ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وتاريخ البشرية مليء بالشواهد على كلا النموذجين المتقابلين : من واصل الطريق ومن انكفأ في أوله أو بعض أشواطه ﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ (١) .

٥ - معرفة الحالات التي تطرأ على مجمل حركة الأمم والمجتمعات والحالات التي تطرأ على حركة كل فرد من أفرادها والإحاطة بمواصفات كل حالة ونسبتها إلى سلم التدرج في مسيرة التكامل نحو الهدف ، مثلها مثل الحالات التي تطرأ على مراحل نمو الإنسان ، وهو جنين في بطن أمه لا حول له ولا قوة ، وهو طفلٌ لمّا يدرك ويع ما حوله ، وهو مميّز ثم

شباب مراهق يعيش الطموح ويهوى الحركة ، وهكذا في مراحل نموه الأخرى .

و«كلمتنا» تقف عند هذه الحقيقة لبيان بعض أبعادها وسبر نزر من أغوارها .

إن التكامل في تصورنا عن كنه «الحالة» ومفهومها يقتضي منا تمييزها عن معنى «المرحلة» وحقيقتها ، فالأخيرة تعني جزءاً جوهرياً من مسيرة هادفة لا يمكن تجاوزها ، بين بداية يُنطلق منها إلى هدف يُنتهي عنده ، وهي بذلك لا تنفك بأي حال من الأحوال عن وجودها الجوهري في موضوع الحركة وبنائها ، والذي يتشكل من مجموعة مراحلها ، إذ لا يمكن للمسيرة الهادفة أن تصل إلى كمال هدفها إلا إذا قطعت كل مراحلها واحدة تلو أخرى ووفق وجودها الطبيعي في هذه المسيرة ، فهل يستطيع الكائن الانساني «الطبيعي» أن يطوي مرحلة الطفولة منتقلاً من رحم أمه إلى مرحلة المراهقة مرة واحدة ؟ أم هل نَقَلَ لنا فلاح ، وهو يزرع الأرض ويرعى الزرع أن نواة التمر طوت مرحلة الفسيل لتكون نخلة مثمرة دفعة واحدة ؟ وهكذا في مسيرة الأمم والرسالات ، غاية الأمر أن كل حركة هادفة لها مراحلها المتميزة عن غيرها بحسب طبيعتها وموضوع هدفها .

أما «الحالة» فهي وضع ووصف عرضي يطرأ على حركة الأمم والمجتمعات وعلى كل متحرك من أفرادها ، ولكل مرحلة من مراحل الحركة حالات معينة تناسب تلك المرحلة ، فحالة الاستغراق النظري والتأمل الفكري تطرأ غالباً على الحركة التغييرية ، كالتنظيمات الإجتماعية والحركات السياسية وهي على مشارف نهاية مرحلتها

الفكرية ، وحالة الحذر والتحفظ السياسي تطراً عادة في أول أشواط مرحلتها السياسية ، وفرق آخر هو أن «الحالة» قد تكون طروءاً طبيعياً يلزم مرحلة معينة ، وقد تكون هذه «الحالة» طروءاً مرضياً يعكس صورة من صور الانحراف والشذوذ في الحركة ، أو التخلف والانتكاس في شوط من أشواطها ، ففرق في الثورة الرسالية وهي في مرحلة تطلعها وامتدادها السياسي بين انفتاحها على قوى العالم وبين الوقوع في حالة الاندماج اللاشعوري والتناغم المنهجي مع تلك القوى .

من هنا كان لابد لكل القيمين على حركة مسيرتهم الهادفة أن يميزوا بين الحالة المرحلية وبين الحالة المرضية ، فيحكموا أمر الأولى ويمنعوا أو يعالجوا وقوع الثانية .

وأمر آخر يجب أن نعيه ، وهو أن الحالة المرحلية قد تصبح حالة مرضية متى ما تجاوزت حدها الطبيعي في إطار مرحلتها المعينة ، فكما أن حالة الغضب الثوري ، التي ترافق عادة المرحلة السياسية الثورية لأية ثورة هادفة ، لو استمرت أكثر من حدودها الزمنية المرافقة لخطوات الحسم الثوري لتحولت في المراحل اللاحقة إلى تطرف أهوج سرعان ما يقضي على كل ما اكتسبته الثورة من رصيد معنوي في مختلف أوساط الأمة وقطاعاتها ، وتبقى كل مسيرة رهينة كفاءة ووعي مركز القرار والقيادة فيها أولاً ، ومدى رُشد رجالها وأبنائها وإدراكهم لخطوات المسير ثانياً .

من هنا نعرف سرّ الانتكاسات التي حصلت في الكثير من الأمم والدعوات ، والانحذارات التي مني بها العديد من القادة والرجال ، كما

نكتشف أسرار العظمة والحكمة التي تنطوي عليها المواقف الفريدة
للأنبياء ﷺ في جهادهم اللاحب وأهل البيت ﷺ في صراعهم الدامي على
طول مسيرتهم الربانية عبر التاريخ .

ومن نماذجها الرائدة النهضة الاسلامية الخالدة للإمام الحسين ﷺ ،
فعندما قلب صفحات تاريخها الدامي لنقرأ ما قيل فيها ونعي بعض
أسرارها من بين السطور نتساءل : هل كانت نهضته ﷺ مرحلة طبيعية
لمسيرة الإسلام في الأمة ؟ أم أنه رأى أن الأمة قد أصيبت بمرض
عضال، والخلافة قد وقعت بيد أهل الجاهلية والضلال ؟ وهل كانت
نهضته علاجاً حاسماً لكشف الحقيقة الجاهلية للحكام ، وحفظ الرسالة
من الانحراف والتزييف واعادة الأمة إلى إرادتها ووعيتها ؟ لنقرأ ما كتبه
الحسين ﷺ بيده الشريفة ، ففي إحدى رسائله لمعاوية بن أبي سفيان
يشير إلى الحالة الخطيرة التي وصلت إليها الخلافة ، ذلك المنصب الإلهي
المقدس الذي تبوأه أعداء الله ورسوله وأعداء رسالته ، فيقول لمعاوية :
«أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الأمة ، وأن تردهم إلى فتنة ،
واني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني
ولأمة محمد أفضل من جهادك ، فان أفعل فإنه قربة إلى الله ، وإن تركته فإني أستغفر
الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد أمري ، إن أنكرت تنكرني وإن أكدك تكدني ، فكدي ما
بدالك فإني أرجو الله أن لا يضرني كيدك وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك ،
لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقض عهدك ، ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد
نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ،
قتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا ،
قتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا ، فأبشر

يامعاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وليس الله بناس لأخذك بالظنّة وقتلك أولياءه على التهم ونفيك أيّاهم من دورهم إلى دار العربة وأخذك للناس ببيعة ابنك ، غلامٌ حدثٌ يشربُ الشراب ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلا قد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيّتك وأخربت أمانتك وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت الورع التقى والسلام»^(١) .

وفي إحدى خطبه يوم الطف كشف عليه السلام عن حالة الانحراف والانحطاط الذي منيت به الأمة وهي تستسلم لأعداء الله كمعاوية وابنه يزيد خانعة ذليلة حتى تحوّل الكثير من أبنائها عن دين الله الحق ومسحوا عبيداً للدنيا ولحكام الجور ، وشبّ جيل من صغارها على ما لم ينزل به الله من سلطان ، وظنّوا أن معاوية ويزيداً هما في مقام الرسول صلى الله عليه وآله وخلافة الله على الأرض ، يؤولون القرآن كما روي عنه عليه السلام ويحكمون بما جاء به ! فيقول عليه السلام لأمثال هؤلاء : «سحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرّفي الكلم وعصبة الاثم ونفثة الشيطان ومطغني السنن ، ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ؟ أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشجت عليه أصولكم وتأزّرت فروعكم ، فكنتم أخبت ثمر شجى للناظر وأكلة للغاصب» ، ثم يعود عليه السلام في مقالته إلى مركز الانحراف ورأسه ليعلن موقفه الرسالي منه فيقول : «ألا وأنّ الدعي ابن الدعي»^(*) قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيّات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وانوفّ حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» .

ويدرك الحسين عليه السلام كل هذه الحالات المرضية ، ويرى أن الخطر المحدق يهدد صميم الرسالة وقلب المسيرة وأن بذل دمه ودماء أهل بيته

(١) اعيان الشيعة ٤ : ١٤٢ - طبعة ١٩٤٨ م .

(*) يعني يزيد وأبيه معاوية بن أبي سفيان .

والصفوة من أصحابه هو العلاج الوحيد لإزالة هذا الخطر ودفع غائلته عن دين الله وأجيال في أصلاب أمة فقدت إرادتها وأسلمت قيادها لشذاذ الأحزاب وعصبة الاثم ، فالتضحية بالجزء ، - وإن كان مهماً وأساسياً في معايير الرسالة - ، تصبح ضرورية عندما تحفظ بها الأجزاء الأخرى من المسيرة وتصل الأمانة سليمة نقية إلى الأجيال اللاحقة ، فتعرف الحق وأهله وتجاهد في سبيله وتنتصر له وتعلو كلمته في الأرض ويكون الدين كله لله .

ويعلم الامام الحسين عليه السلام : «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي» ، لذا كان خروجه فتحاً رسالياً كالفتح على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وحنين والأحزاب ، فعن الامام الصادق عليه السلام قال : «إن الحسين عليه السلام لما فصل متوجهاً إلى العراق أمر بقرطاس وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام» .

وهكذا حقق الامام الحسين عليه السلام هدفه وحفظ الإسلام وكشف زيف أعداءه وخبث كيدهم ، فقد سئل الامام زين العابدين عليه السلام : «من كان الغالب يوم كربلاء ؟ فقال : اسمع المؤذن تعرف الجواب» .

وتمر الأيام وتتعاقب الأجيال ويجاهد أئمة أهل البيت عليه السلام عبر مراحل المسيرة الربانية ويستشهد الواحد تلو الآخر ويمتحن الله الأمة بالغيبة الصغرى وتليها الغيبة الكبرى لتصفو وتسمو في مراتب الاخلاص والجهاد في سبيله سبحانه ، تتراكم ثمرات الجهاد التي تميّزت على طول أشواطها ومراحلها بصرخات ثورة الطف الهادرة وبصبغة الدم

الحسيني المتدفق ، و يقيّض الله للأمة رجلاً من أحفاد أبي عبد الله عليه السلام فقيها ورعا ، حكيماً شجاعاً ، هو الامام الخميني ، يضع يده على مكانم القوة في الأمة فيفجرها إرادة جبارة لا تلين ، ويشخص مواطن الخطر فيها فيقود الأمة نحوها لتهدأ بأيديها العزلاء صروح الكاذبة فيتحقق حلم الأنبياء ، وتقوم دولة الإسلام في عصر الجاهليات العظمى وهي في أوج غرورها واستكبارها ، ويقف معسكرا الكفر والاحاد عاجزين أمام قوة الإسلام وإرادة جيل سقته دماء الحسين عليه السلام ودماء صحبه الأبرار ، لا يخافون في الله لومة لائم ولا يرجون إلا حبه ورضاه .

ونقف هنا أيضاً لنقرأ بعضاً من كلمات الإمام الخميني عليه السلام وهو يشخص بكل وعي وعمق مواطن الخطر المحدق بالإسلام ومسيرته وعوامل القوة في الأمة وعلمائها المجاهدين ، ففي حوار جرى بينه وبين أحد العلماء أجاب السيد الإمام على سؤال وجه له : «ماذا يمكن أن نفعل ؟ وما هو الأثر الذي يترتب على تقديم القتل ؟ فقال الإمام الخميني : إن الأعمال المعادية للإسلام تنقسم إلى نوعين : ١ - النوع الأول ، مثلما كان يفعل (رضا خان) من معاداة الدين ، وهو يقول : أنا أفعل كذا وكذا ولا يعنيني ما يقوله الشرع ، وطبعاً فإنّ التصدي له كان من باب النهي عن المنكر ، لكن (الشاه محمد رضا) يرتكب كلّ عمل ينافي القرآن والدين ويقول : إنه من الدين ، وأن هذا الأمر هو على رأي القرآن وإنني أتحدث من وحي القرآن الكريم» هذه القضية بدعة عظيمة تلحق الضرر بأساس الدين ولا يمكن تحملها ، يجب التفاني والتضحية ، دع التاريخ يكتب في طياته أنه تعرّض الدين للخطر والهجوم ، فإنّ عدداً من علماء الشيعة ثاروا ، وأن قسماً منهم قد استشهدوا ، ألم تقدّم ثورة الحسين بن علي عليه السلام

للتاريخ أعظم الخدمات؟ وفي إجابة على سؤال آخر عن عدم اتباع الناس لهم، وكذب استعدادهم للتضحية يقول السيد الإمام الخميني: «كيف يكذب الناس؟ هؤلاء الناس قد ضحوا بأرواحهم وتحملوا المعاناة والآلام ودخلوا السجون ونفوا من بلدانهم ونهبت أموالهم، كيف يمكن أن يكون الناس، من البقال والعطار الذين يواجهون الرصاص بصدورهم، كيف يمكن أن يكونوا كاذبين؟»^(١).

من هذه المواقف والآراء وأمثالها نكتشف حكمة الإمام ووعيه البعيد لأهداف المسيرة الإسلامية وواقع الأمة فيها، عرف بؤرة الخطر فاستهدفها بكل قوة، وعرف أين تكمن القوة ففجرها بكل قوة، وتحقق النصر الإلهي على يده فكانت ثورة عظيمة أيقظت غفلة المستضعفين، جبارة سفّحت أحلام المستكبرين.

وهكذا سار على نهجه خلفه الصالح الإمام الخامني (دام ظله) في قيادة حركة الثورة الإسلامية وترشيد نظامها الفتى ووقايته من كيد المتربصين به، ليشتمد عوده ويبنع ثمره ويكون الدين كله لله.

هذه هي مواقف قادة الإسلام العظام، تحكي لنا كمال الحكمة والوعي، وتترجم لنا وضوح الرؤية لسنن الله في هذه الحياة، فلكل مرحلة دورٌ ورجال، ولكل حالة موقف وعطاء، وصدق صادق أهل البيت (عليه السلام) عندما قال: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»^(٢).



(١) مترجم عن الفارسية / صحيفة كيهان الايرانية - العددان ١٢٤٦٦، ١٢٤٦٧ بتاريخ ٦ - ٨ / ٦ / ١٩٨٥ م - منقول عن كتاب «نهضت إمام خميني» ج ٢ بقلم سيد حميد روحاني.

(٢) تحف العقول: ٢٦١.

ذكرى ولادة الكوثر

﴿ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى
السيد الفاطمي «دام ظلّه»

من خطبة الجمعة لقائد الأمة الإسلامية وولي أمر المسلمين سماحة آية الله
العظمى السيد علي الخامنئي «دام ظلّه» بالجموع الغفيرة للمؤمنين المصلين
بمناسبة ذكرى ولادة كوثر أهل البيت (عليهم السلام) الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

قال الله الحكيم في كتابه الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ فصلّ لربك وانحر ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .



أوصيكم أيّها الأخوة والأخوات المصلين ونفسي بتقوى الله ونيل
رضاه وترك معصيته وعدم الخروج عن دائرة الورع .

يوم ولادة الكوثر الزهراء يوم عظيم
اليوم يوم عظيم ، فهو يوم ولادة سيّدة نساء العالمين وبضعة

الرسول المكرمة والعظيمة وقدوة النساء والرجال على امتداد تاريخ الاسلام ، وولادة الصديقة الكبرى والمجاهدة في سبيل الله والشهيدة المظلومة . تقترن معها ولادة واحدة من الشخصيات الكبرى اللامعة التي برزت في تاريخ الاسلام من تلك الذرية الطاهرة . فهو يوم ولادة كوثر الزهراء ، ولادة كوثر روح الله .

بعد أن توفي أبناء الرسول في مكة الواحد تلو الآخر ، شمت الشامتون - الذين انحصرت الفضائل عندهم في المال والثروة والأولاد والجاه والجلال الدنيوي - برسول الله ونعتوه بالأبتر ؛ أي الذي لا عقب له ولا ذرية ، وأنه إذا مات ستندثر بموته كل معالمه وآثاره ، فأنزل الله عليه هذه السورة لسلوى قلب الرسول ولإيضاح حقيقة كبرئ له وللمسلمين ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أي تلك الحقيقة العظيمة والكثيرة والمتزايدة .

ومصادق الكوثر بالنسبة للرسول ﷺ يمثل أشياء مختلفة ، وأحد أبرز المصاديق هو الوجود المقدس لفاطمة الزهراء التي جعلها الله خلفاً مادياً ومعنوياً للرسول . وخلافاً لأوهام الأعداء الشامتين أصبحت هذه الابنة المباركة والوجود السخي سبباً لتخليد اسم الرسول وذكره ونهجه ومعارفه بشكل لم يشهد له نظير لدى أي ولد بارز وعظيم ، فمن ذريتها أحد عشر إماماً وكوكباً مشرقاً شقوا بالمعارف الاسلامية على قلوب أبناء البشرية ، وأحيوا الاسلام ، وبيتوا القرآن ، ونشروا المعارف الالهية ، وأزالوا التحريف عنها ، وأغلقوا سبل استغلالها .

أحد هؤلاء الائمة الأحد عشر هو الامام الحسين بن علي عليه السلام الذي قال عنه رسول الله ﷺ «أنا من حسين» و«حسين سفينة النجاة ومصباح الهدى» ، الذي ترتبت على شخصيته وثورته وشهادته آثار وبركات جمّة في

تاريخ الاسلام . هو أحد ذراري فاطمة الزهراء . ومن جملة تلك الشموس المنيرة الامام الباقر عليه السلام ، والآخر هو الامام الصادق عليه السلام اللذين يعود إليهما الفضل في نشر المعارف الاسلامية . لا المعارف الشيعية فحسب ، بل حتى أن مشاهير أئمة أهل السنة قد اقتبسوا من فيض علومهم بشكل مباشر أو غير مباشر . وأخذ هذا الكوثر المتدفق الذي يزداد تألقاً يملأ أقطار العالم الاسلامي بنسل الرسول ؛ حيث توجد اليوم آلاف بل آلاف الآلاف من الأسر البارزة المعروفة في العالم الاسلامي كله ، وهي تعكس بقاء ذرية تلك العظيمة . كما أن وجود الآلاف من مشاعل الهداية في العالم ينم عن البقاء المعنوي لهذا النهج وذلك الوجود المقدس . إنها كوثر فاطمة الزهراء . فسلام الله وأنبيائه وأوليائه وملائكته وخلائقه عليها إلى قيام يوم الدين .

كما وأن حفيدها الجليل أصبح هو الآخر كوثرًا ؛ إذ أنه نزل إلى ميدان الصراع وحده ، واستطاع أن يستميل إليه القلوب بفضل الجاذبية الكبرى التي من الله بها عليه انطلاقاً مما كان يتمتع به من خصائص ذاتية ومكتسبة . فأثارت الحركة في الأيدي والأرجل ، ودفع العقول إلى التفكير ، وأحدث هذه الحركة العظيمة في هذا البلد فضلاً عن النهضة الاسلامية العالمية . ثم أن نهج الامام ومدرسته وفكره سيكون له من بعد هذا دور فاعل في العالم كله وستجرب الأجيال ذلك بنفسها .

أبعاد شخصية الامام (ره)

أودّ اليوم في الخطبة الأولى أن أبحث من زاوية أخرى في أبعاد وبواطن هذه الشخصية الكبرى ولكن بصورة مختصرة . لقد قيل في هذا المضممار كلام كثير ومن زوايا مختلفة ، وسبق لي أن أدليت بدلوي في

هذا المجال أيضاً . ولكنني أريد اليوم التحدث من زاوية أخرى حول هذه الشخصية التي قلّما تجد لها نظيراً في العالم الاسلامي .
فضلاً عن جميع الخصائص التي كانت فيها ، تميّزت هذه الشخصية بثلاث خصال ممتازة مترابطة بينها ومتداخلة جداً ، جعلت منها شخصية جذابة وذات تأثير مدهش .

الحكمة والمعرفة

الخصلة الأولى هي عبارة عن الحكمة والمعرفة ، فقد كان رجلاً عارفاً وحكيماً وعاقلاً وعميقاً ، إذ كان يتوفر فيه جوهر المعرفة بالمعنى الحقيقي للكلمة ، وكل من يتوفر فيه جوهر المعرفة تصبح لديه القدرة على كل شيء . ولهذا السبب شوهدت معالم حكمته ومعرفته في كل موضع برز فيه . وقد برز هذا العمق في المعرفة وهذا الجوهر الساطع في الحكمة في حقل اختصاصاته العلمية أي الفلسفة ، والفقه ، والعرفان ، والأصول ، والأخلاق . ولم يكتف بتكرار كلمات القدماء وإنما طرح آراء وكلاماً جديداً في هذه الحقول .

التدين والايان الواعي

الخصلة الثانية التي تميّز بها ، هي التدين والايان الواعي . فقد كان رجلاً متعبداً إلا أن تعبده كان بعيداً عن الجمود والتجبر ، وكان واعياً ومتنوراً ومجدداً في المباحث الدينية ولكن تجديده كان بعيداً عن الانفلات الذي يميّز به المجددون ؛ فكثير هم الذين طرحوا آراء جديدة في مجال القضايا الدينية ، غير أن آراءهم كانت دليلاً على الانفلات وعدم التقيد واللاأبالية في التمسك بالنصوص الاسلامية . فجاء كلامهم معبراً

عن آرائهم الشخصية لا عن رأي الدين . أمّا بصيرة الإمام وتجديده فقد كانت مرتكزة على الدين وعلى المباني الدينية . ولهذا جاءت آراؤه التجديدية في العقائد والأخلاق والفقه ، على نحو أذعن له أكثر الناس معرفة وتبحراً في هذه العلوم ، واعتبروها آراءً قائمة على أسس رصينة ، وليس كلاماً مجرداً من الأسس والأصول . ومعنى هذا أنه كان متديناً ومتعبداً ولكنه في الوقت ذاته كان بصيراً وواعياً ومتعقلاً وذا نظرة رحبة الآفاق في القضايا الاعتقادية والعملية . والحقيقة أن تدينه يعيد إلى الأذهان أنماط التدين التي كانت موجودة في عصر الرسول ﷺ أو معالم التدين في عصر المعصومين عليه السلام .

الشجاعة والتضحية

أمّا الخصلة الثالثة التي امتاز بها فهي الشجاعة والتضحية . فقد كان على استعداد لمواجهة العالم كله من أجل كلمة الحق . وكلمته الشهيرة التي قال فيها «إن الاستكبار إذا أراد الوقوف أمام ديننا فإننا سوف نقف بوجه ديناه» كلمة صحيحة ، إذ كان بإمكانه الوقوف بوجه العالم كله . مثملاً نادى بتلك الصرخة في قم عام (١٣٤١ هـ . ش) كان في بداية الأمر وحده ، ثم التحقت الجماهير المؤمنة والقلوب الطاهرة به أفواجاً أفواجاً في كل مكان . لكنه كان في بداية الأمر وحيداً فريداً ، وكان يستشعر تلك الوحدة . بيد أنه كان يملك الشجاعة على الإقدام . ولا شك في أن الشرط الأول الذي يجب أن يتوفر لدى من يريد الدخول إلى ميدان تحف به عساكر ومباحث مدججة بالسلاح ولا تحمل شيئاً من معاني الضمير والدين والتساهل من جهة ، وتحظى بدعم من السياسات العالمية والاستكبارية من جهة أخرى ، هو الاستعداد للتضحية . وكان الامام مستعداً للتضحية وبذل النفس وتحمل جميع المخاطر . أي أن النفس

والنفس لم يكن لها أية قيمة بالنسبة له . قد يدّعي البعض أنه على استعداد للتضحية بنفسه ، ولكن تراه عند العمل غير مستعد للتضحية ولا حتى بالجاه والاحترام الفارغ ، فما بالك إذا كانت القضية تتعلق بالنفس؟! وهو لا يضحي ولا حتى بشيء من المال ولا من اللذة ، فكيف يضحي بنفسه؟! أمّا الامام الخميني فقد كان صادقاً في دعواه ، وكان قد وضع نفسه على كفة وتقحّم ساحة الصراع .

دخل الامام إلى الساحة وهو يحمل هذه الخصائص الثلاث المنسوجة في كيانه . والنقاط الايجابية التي كان يحملها الامام ذات قائمة طويلة طبعاً . إلا أنّ اختياري وقع على هذه الخصال الثلاث بسبب تأثيرها البارز والمتسق وترابطها في ما بينها .

استطاع الامام أن يطوي هذا الميدان إلى أن بلغ موضعاً مشاركاً على الانتصار ، أي في عام (١٣٥٧ هـ . ق) . حيث وجد نفسه أمام حادثة عجيبة ، وهي انتصار الثورة الاسلامية بفضل مساندة الشعب له بكل وجوده . لم يكن ذلك الانتصار مجرد انتصار على نظام رجعي فاسد ، ولكن بما أن ذلك النظام كان مدعوماً من قبل جميع القوى الاستكبارية تقريباً يومذاك ، لذلك كان هذا الانتصار بمثابة انتصار على جميع تلك القوى . وكان على الامام حينها أن يدير البلد وفق رؤى ونظريات الاسلام . ولكنه وجد أمامه بلداً كان خاضعاً لمدة تناهز المائتي سنة لضغوط من شتى الجوانب من أجل تحطيمه وإضعافه وسلبه كافة الخصائص الممتازة التي يتحلّى بها شعب عظيم . ونحن لو راجعنا تاريخ ما حصل خلال هذه المائتي سنة ؛ لأدركنا على نحو أفضل عظمة الانجاز الذي حقّقه الامام . وأؤكد هنا على الشباب بقراءة تلك المقاطع التاريخية ، وعلى أجهزة الإعلام أن تبين للشعب حقيقة ما وقع للشعب طوال تلك المدة ؛ فالعمل الإعلامي الذي انجز في ما يخص هذا المجال ضئيل جداً .

أوضاع ايران قبل الثورة

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، أي في عهد حكومة فتح علي شاه القاجاري حين عبر الضابط البريطاني «السرجون ملكوم» من الحدود الهندية إلى ايران حاملاً معه الكثير من الهدايا المغرية والنفيسة إلى رجال البلاط والساسنة الفاسدين في ايران ، منذ ذلك الحين أخذ الاستعمار البريطاني أو لنقل بتعبير أدق النفوذ البريطاني المدمر - لأن الاستعمار المعنى المتداول للكلمة لم يحصل في ايران ، ولكن حصل ما هو أسوأ منه - على الحكومات الايرانية المتعاقبة سيطرة تامة وينفذ من خلالها ما يشاء تنفيذه . واستمر الوضع على تلك الحالة منذ ذلك اليوم وإلى حين انتصار الثورة الاسلامية مستغرقاً مدة تقارب مائة وثمانين سنة .. وقد عملت طوال تلك المدة جميع القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية في العالم من أجل اضعاف وتمييع وتحطيم هذا الشعب العريق والأصيل والمجيد وبث اليأس فيه لكي لا يكون مصدر خطر عليها . وكان الدور في أغلب تلك الفترة للانجليز ، ثم انتقل إلى الأمريكيين منذ عام (١٣٣٢ هـ .ش) وفي أواسط ذلك كان النفوذ للحكومة الروسية وللصراع بين الروس والانجليز . وقد اتخذت تلك الهيمنة الأجنبية شكلاً معيناً في العهد القاجاري ولكنها أصبحت أشد وطأة وأكثر خطورة في العهد البهلوي .

لقد فعلوا بهذا الشعب كل ما استطاعوا فعله . وهكذا وجد الامام نفسه أمام هذا الواقع ؛ وجد أمامه بلداً مرتبطاً سياسياً بعجلة الاستكبار . حيث فعلت أميركا خلال تلك البرهة كل ما أرادت فعله في هذا البلد ، فقد كانت طليقة اليد لتفعل ما تشاء في المجال الاقتصادي وفي قطاع النفط وفي

مجال تنصيب كبار المسؤولين وتعيين الحكومات أو إسقاطها ، وفي مجال العلاقات الدولية ، وفي مجال العادات والتقاليد التي كانت تفرضها على أبناء الشعب ، وفي مجال الجامعات . ومعنى هذا إنها كانت قادرة على فعل ما تريد في إيران .

كان هذا البلد مرتبطاً ارتباطاً تاماً بالدول الأخرى ؛ فعلى الصعيد الاقتصادي كان بلدنا مستهلكاً وفقيراً ، وكان يجب استيراد كل شيء من الخارج . لقد ذكرت ذات مرّة أن بلدنا كان يستورد حتى «مقبض المسحاة» لكن البعض لم يصدق هذا الكلام ، وليعلموا أنّ هذه هي الحقيقة ، وكنا نستورد حتى الابرة وأنواع الأطعمة وأنواع المنتجات الصناعية ، وكان كل شيء يذهب للاستهلاك . أي أن هذا الشعب بكل ما لديه من قدرات وخيرات وطاقات لم تكن لديه القدرة أو الفرصة لتوفير بعض احتياجاته الأساسية وليقول أنه في غنى عن الخارج . وحتى أنهم إذا استوردوا معدّات صناعية من قبيل أجهزة صناعة السيارات أو معامل الحديد والصلب وما شابه ذلك ، فإنهم كانوا يستوردونها بشكل ناقص ، وكانت تلك الصناعات مرتبطة من أولها إلى آخرها بالدول الأخرى . وحتى الأجهزة والمعدّات المتطورة التي كانوا يبيعونها لإيران - كالطائرات الحربية مثلاً - لم يسمحوا حتى بتصليحها في الداخل ، وإنّما كان يجب تصليحها في الخارج .

ومعنى هذا أن بلدنا كان في حالة تبعية اقتصادية تامّة ، وكان بلدناً مستهلكاً . أمّا على الصعيد العلمي فقد كُنّا في حد الصفر تقريباً ، ولم يكن لهذا الشعب أي انجاز يقدمه للعالم في مجال العلوم الحديثة . وأمّا بالنسبة إلى الجامعات والتي كانت قليلة من حيث العدد وكان عدد طلبة

الجامعات في السنوات الأخيرة من العهد البهلوي لا يتجاوز عشر العدد الحالي ، فالدروس التي كانت تدرّس فيها - سواء على صعيد العلوم الانسانية ، أم العلوم الفنية والصناعية ، أم العلوم الطبيعية - كانت مقتبسة من الآخرين ، ولم يكن هناك من جديد . وفي مجال الثروة الوطنية كان بلدنا عرضة للنهب ؛ حيث كانوا ينهبون نفطه ومعادنه وكل شيء وبالأسعار التي يحدّدونها هم . أمّا على الصعيد الاجتماعي فقد كانت حالة الفقر مزرية جداً في البلد ، وكانت هناك الآلاف بل عشرات الآلاف من القرى في هذا البلد لم تصلها الكهرباء ولا الماء المصفى ، ولم تكن تأمل ذلك ، ولم تكن السلطات تهتم حينذاك إلا بطهران وبعض المدن الكبيرة ، ومع ذلك كانت طهران تعتبر واحدة من أقذر وأسوأ العواصم في العالم . كانوا لا يهتمون إلا بأنفسهم ، فحيثما كان لهم موطأ قدم كانوا يبنون هناك المطارات ويوفّرون وسائل الراحة ، أما الأماكن غير المهمة لهم فقد كانت مهمة كلياً . وكانت الفوارق الطبقيّة على أشدها .

وأمّا على صعيد الأخلاق فكانت هناك إشاعة للفساد . وكثيراً ما كنت أقول في الاجتماعات الشبابية التي كانت تعقد قبل انتصار الثورة ؛ أي في عقدي الستينات والسبعينات ، استناداً إلى الشواهد والأدلة ، إن حالة الفساد والتحلل الخلقي الموجود في بلدنا لا يوجد له مثيل حتى في الدول الأوروبية . وكنت على اطلاع بأنّ ذلك الفساد لم يكن له مثيل هناك حقاً . من المحتمل طبعاً أن توجد في البلدان الأوروبية بؤر للفساد إلا أن أعرف الناس هناك - من حيث وضع وسلوك وحجاب النساء مثلاً - كانت أفضل مما كان يراه الانسان في بعض مدننا . فقد كان الناس مصابين بأنواع

الأوبئة الأخلاقية وليس ما يتعلق منها بالشهوات فقط . بل أنهم عملوا على تخريب علاقات الناس في ما بينهم وسلب الثقة المتبادلة بينهم . وكان كل ذلك يجري عمداً .

كانوا يريدون أن يكون الشعب يائساً وخاملاً وضيق الصدر ؛ لأن الخصال التي تساعد على تقدّم الشعب هي الأمل والنشاط والجد . والشعب الذي يشعر باليأس والحقارة لا يمكن له أن يتقدّم . والسلعة التي كانت تنتج في الداخل ؛ يعتبرونها سلعة بائرة وسبب ذلك هو مجرد أنها كانت تنتج في الداخل . وحتى المتعلّمين كان أحدهم يقول للآخر : إن الإيراني لا يستطيع أن يصنع ابريقاً من خزف ؛ أي حتى الجيل المتنوّر علمياً كان يائساً من المستقبل العلمي لهذا البلد . وهذه الحالة ناجمة طبعاً عن تلك الصفة الأخلاقية .

كان بلدنا متخلفاً عن ركب التقدم العلمي والحضارة العالمية . أما من حيث النظام الحكومي ، فقد كان هذا البلد محكوماً من قبل واحدة من أكثر الحكومات رجعية ، فكان الحكم وراثياً ؛ فإذا مات الأب كان الشعب مرغماً على قبول ابنه كملك مطلق بغض النظر عن سنّه ومؤهلاته وقدراته وصفاته الأخرى ، بدون معيار من العلم والتقوى والعقل أو أي شيء آخر . وأقرّوا هذا النظام حتى في الدستور ، ذلك الدستور الذي تمت المصادقة عليه في طهران تحت وطأة أقدام رضا خان وتحت إشراف جلاوزته .

كانت ايران ذليلة في العالم كله ، ولم تكن تذكر في الأوساط الدولية كبلد له سمعته ووجوده ، وانما كان ينظر إليها كبلد يتلقّى الصدقات وكموضع اختيار للآخرين ، حيث كانوا يطبقون فيها بعض الآراء

والنظريات الاقتصادية ليروا مدى فاعلية تلك الآراء . أي أن إيران كانت بلداً فقيراً مادياً ومعنوياً وسياسياً . وهكذا وجد الامام نفسه مقابل هكذا مجتمع وهكذا بلد .

أما النقطة الأساسية التي يجب الإشارة إليها في هذا الصدد فهي أن الشعب الإيراني شعب عظيم وكفوء . أما الوضع الذي خلقوه فيه ، فقد كان طارئاً وعارضاً . لهذا انتفض الشعب على نفسه حينما ارتفع صوت الإمام . وقد استغرقت الفترة منذ أن تحرك الامام إلى أن انطلق هذا الموج الهادر المتلاطم مدة خمس عشرة سنة كانت زاخرة بالآلام والعناء . فالشعب شعب عريق وكفوء وأصيل ومتقف وغيور ومتدين ، واستطاع النهوض وانتشال نفسه من حالة الخدر والسبات ، وتمكن من إبراز شخصيته خلال عهد النهضة وخاصة في السنتين الأخيرتين قبل انتصار الثورة . وهذه هي نقطة القوة الموجودة فيه . بيد أن الواقع الذي فرض على هذا الشعب طوال تلك السنوات المتطامدية قد ترك آثاره في حياته ، وظهرت تلك الآثار مقابل الإمام ﷺ .

الأولويات التي ركّز عليها الإمام ﷺ في بناء المجتمع الاسلامي ولكن ماذا كان ينبغي على الإمام أن يفعل من أجل بناء المجتمع على النحو المطلوب والمثالي ؟ لاحظوا كيف كانت مهمة الإمام على قدر فائق من الصعوبة . لابد وأنكم لاحظتم في بعض الأماكن وجود المواد الانشائية والمستلزمات الضرورية والمساحة الكافية لتشييد بناء ضخم وشاهق على أنقاض بناء قديم مهدّم . من الطبيعي أن مثل هذا العمل لا يستطيع أن يقوم به أي مهندس كان . وهنا تبرز براعة وعظمة تلك

الشخصية . لقد نظر الامام إلى هذا الشعب وهذا البلد ، وإلى هذا الواقع وهذه الظروف . وكان على معرفة تامة بالإسلام ومثله ، وأراد أن يبني بلبنات اسلامية وبأيدي أبناء الشعب أنفسهم بناءً شامخاً لحكومة عظيمة ومستقلة ، تجلب للشعب الرفعة والسعادة والتقدم ، وتعوّضه عمّات . فما هي الأولويات التي ينبغي التركيز عليها أكثر من غيرها ؟

لقد حدّد الامام تلك الأولويات وأخذ يحرّث السير باتجاهها . وأعتقد أن تلك الأولويات تلخّصت في شيئين ؛ ونحن نستطيع أن نفهم ذلك من خلال معاشتنا القريبة منذ اليوم الأول للكثير من توجيهاته وأفكاره وأحكامه وكيفية تعامله مع القضايا والأمور . وأنتم كذلك لو نظرتم اليوم إلى كلمات الامام وسلوكه ووضعتم أمامكم ما تعرفونه عنه ؛ ستشاهدون أيضاً هذين الأمرين بشكل واضح ، وهما :

الأول : إحياء روح الاستقلال والثقة بالنفس في قلوب أبناء الشعب . في الماضي تلقى أبناء الشعب تلقيناً متواصلًا يوحى إليه بالعجز . وكلما تحدّث أحد من علماء الدين أو الجامعيين أو أي شخص آخر إلى أبناء الشعب عن ذلك الواقع ؛ كان الجواب يأتيه بأننا لا نستطيع ولا جدوى من أي عمل . وكان أول ما يجب تغييره هذه الحالة النفسية . ومن الطبيعي أن مثل هذه الصفات الاجتماعية ليست على غرار الخصال والسجايا الفردية .

صحيح أن الخصال الفردية لا تتغيّر بسهولة ، إلّا أنّ الصفات الاجتماعية أصعب منها بكثير . كان على الامام أن يستبدل تلك الحالة بحالة أخرى من الثقة بالنفس وروح الاستقلال والاعتماد على الذات .

ولهذا كان يرفض أي تدخل أو هيمنة على شؤون الشعب ، ممّا عدا الشعب نفسه . وهذا هو العامل الذي مكّن الإمام من الوقوف بوجه أميركا وبوجه الاتحاد السوفيتي . فالأميركيون قد هيمنوا على شؤون هذا البلد مدة خمس وعشرين سنة ، حيث وجدوا أمامهم مائدة ميسوطة عاثوا بها فساداً كيف يشاؤون هم وحفنة من عملائهم ، ولم ينقطع أملهم إلى أشهر من بعد انتصار الثورة . وتوجد في ذهني قضايا كثيرة حول هذا الموضوع ، ولكن الوقت لا يسمح بالتحدث فيها . فالإمام قد قلّم أظفار جميع المتبجّحين . ولو ندّت عن الإمام أدنى ؛ غفلة لعاد من نوافذ متعددة جميع الذين أخرجوا من الباب . فالإمام وقف بصلاية أمام أي نفوذ أو تسلط أجنبي على أي نحو كان . وكانت هذه هي النقطة الأولى .

القضية الثانية التي اهتم بها الإمام غاية الاهتمام هي إحياء الروح الدينية وتقوية إيمان أبناء الشعب ، ذلك الإيمان الذي كان لديه . وانطلاقاً من هذه الرؤية كان يركز إلى أبعد الحدود على كل ما يتعلّق بالدين ، ولم يكن على استعداد للتساهل في هذا المضمار ؛ لأنه كان يرى في الدين علاجاً . وحينما تكون الروح الدينية موجودة لدى الشعب ، فلن ينعكس أثرها على التقوى والصلاح والطهارة والأخلاق الفردية فقط بل يتعدّاها إلى الحياة الاجتماعية ، فيما إذا كان الدين صحيحاً طبعاً . ولهذا فقد هبّ جميع الأعداء في الخارج وأذئابهم في الداخل إلى معارضة الدين الذي دعا إليه الإمام وأطلق عليه اسم الإسلام الأصيل ، بصفته ديناً للسياسة والحكم . ولهذا نلاحظهم يظهرّون أحياناً وكأنهم أحرص منّا على الدين ، فيزعمون أن الدين إذا أخذ طابعاً حكومياً وسياسياً سيفقد مكانته في

نفوس الناس وسيضعف ايمان الناس به . وهذا على العكس من الواقع تماماً . فحينما يكون للدين وجود في مجتمع ما تجد اندفاعاً نحو التضحية ، ووعياً وشعوراً بالمسؤولية في ذلك المجتمع . وما تلاحظونه اليوم في مجتمعنا وبلدنا من شعور بالمسؤولية والغيرة إزاء المسائل الدينية - إلى الحد الذي يطلع الشعب عليه - فهو يعزى إلى وجود الروح الدينية ، والعدو يحاول اضعاف هذه الروح . بينما كان الامام يقوّي هذه الروح في جميع الأركان ؛ سواء على المستوى الحكومي أو المستوى الشعبي ؛ أي أنه كان يؤكد الايمان والتعبد والالتزام بالدين لدى الحكومة ، ولدى مجلس الشورى ، ولدى السلطة القضائية ، ولدى مجلس صيانة الدستور ، وفي القوانين والانتخابات وفي كل شيء ، وكان يولي اهتماماً خاصاً لهاتين الأولويتين . وكل التعليمات التي وضعها الامام في مقابل أبناء الشعب تتعلق بهذين الأمرين .

طرح الامام الجمهورية الاسلامية ، أي نمط جديد من النظام الحكومي لا يشبه أيّاً من الأنظمة المتعارفة في العالم ، لكنه يحمل كافة الخصائص الايجابية الموجودة في أي نظام ؛ ففيه الاسلام ، وفيه آراء الشعب ، وايمان الشعب ، والتعبد ، والشعور بالعزة ، وأحكام الاسلام وقوانينه بما تعنيه هذه الأحكام والقوانين من إحياء للإنسان . ولو أننا طبقنا الاسلام بالمعنى الذي فهمه الامام ؛ أي بالمعنى الصحيح والأصيل والمستند إلى الأصول والمبادئ ، سنجد كفيلاً بالاستجابة لجميع المتطلبات ؛ مثلما وجدناه قد لبّى جميع المتطلبات في ميادين الصراع والمقاومة والصمود . وقد لبّى الاسلام المتطلبات المطروحة على صعيد النظام الحكومي . ولا يوجد المجال الكافي حالياً لأشرح لكم كيف أن

هيكلية النظام الحكومي الموجودة في إيران اليوم تناسب حرية وتقدّم أي شعب أكثر من أي نظام حكومي موجود اليوم في العالم ، سواء الأنظمة الديمقراطية الغربية أو أنماط الأنظمة الأخرى ، فما بالك بالأنظمة الاستبدادية المنغلقة على نفسها والمفروغ منها أصلاً ؟ .

قدرة الاسلام في الاستجابة لجميع متطلّبات العصر
لقد أثبت مقترحات النظام الاسلامي ، أيّا كانت ، مقدرة في الاستجابة لجميع المتطلبات في جميع الميادين ؛ فقد استجابت في مجال الالتزام بالشؤون الثقافية ، وفي مجال التصدي للثقافات الأجنبية . فإلى ما قبل الثورة كان شعبنا وبلدنا أسيرين للثقافة الغربية . ولكن بفضل موقف الامام أصبح التأثير الثقافي متبادلاً ؛ وكذا بدأ هناك تيار ثقافي يتحرك من مجتمعنا الاسلامي نحو الخارج وبشكل بعث الرعب مرّات عديدة في قلوب زعماء الامتكار ، ولا زالوا يعبرّون عن رعبهم ذاك في تصريحاتهم التي يدلون بها في الوقت الحاضر ويتهموننا فيها بمحاولة تصدير الثورة في حين أننا لم نعلّب ثورتنا حتّى نصدرها إلى مكان ما . إلا أن هذه التصريحات أخذت تتضاءل تدريجياً . غير أن هذا كلام يقصد به هذا التيار الثقافي الذي أخذ ينتشر في البلدان الاسلامية وحتى غير الاسلامية ويثير فيها الوعي .

ولو أنّنا طبقنا تعاليم الاسلام بشكل دقيق في المجالين الاقتصادي والاداري ؛ لكُنّا حتماً في وضع أفضل مما نحن عليه حالياً . ومن المؤسف أن ما فعلناه في المجال الاقتصادي كان وصفاً خليطة من الاسلام وغيره ، ولم يعد علينا بأي خير أو فائدة ، فالنظريات الاقتصادية الغربية

التي كانت تعتبر إلى ما قبل فترة وجيزة من المسلمات ، أصبحت في الوقت الراهن موضع نقاش بينهم .

ولكن ماهو تقصير الشعوب التي يرغمها زعماءها على اتباع تلك الأساليب الاقتصادية ؟ لقد أسسنا في أواخر حياة الامام مصرفاً اسلامياً لا ربوياً ولكن كانت فيه بعض النواقص ، وأحد مساعي الحكومة الحالية هو النهوض بهذه المهمة ، وأرجو أن يحالفها النجاح في ايجاد مصرف اسلامي لا ربوي بشكل كامل . وقد بذلت في هذا المجال جهود كثيرة طبعاً ، والمطلوب حالياً هو إنجاز الخطوات اللاحقة .

إننا اليوم بحاجة إلى تعاليم الامام (ره)

هذا هو الأساس الذي يدفعنا اليوم إلى أن ننادي بنهج الامام ووصية الامام وتعليماته . والقضية هي ليست إننا نتمسك بشيء ما عن جمود وتحجّر وبعيداً عن التعقّل ، ولكن القضية هي أن هذا العارف الحكيم الخبير بالاسلام المطلّع على شؤون الدنيا ، اختار لهذا الشعب منهجاً يتناسب مع متطلّباته ، ووضع له معالم بيّنة ، وأصدر بشأنه التعاليم والتوصيات . وحيثما تم تطبيق تلك التعاليم وجدناها آتت أكلها . ونحن اليوم بحاجة إلى تلك التوصيات البيّنة . ونحمد الله أن الشعب والمسؤولين لديهم عزم راسخ على مواصلة هذا النهج . وسنواصل السير بعون الله على هذا الطريق - وهو طريق الله والرسول ، وطريق تحقق الكوثر ، وطريق الخلاص والعزة والمجد ، وطريق حل جميع المشكلات الموجودة في البلد - رغم إرادة الأعداء .

مواصفات المرجعية الدينية الفاعلة

✽ السيد محمد باقر المكي

دور المواصفات في المرجعية

الانجازات الكبيرة التي قدمتها المرجعية للأمة إنما حصلت بسادئ بدء بفضل وعناية الله تعالى وجهاد وتضحيات المخلصين من أبناء الأمة والجماعة الصالحة ، ولكن لا شك أن للمواصفات والكمالات التي اتصفت بها المرجعية ، ومثلت هذه الصفات امتداداً في حقيقتها ومضمونها لمواصفات الرسل والائمة المعصومين عليهم السلام ، الأثر البالغ في ذلك ، والله تعالى بموجب حكمته والسنن التي أودعها في حركة هذا الكون والمجتمع الانساني ، أوجب أن تكون مثل هذه الانجازات معلولة لوجود المواصفات المعينة التي أتصف بها المخلصون من عباده ومنهم المراجع العظام ، وبذلك يكونون قادرين على مواصلة المسيرة وبلوغ الهدف والتأثير في هداية الناس -



ولذلك كان قانون الاصطفاء والأجتناء ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذرية بعضها من بعض واللّه سميع عليم ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴿٢﴾ واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ﴿٣﴾ ومن آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم واجتبتيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ﴿٤﴾ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴿٥﴾ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴿٦﴾ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴿٧﴾.

ومن هذا المنطلق نعرف بأن مواصفات وشروط المرجعية تمثل المحور الأساس في هذا الموقع والدور الذي يقوم به ، لأن المرجع قد تم تعيينه من الله تعالى بالمواصفات ، لا بالشخص ، على خلاف التعيين في الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، فإن التعيين فيهم بالشخص بعد احراز الصفات منه تعالى فيهم، كما أن الصفات في الوقت نفسه تمثل إحدى الضمانات المهمة لتحقيق الأهداف وسلامة المسيرة .

الصفات المطلوبة

فما هي هذه الشروط والمواصفات ؟

نقرأ في الرسائل العملية لمراجع الدين الشروط والصفات العامة التي

(١) آل عمران : ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الأنعام : ٨٣ - ٩٠ .

يذكرها الفقهاء بخصوص مواصفات المرجع ، وهي مواصفات صحيحة وواقعية ، ولكن من خلال اطلاعي على هذه الاوضاع الموجودة في الحوزات العلمية ، ومن خلال معرفتي السابقة والفعلية بهذا الأمر أقول : إن هذه الشروط - مع الأسف - لا تشرح في الدروس العلمية ولا توضح في الأبحاث والثقافة العامة الحوزوية بطريقة تتناسب مع أهمية وخصائص موقع المرجعية .

فعلى سبيل المثال ، تذكر مواصفات من قبيل أن يكون المرجع بالغاً وذكراً وعاقلاً وعالمياً وعادلاً . لكن لا يتم شرح هذه المواصفات والشروط بالطريقة التي تتناسب وأهميتها أو أهمية وموقع المرجعية ، فعندما نأتي إلى شرط (العقل) مثلاً وهو صفة يشترطها الفقهاء حتى في ولي الطفل الصغير ، وكذلك في الانسان الذي يحق له التصرف في ماله ، إذ يشترط في صحة تصرفه بالمال (العقل) إذ لا تصح تصرفات المجنون والسفيه ، وكذلك في الشخص الذي يريد أن يتزوج وفي معاملات البيع والشراء وغيرها من الأمور الكثيرة . ولكن هنا يبدر هذا السؤال المهم : هل أن العقل الذي نشترطه في المرجع هو العقل نفسه الذي نشترطه في مثل هذه الموارد الاخرى ؟ أم أنه لابد من مستوى عال من العقل نشترطه في المرجع بحيث يتناسب ومهمات هذه المرجعية ؟

وهكذا في صفة (العدالة) الذي يذكرها الفقهاء كشرط في كثير من الأمور كما في امام الجماعة وفي الشهود - شاهدي الطلاق مثلاً - أو شاهدي البيّنة لدى القاضي ، فهل أن العدالة المشترطة في المرجع هي عينها المشترطة في امام الجماعة أو في الشاهد ؟

لقد كان هذا الأمر - وهو الفرق بينهما في المستوى - واضحاً في الأوساط العامة (السالفة) باعتبارها أوساطاً متفقهة وقريبة من العلماء

والمراجع تتعايش معهم وتدركه من خلال الممارسة والتطبيق، فيتناولون هذا الموضوع عن هؤلاء الحواريين والمتفقيين يدأ عن يد ، وفماً عن فم ، وصدرأ عن صدر .. أما الآن وبعد هذه التحولات الكبيرة التي أشرت إليها في عالم اليوم ، فنحتاج إلى أن نقف طويلاً عند هذه الشروط لأجل أن تصبح المواصفات واضحة في رؤانا متناسبة وهذا الموقع من ناحية ، ومع قدرة هذه المرجعية على تحقيق الانجازات الكبيرة والأهداف المقدسة والاستمرار بالمسيرة من ناحية أخرى .

هناك بعض العناوين البارزة في هذه الشروط والمواصفات وهي تحتاج إلى هذه الوقفة والشرح ، بخلاف بعض المواصفات الأخرى التي قد لا تحتاج إلى كثير من الدقة والشرح كما هو الحال مع صفة الذكورة والبلوغ الواضحتين ، وهنا أشير إلى ثلاثة عناوين مهمة :

أولاً: العدالة

من المواصفات التي تستحق النظر طويلاً صفة العدالة ، وهي كما يعرفها بعض الفقهاء : بالملكة وبالصفة النفسية الروحية الثابتة في نفس الانسان من خلال الممارسة المستمرة والتربية الطويلة ، بحيث تمنع صاحبها من الوقوع في المحرمات أو ترك الواجبات ، وهي حسب تعريف بعض الفقهاء الآخرين : الالتزام بجادة الصواب والاستقامة فيه والتمسك بالواجبات وترك المحرمات . ولكن في المرجع لابد أن نشترط درجة عالية من العدالة تتناسب مع هذا الموقع الهام ، وهي عدالة تمثل امتداداً وانعكاساً لشرط العصمة الذي نلتزم به في الأئمة الأطهار عليهم السلام ، حيث إننا كما نشترط عقلاً وشرعاً في الإمام العصمة ؛ فلا بد في المرجع الذي يمثل هذا الإمام أن يكون بمستوى من العدالة يتناسب مع هذا

التمثيل للمعصوم وموقع النيابة عنه .

وسأتناول في توضيح هذا الموضوع مجموعة من الاختبارات وتجسيدا للسلوك ، تتميز من خلالها عدالة المرجع بمستواها المطلوب عن العدالة العامة في الموارد الأخرى .. فان العدالة بمعنى حسن الظاهر المطلوبة في امام الجماعة والشاهد أو بمعنى الالتزام والاستقامة بأن يصلي المرجع ويصوم ويحج عند الاستطاعة ويخمس ويزكي ماله المتعلق به الخمس والزكاة ، وغير ذلك من الواجبات أو ترك المحرمات ... إن هذا الالتزام هو من الأمور الواضحة مصداقاً عند المراجع فلا يمكن أن يكون ذلك أساساً في اختبارات السلوك والاستقامة ، إذ لا نتوقع أن نرى أحد المراجع لا يصلي أو لا يصوم وهو صحيح البدن ، ولا نتوقع أن يشك بذلك أحد من الناس ، بل لا نجد هذا النوع من الانحراف حتى عند المدعين (زورا) للمرجعية أو غير المؤهلين لها في العدالة المطلوبة في المرجعية ، بل لابد من اختبارها في عدة قضايا أخلاقية وسلوكية أخرى ترتبط بطبيعة المرجعية ومهامها ، وهنا أشير إلى بعضها :

أ - العدالة وحب الرئاسة :

أحد الاختبارات التي يجب أن يفحص عنها المؤمنون والخبراء والمتفقهون لمعرفة تحقق شرط العدالة في المرجع والتي يمكن أن نستلهمها من أحاديث أهل البيت عليه السلام هو الفحص عن مقدار حب هذا المرجع للدنيا وزهده فيها من خلال حبه للرئاسة والشهرة وزهده فيهما ، وما هو مقدار حبه للفعاليات التي يبذلها في الدعوة والدعاية إلى نفسه أو الاعراض عن ذلك ؟ .

لقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تأكيدهم الشديد على حرمة حب

الرئاسة ولعنهم لها أو الاهتمام بالمناصب وبالشهرة^(١)..
فأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أحق الناس بالولاية والمنصب والحكم من
بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، كان يؤكد هذا المفهوم كما جاء في نهج البلاغة
تأكيداً عليه عليه السلام لإعراضه وبعده عن طلب الرئاسة والمنصب ورفضه
للتصدي لذلك إن لم تكن فيه المصلحة العامة ومصلحة المسلمين
بالذات «.. فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود
الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت
حبلاً على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألقيت دنياكم هذه عندي أزهد من
عفطة عنز...»^(٢) ، يريد عليه السلام أن يبينها إلى هذا الأمر الهام في اختيار السلوك
والعدالة .

ولذلك نرى في الأوساط الدينية أن إحدى الانتقادات المهمة التي
سجلت على بعض الأشخاص الذين ادعوا المرجعية بعد وفاة الإمام
الحكيم عليه السلام هو ملاحظة الاندفاع الكبير في بذل الأموال لطبع الصور
ونشرها في المجالات وفي الدعاية لهذه المرجعية أو تلك .. وهي مسألة
غير سليمة ، إذ لا ينبغي أن يكون الترويج للمرجعية بهذه الطرق التي
تشبه إلى حد بعيد طرق الدعايات التي تستخدمها الشركات التجارية
لترويج بضائعها والابتعاد عن طبيعة الشروط الواقعية الإسلامية
المطلوبة في المرجعية .

المرجعية لها قدسية كبيرة ولها موقع معين ، وأنا لا أريد - هنا - أن
أنكر على أحد طبع صور هذا العالم أو ذاك ، فذلك أمر طبيعي في أن

(١) راجع أصول الكافي ٢: ٢٩٧ - ٢٩٩، باب طلب الرئاسة، ولقد اخترنا هذه الروايات الثلاث التي
تفسر بعضها بعضاً، الأولى معتبرة عبد الله بن مسكان، والثانية معتبرة أبي حمزة الثمالي،
والثالثة معتبرة محمد بن مسلم.

(٢) نهج البلاغة : الشقشقية ، خطبة رقم ٣ .

يحتفظ المرء المؤمن بصورة المرجع أو العالم الذي يرتبط به في بيته تعبيراً عن حبه وتقديره له ، كما أن من الطبيعي أيضاً أن يعبر المؤمن عن حبه وولائه السياسي للمرجعية عندما يرفع صورة المرجع في المناسبات واحياء الشعائر والتظاهرات ، ولكن أن يكون الترويج للمرجعية بهذا الأسلوب والتعريف بها من خلال الاعلام العام بعيداً عن الموازين الواقعية وبعيداً عن ضوابط هذه الموازين التي لا بد من تثقيف الناس عليها فهذا هو الشيء المرفوض لأنه يعبر عن حب الزعامة والمنصب والرئاسة والشهرة بأي طريق جاءت .

هذا الحب هو من الابتلاءات الكبيرة التي يبتلى ويمتحن بها العلماء المتصدون ، لأن غيرهم من الأصناف قد يمتحن ولكن بشيء آخر ، التاجر مثلاً عندما يبتلى ويمتحن بدينه لا يبتلى بالصلاة والصوم ، وإنما بمعاملاته في السوق وفي كيفية اهتمامه بمطابقة عقوده التجارية التي يجريها مع الأحكام الشرعية ، والشاب عندما يمتحن في دينه يبتلى في السيطرة على شهواته الجنسية والعاطفية وسلوكه العام .. وهكذا الحال بالنسبة للفلاح والعامل والمرأة والطالب ، بل وجميع الناس ، فإن قانون الامتحان عام ، ولكن يختبر الانسان فيه بما يتناسب مع طبيعة مواصفاته الذاتية أو طبيعة أعماله الاجتماعية .

أما المرجع فإن من أهم ما يبتلى به من أمور خطيرة هو الامتحان بحب الرئاسة والزعامة والموقع ..

وقانون الابتلاء والامتحان ، قانون عام وشامل لا يفرق فيه زمان ومكان عن زمان ومكان آخر بالنسبة لبني الانسان ، وحتى الانبياء ﷺ تعرضوا للامتحان والابتلاء ... والمرجع يتعرض أيضاً إلى أنواع خاصة من هذه الامتحانات والابتلاءات ... وإحداها هي قضية حب الرئاسة وحب

الشهرة ، فلا بد أن يراقب الانسان المتصدي والمرجع العام من خلال موقعه وبشكل دقيق هذا الأمر ويرى مدى حبه لهذه الرئاسة ولهذه الشهرة ولهذا الموقع الخطير ..

وقد عشنا فترة طويلة عاشرنا فيها علماء وأفاضل كراماً ومراجع عظاماً كانوا يراقبون في أنفسهم هذا الجانب مراقبة شديدة ، ويتورعون عن كل ما يمتّ إلى هذا الحب بصلة .

ب - العدالة ومهادنة الظلم

لقد ابتلي مراجع الاسلام في مختلف العصور بظاهرة حكام الجور والظلم ، وكانت هذه الظاهرة هي إحدى الاختبارات الأخرى لعدالة المرجع ، فما هو الموقف من حكام الظلم والجور ومن ظاهرة الظلم والطغيان والاستبداد ؟

تفرض هذه الظاهرة موقفاً معيناً على المرجع باعتباره المتصدي لأُمور الأمة وإدارة شؤون المؤمنين فلا بد له من أن يقف الموقف المناسب من قضيتي الظلم والعدل ، ومن خلال تاريخ أهل البيت عليه السلام وسيرة مراجعنا الصالحين العظام نلاحظ أنهم كانوا يقفون دائماً في مواجهة الظالمين موقف الإنكار لهذا الظلم بدرجة تتناسب والظروف المحيطة بهم والأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة في المجتمع إلا أن أصل «الرفض» كان أصلاً ثابتاً في مواقف أهل البيت عليه السلام والمراجع أيضاً .

كما أن مسألة التعاون مع الظالمين أو مهادنة الظالمين تعد من القضايا المهمة المرفوضة التي تقف حائلاً ضد ما يفرضه الواجب الالهي من السعي لتحقيق العدل والدفاع عنه وإقامته بين الناس .. ولذلك نجد أن أئمة أهل البيت عليه السلام على اختلاف ظروفهم وأوضاعهم السياسية كانوا

يشتركون جميعاً في موقف واحد تجاه مقارعة الظلم واقامة العدل بين الناس وكان أحد المصاديق الواضحة هو موقفهم من مقاومة الظالمين وعدم التعاون معهم .

فمثلاً نلاحظ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان له ظرف معين ويعيش في أوضاع سياسية خاصة ، والإمام الحسن (عليه السلام) كان له ظرف آخر وهكذا الحال بالنسبة للإمام الحسين (عليه السلام) الذي عاش ظرفاً متميزاً ، كذلك بالنسبة لبقية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) حتى غيبة الإمام الحجة المنتظر (عليه السلام) ، ولكن مع اختلاف ظروف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كلها نجدهم جميعاً اشتركوا بموقف واحد ثابت ضد الظلم والظالمين والطغيان والاستبداد ، وإن كان يختلف في مستواه ودرجته ، وكان هذا الموقف واضحاً في أوساط الأمة مهما اختلفت درجة هذا الموقف تبعاً للظروف التي عاشها كل إمام منهم ، من درجة الإمام الحسين (عليه السلام) وهي درجة المواجهة المطلقة والتضحية المطلقة ، إلى درجة الإمام الرضا (عليه السلام) الذي بلغ به الحال أن يكون ولي العهد للمأمون العباسي ، ولكن مع قبوله (عليه السلام) بولاية العهد ، نجد أن له نفس الموقف الراض للظلم ، وتمثل ذلك برفضه لهذه الولاية حتى ألجأه المأمون لها بالتهديد بصورة واضحة عرفها الناس ثم بوضعه (عليه السلام) شروطاً لقبول تلك الولاية توضّح موقف الرفض ، مثل شرط عدم التدخل في أي أمر من الأمور التنفيذية للخلافة ، مما يوضّح للناس الموقف تجاه الظلم والطغيان .

وهذه المواقف هي التي تفسر وتبيّن لنا ردّة الفعل التي وقفها الظالمون المستبدون تجاه موقف الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، فكانت تتمثل هذه الردّة في العدوان والمطاردة والمحاصرة والقتل والاغتيال التي تعرّض لها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منذ زمن الإمام علي (عليه السلام) إلى زمن غيبة الإمام

الحجة المنتظر عليه السلام .

ولابد أن يكون الموقف من الظالمين دائماً موقف الرفض مسجلاً بدرجة ما مهما كانت الضغوط التي يمارسها الظالمون ثقيلة وقاسية ضد المرجع الديني ، ولنا في أئمة أهل البيت عليهم السلام أسوة وقدوة ، فقد مورست ضدهم ضغوط كبيرة جداً باعتبار موقعهم الاجتماعي ودورهم في الأمة حتى بلغت هذه الضغوط حد التهديد والحصار ودرجة الخطورة والانذار بالقتل وتنفيذ ذلك فيهم عليهم السلام .

ج : العدالة ، والحرص على مصالح الأمة الإسلامية

إن تقديم المرجع لمصالح الأمة على المصالح الخاصة له ، وكذلك رعاية المرجع لمصالح الأمة في حركته ونشاطه من الأمور الهامة جداً في اختبارات العدالة وشرط من شروط المرجعية الصالحة ، وذلك لأن المرجع هو ولي أمر هذه الأمة ، وكما هو الحال في ولي اليتيم الذي لا بد له من رعاية مصالح اليتيم ليكون ولياً شرعياً صالحاً ، وكما هو الحال في ولي الوقف الذي لا بد له من رعاية مصالح الوقف ليكون ولياً صالحاً ، فإن قصر أحد منهما في رعاية شؤون هذه المصالح يعتبر خارجاً عن العدالة وتسقط ولايته لأمر اليتيم والوقف ، كذلك الأمر في ولي الأمة ، بل الأمر فيه أولى إذ لا بد له من رعاية مصالحها ليكون ولياً صالحاً وعادلاً في ولايته .

ثم أن موضع الاختبار الحقيقي في هذا المجال ليس مجرد الاهتمام بمصالح الأمة بصورة عامة فحسب ، بل عندما يحدث التزاحم والتضاد بين مصالحه ومصالح الأمة فهل يقدم المرجع مصالح الأمة ، وقضاياها على مصالحه الخاصة وشؤونه الخاصة ؟ .

أو يقدم مصالحه الخاصة على مصالح الأمة ، بحيث يرى المرجع

نفسه أنه أصبح هو الأمة كلها بمصالحها وشخصيتها وشؤونها !!
 وإذا تحدثنا عن مصالح الأمة ، فلا بد أن نقف قليلاً لمعرفة
 وتشخيصها ، فهناك مفردات كثيرة للمصالح العامة نشير إلى أهمها :
 الأولى : مفردة العقيدة الاسلامية السليمة ومقاومة الضلال
 والانحراف والابتداع ، والمحافظة على القواعد والضوابط الأصيلة في
 العلم والمعرفة والاستنباط للفكر الاسلامي والحكم الشرعي وخط
 (الاجتهاد) الصحيح في الدين لمواكبة تطور المجتمع الانساني .

الثانية : الدفاع عن بيضة الاسلام والمحافظة على الوجود والكيان
 الاسلامي الذي يحافظ على هذه البيضة ، وعلو الكلمة الالهية في الأرض
 لتصبح كلمة الله هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى .

إن اختبار اهتمام المرجعية بمثل هذه المفردات والقضايا في موازنة
 الاهتمامات العامة مثل بارز في معرفة توفر هذا الشرط في المرجعية
 الصالحة .

الثالثة : مفردة ابلاغ الرسالة الاسلامية والدعوة الالهية لهداية الناس
 واخراجهم من الظلمات إلى النور والتخطيط لايقالها وتعميمها وبذل
 الجهود من أجلها وتحمل المصاعب والآلام والمحن في سبيل ذلك .

الرابعة : مفردة الشعائر الاسلامية العامة ، والمحافظة على البنية
 الاجتماعية الاسلامية في الأمة مثل إقامة الصلاة ، والانفاق في سبيل
 الله ، واحياء مواسم العبادة كشهر رمضان ، والزيارة كحج بيت الله
 الحرام والعتبات والأماكن المقدسة ، والشعائر والمجالس الحسينية ،
 وغيرها من المصاديق التي لها دور الحصن والصور الذي يحمي
 المجتمع الاسلامي ويقوي فيه روح المناعة والمقاومة .

الخامسة : مفردة التزكية والتطهير في السلوك العام لأبناء الأمة ،

وتربيتهم تربية صالحة ولا سيما الأوساط المهمة التي تتعرض بشكل أكثر إلى الأضرار الروحية والمعنوية ، كالقوى العاملة والشباب والفتيان والنساء .

السادسة : مفردة الحوزة العلمية التي تعتبر من أهم المؤسسات الاسلامية والمصالح العامة التي عرفتھا الأمة طوال تاريخھا ، فما هو مدى اهتمام المرجع بها وتطويرھا في جانبھا الكمّي والعلمي ، وفي مضمونها الروحي والمعنوي ومن أدائها وقيامھا بمسؤولياتھا الدينية الاسلامية ، وفي الدفاع عنها والمحافظة على وجودھا وقديسيتها واستقلاليتها ؟ .

السابعة : مفردة كلمة الأمة والانسجام بين صفوفھا ، وعلاقة الولاء والحب والتعاون والتناصر بينها ، واحترام مشاعرھا وخياراتھا المشروعة واعطائها حقھا من الرقابة والنصيحة والمشورة والرعاية .

الثامنة : مفردة القضايا المصيرية التي تواجهھا الأمة في حركتها ذات العلاقة بالعزة والكرامة أو الاستقلال والحرية والعيش الكريم مثل قضية فلسطين ، وقضايا الاستبداد والطغيان ، وقضية الهيمنة الأجنبية ، أو قضية التبعية السياسية والثقافية ، والغزو الفكري والثقافي ، أو قضية الفساد الأخلاقي والاجتماعي أو قضية الفقر والجهل والمرض .

د - العدالة واختيار مساعديه ومستشاريه (الحاشية)

لا شك أن المرجع باعتباره يمثل هذا الموقع الممتاز في الأمة ، ويتحمل المسؤوليات الكبيرة في العمل لا يمكن أن يدير أعماله ونشاطه بدون جهاز اداري واستشاري ، ووجود حاشية من مستشارين ومساعدین ، ولا بد أن يتناسب ذلك مع حجم وطبيعة العمل الواسع الكبير الذي يؤديه المرجع ، لذا فان وجود الحاشية بهذا المعنى في

أوساط المراجع أمر ضروري ، وليس أمراً زائداً وفضولاً ، كما قد يتصوره بعض السذج أو الجهلاء ، بل وجودها قضية أساسية لا يمكن الاستغناء عنها لانجاز المهمات الملقاة على عاتق المرجع .

ومن هنا يصبح اختيار وتشكيل هذا الجهاز الاداري والاستشاري من موارد الاختبارات لعدالة المرجع المطلوبة ، حيث يمتحن المرجع في هذه الحاشية ، في مواصفاتها وخصوصياتها وسلوكها ، وفي أن تكون هذه الحاشية صالحة ، ولديها الشعور العالي بالمسؤولية تجاه موقع المرجعية ومهامها ، وتعامل باخلاص وموضوعية مع قضايا المرجعية وتحت رقابة المرجع .. أو أن تكون مهمتها وظيفية تتعامل تعامل الموظفين ادارياً وتنظر للقضايا من خلال هذه المهنة والحرفة هذا من جانب .

ومن جانب آخر ، يجب أن تتصف الحاشية بالعقل والتقوى ، إذ لا بد للمستشار أن يكون من أهل العقل والدين والتقوى والورع ، لا مجرد أن يكون ملتزماً بالاسلام فقط ، بل لا بد للحاشية أيضاً أن تكون من أهل المعرفة والخبرة في قضايا المجتمع ، وحسن التدبير والادراك فيها ، لتقوم بدورها المناسب لموقع المرجعية إلى غير ذلك من المواصفات الضرورية التي لا بد أن تشترط في هذه الحاشية^(١) .

وبصورة اجمالية ، فإن احدى الابتلاءات والاختبارات التي يتعرض لها المرجع - كامتحان قاس - هو موضوع اختيار (الجماعة) التي تحيط بالمرجع والتي يعتمد عليها في حركته ويدير من خلالها أعماله ونشاطاته في الأمة ومدى انسجامها مع سلوك وأهداف المرجعية

(١) لقد تناولنا موضوع شروط المستشارين الاسلامية في كتابنا الحكم الاسلامي بين النظرية والتطبيق : ١٣٢ ، وموضوع الحاشية الصالحة في كتابنا الامام الحكيم : ٨٢ .

الصالحة ، واختيار المرجع للمستشارين والمساعدين الجيدين ورقابته على أعمالهم وحركتهم من أهم معالم الاختيار .

هـ- العدالة والحرص على بيت المال :

قضية المال والأموال والتصرف فيها تبقى هي القضية المهمة والبارزة للاختبار في كل مراحل التاريخ الانساني ، وقد أكد القرآن الكريم عليها باعتبارها من أكثر القضايا الاجتماعية والانسانية حساسية . فلقد جعل القرآن الكريم المال «فتنة» ، ثم تعرّض لدور الأموال في حركة المجتمع سلباً في افساده وايجاباً في اصلاحه وتطوره ، ثم في موضوع الانفاق للمال واخراج الحقوق الشرعية منه ودفع الصدقات ودورها في الحياة الانسانية ، سواء في تحقيق التكامل الانساني ، أو في تحقيق العدالة الاجتماعية أو في تحقيق النور والتطور أو في تحقيق القوة والمنعة أو في تحقيق الانسجام ، كما يفهم ذلك من الهدف من أخذ الزكاة وموارد الصرف فيها ، ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ... ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ (١) .

ولذلك تكون طريقة التعامل مع الأموال من القضايا المهمة جداً في امتحان العدالة بالنسبة للمرجعية الصالحة .

وفيما عاصرناه من المراجع وجدنا في كيفية التعامل مع هذه الأموال وانفاقها في مصالح الأمة بطريقة عادلة بعيدة عن القضايا الذاتية والمصالح الشخصية ، احدى المواصفات المهمة في التمييز ، وجدنا - مثلاً - بعض المراجع يوزّع المال على جميع الطلبة سواء كانوا ينتمون

إليه انتماءً جغرافياً - أي من بلده وقومه - أو لم يكن لهم هذا الانتماء - بل كانوا من بلدان أخرى كإيران وأفغانستان وباكستان وغيرها .. وبعض المراجع الآخرين كانوا يعطون جماعة معينة فقط من الطلبة وإن زاد شيء من المال انتقلوا في عطائهم إلى الجماعة الثانية ثم الثالثة وهكذا .
ورأينا بعضهم الآخر يخصص المال للطلبة وحدهم ويترك المجالات الدينية الأخرى والتي لا تقل أهمية في قضايا مصالح الأمة عن مجال الطلبة .

كما أن بعض المراجع رأيناهم يدققون في الصرف ولا سيما على ذويهم وأصحابهم ، وبعضهم كان يتسامح في ذلك .
وقد يكون لكل واحد منهم مبرراته الخاصة في هذا النوع من الانفاق أو ذاك ولكن المهم أن هذا الموضوع هو أحد الاختبارات المهمة للعدالة المطلوبة في المرجعية .

ثانياً : شرط العقل

الشرط الآخر الذي يذكره الفقهاء عادة هو شرط العقل ونحن نعرف بأن العقل في فقهاء الإسلام هو من شروط التكليف ، والإنسان لا يتوجه له تكليف بأمر أو نهي في الشريعة الإسلامية ما لم يكن متصفاً بالعقل ، فلا تجب الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا الزكاة ولا أي تكليف آخر من التكاليف الشرعية إلا بتوفر هذا الشرط (العقل) فهو شرط عام في كل التكاليف ، لكن السؤال هنا : ما هو هذا العقل الذي يشترط في هذه التكاليف ؟ وبعد ذلك : هل أن العقل الذي نشترطه في المرجع هو نفس هذا المستوى من العقل الذي يشترط في هذه التكاليف ؟

العقل : عبارة عن القوة التي أودعها الله في الإنسان ، ليدرك بها

الأشياء ويميّز بينها ، وعندما يصل الإنسان في رشده الإدراكي وفهمه للقضايا والأشياء إلى حد يكون قادراً على التمييز بينها ويعرف الأسود من الأبيض ، كما يمثلون أو يعرف الجمرة من التمرة كما يصطلح عليه في اللغة العامية ، يسمى مميزاً ، وتترتب عليه أحكام خاصة ، أما عندما يكون الإنسان لديه هذه القدرة ، ويعرف الصالح من الفاسد ، أو الشر من الخير ، عندئذ يكون هذا الإنسان انساناً رشيداً عاقلاً ويتوجه إليه التكليف العام من قبل الله سبحانه وتعالى ، وهو ما نراه في عامة الناس ، فإن عامة الناس يتصفون بالعقل عادة عند البلوغ باستثناء من يبتليهم الله سبحانه وتعالى ببعض الابتلاءات المرضية أو النفسية ، بحيث يفقدون هذه القدرة والذين يعبر عنهم بالمجانين ، هذا الجنون تارة يكون جنوناً ثابتاً في هذا الإنسان ، كحالة عامة وأخرى يكون جنوناً أدوارياً يصاب به الإنسان في بعض الأوقات والحالات ، بحيث يفقد هذه القدرة على التمييز العام المطلوب للأشياء في بعض الحالات ويرجع إلى هذه القدرة في بعض الحالات الأخرى .

هذا العقل الذي نعبر عنه بالشرط العام للتكليف يبدو أنه من الأمور الواضحة ووضوحه أيضاً ناشئ من أنه صفة عامة قائمة وموجودة في عامة الناس ، ومن ثم يصبح قضية يدركها الناس كبقية الصفات التي تكون موجودة في الناس بصورة عامة كبعض الغرائز والأعراض .

يبقى السؤال الآخر المهم هو : هل يشترط في المرجع هذا المستوى العام من العقل الذي يكون شرطاً في التكليف ، ونكتفي في المرجع بعد عدالته ، بأن يكون قادراً على تمييز الصالح من الفاسد من الأشياء بصورة عامة ، كما يميزها عموم الناس في ادراكاتهم ومعرفتهم ؟ أو نشترط في المرجع مستوى أعلى من ذلك ؟

يبدو من خلال النصوص الموجودة عن أهل البيت (عليه السلام) - وهي كثيرة جداً، وتحتاج إلى بحث ومتابعة^(١)، ولكن اكتفي هنا - بذكر هذا الموضوع على مستوى الاثارة، ويمكن للسادة الأفاضل والأخوة الأعزاء الذين لديهم المستوى العلمي المناسب وهذا النوع من الاهتمام في البحث أن يتابعوا الموضوع في النصوص التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليه السلام) فيما يتعلق بموضوع العقل^(٢).

في هذا الموضوع نلاحظ أنه لا بد في هذا العقل من أن تتوفر فيه مجموعة من المواصفات تحدده وتشخصه، يتحقق بذلك هذا الشرط في الانسان الذي يتحمل مثل هذه المسؤولية العظيمة ويحتل مثل هذا الموقع وهذه الصفات هي:

الأولى: الخبرة وحسن التدبير والادارة في القضايا التي يمارسها الانسان في عمله، يعني أن يكون خبيراً وأن يكون مديراً ومدبراً، فقد ورد في تعريف العقل عندما سئل الإمام الرضا (عليه السلام): «ما العقل؟ فقال:

(١) أقول مع الأسف أن هذا الموضوع من الأبحاث التي لم يتم بحثها بصورة مستوعبة للوصول فيها إلى نتائج عملية وضوابط علمية في الاستنتاج.

(٢) هناك عدد كبير جداً من النصوص بحيث يمكن أن نقول بأنها مستفيضة حتى لو لم يكن كل واحد منها يتصف بمواصفات الاعتبار «والحجية» ولكن كثرة هذه النصوص ووجودها في المصادر المختلفة والمتعددة في مواصفاتها وخصوصياتها يمكن أن يستنبط ويستفاد منها معنى كلي اجمالي يناسب ما سوف اطرحه في هذه الإثارة من فهم لهذا العقل.

ويمكن بمراجعة عامة لهذه النصوص في بعض المصادر ككتاب (ميزان الحكمة) تحت عنوان مادة (العقل) التي يفرد لها عدداً كبيراً جداً من النصوص تبلغ المئات والتي تتعلق بالحديث عن العقل وتعريف العقل وما ينبغي الاتصاف به من مستوى بالنسبة إلى المتصدين لمثل هذه المقامات ولمثل هذه الأعمال والمواقع ومنها هذه المرجعية الدينية.

وهكذا مراجعة مادة العقل في (كتاب سفينة البحار) من أجل التعرف على النصوص التي وردت حول هذا الموضوع في كتاب البحار، وبذلك يمكن أن يخرج الانسان من خلال المراجعة العامة لمثل هذه النصوص الكثيرة المتوافرة بنتيجة تتصف بالوثوق والاطمئنان بالنسبة إلى مثل هذه الأفكار المطروحة.

التجرع للغصة ، ومداهنة الأعداء ، ومداواة الأصدقاء»^(١) ، أي أن يكون هذا الانسان لديه من حسن التدبير وادارة الأمور مع الناس بحيث يكون قادراً على أن يداري هؤلاء الأصدقاء فيكسبهم ويجعلهم يسيرون في الخط الصحيح المطلوب ، وأن يداهن هؤلاء الأعداء بطريقة يتجنب شرهم وضررهم ويحاول أيضاً أن يصل إلى هدفه من خلال هذه المداواة والمداهنة ، كما جاء في بعض النصوص الأخرى :

«انه لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ...»^(٢) ، يعني أن هذا الانسان إذا أراد أن يحقق العقل ، فإن أفضل صور هذا العقل وأفضل مصاديق هذا العقل وتجسيديات هذا العقل هو أن يكون هذا الانسان انساناً مدبراً في عمله وفي سلوكه ومنهجه ، وهكذا نجد مجموعة من النصوص تعبر بطريقة ما عن هذا المضمون ، وهو أن العقل في كون هذا الانسان انساناً لديه خبرة في الممارسة والعمل الاجتماعي ولديه أيضاً حسن ادارة لهذا العمل الاجتماعي .

وهذا الأمر يتناسب كما قلت مع الموقع الذي تحتله المرجعية باعتبارها قيادة للأمة ، وباعتبار أن لها القيمومة على عمل الأمة وحركتها ، باعتبار أنها مرجعية للأمة في حوادثها ، كما ورد ذلك في التوقيع المروي عن الإمام المنتظر^(عليه السلام) : «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم ...» .

الثانية : أن يكون لدى الانسان الفهم الصحيح للواقع السياسي والاجتماعي الذي تعيشه الأمة وتعيش فيه الجماعة بحيث يعرف هذا الواقع والعوامل المؤثرة فيه ، ويكون لديه التحليل السياسي

(١) أمالي الصدوق : ٣٥٨ ، مجلس ٤٧ حديث ١٨ .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم برقم ١١٣ .

والاجتماعي الصحيح للأوضاع السياسية والاجتماعية ، وهذا الأمر - أيضاً - من الأمور المهمة في موضوع العقل ، وقد نفهم هذا الأمر من خلال بُعد العلم نفسه ويكون مرتبطاً بمفهوم العلم إذا أردنا أن نوسّع دائرة مفهوم العلم فيكون عالماً بالواقع السياسي والاجتماعي المُعاش . لكن نلاحظ في نصوص العقل - عندما يكون الحديث عن العقل - أن هذه النصوص تشير إلى هذا الموضوع في بُعد العقل ، وكأنه يُراد لهذا الانسان أن يكون متصفاً بدرجة من الادراك والتمييز للأشياء بمستوى يكون عارفاً بما يجري حوله من أمور ، ويميّز في هذه الأمور بين الصالح والطالح ، وبين الخير والشر ، وبما ينفع الناس وما يضرهم ، إلى غير ذلك من الشؤون ذات العلاقة بحركة هذه الأمة وأوضاعها الخاصة وفهم خطط الأعداء ومواقف هؤلاء الأعداء ، تلك المواقف الثابتة التي يعبر عنها بالاستراتيجية والمواقف المتحركة التي يعبر عنها (بالتكتيكية) ، يعني أن معرفة مثل هذه الأمور في الواقع الاجتماعي من الخصائص العقلية التي يحتاجها هذا الانسان ، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بحسن المعرفة بالأمور العامة ، أما أن يكون هذا المرجع انساناً بسيطاً أو ساذجاً ومن ثم لا تكون لديه تلك القدرة على معرفة ما يجري حوله فيتعامل مع القضايا بظواهرها الأولية والبدوية ويتفاعل مع هذه الظواهر الأولية والبدوية في مواقفه انطلاقاً من فطرته وأحاسيسه النبيلة ، فهذا لا يمكن أن يكون من العقل المطلوب في هذه المرجعية .

ومن أجل توضيح هذه الفكرة نذكر مثال من علم الاصول وهو : إننا في علم الاصول نبحث عن الظهور وحجّيته ويذكر العلماء بأن الظهور الذي يكون حجة هو الظهور الثابت والمستقر ، يعني الظهور الذي ينتهي إليه الانسان في فهم الكلام بعد دراسة النص بكل ملابساته وبقرائنه

اللفظية المتصلة به أو المنفصلة عنه وبالقرائن والظروف الحالية التي تحيط بذلك النص وظروف صدوره .

وعندما يستقر الظهور بالنسبة إلى هذا النص يصبح هذا الظهور حجة، أما لو كان الظهور ظهوراً بدوياً ، ظهوراً لأول وهلة بدون الفحص عن القرائن وانه سوف يتغير الظهور بالتأمل والمقارنة ، فهذا الظهور البدوي لا يكون حجة ولا يصح الاستناد إليه .

وهذا الأمر ينطبق على الفهم السياسي والاجتماعي للأحداث والقضايا ولذلك الفهم الأولي البدوي لها لا يكون حجة ، ولا يصح ترتيب المواقف عليه ولا يمكن أن يكون مرجعاً لهذا الانسان ، بل لابد لهذا الانسان الذي يريد أن يقود الأمة ويريد أن يوصلها إلى أهدافها ومصالحها ومنافعها ويجنبها الأخطار التي تحيط بها له لابد في هذه الحالة من وجود الفهم وادراك عقلي لها مستقر .

وهذا الموضوع هو أيضاً من الموضوعات المهمة التي لابد أن نشترطها في العقل ، كذلك لابد أن نشترط في المرجع العام الذكاء والخبرة والفهم والادراك العميق للأشياء وحسن التدبير من أجل أن نوفر هذا الشرط ، شرط العقل ، العقل الذي يقصد منه الحكمة في مقابل السذاجة والبساطة ، وفي مقابل حالة الاسترسال للأشياء دون تأمل وتفكير وفهم لها .

ولذلك ، نحن نلاحظ مثلاً في الدستور والقانون الأساسي للجمهورية الاسلامية ، عندما وضعت شروطاً للقائد العام الذي طرح في البداية بعنوان المرجع الديني العام للأمة أخذ هذا الشرط من الشروط الرئيسية والأساسية في هذا القائد وهذا المرجع ، باعتبار أن هذا الشرط من الشروط الشرعية التي تستفاد من النصوص والروايات الواردة عن أهل

البيت عليه السلام .

ففي بعض هذه النصوص التي وردت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :
«أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه»^(١).

والأقوائية يراد منها هذا المعنى من (العقل) والادراك والتمييز
للأشياء .

الثالثة : أن يكون هذا المرجع ممن يمتلك منهجاً واضحاً في التعامل
مع القضايا والأحداث ومسيرة هذه الأحداث ، هذا المنهج الواضح فيه
مفردات عديدة وكثيرة ، ومن مفرداته ما نعبر عنه (بالعقيدة السياسية)
أي مفردة فهم الولاية وموقع هذه الولاية في حركة الأمة ، وإن هذه
المرجعية هي امتداد للإمامة وامتداد للولاية الإلهية إلى غير ذلك من
القضايا الأخرى ذات العلاقة بعقيدة منهاج الحركة والعمل السياسي
والاجتماعي الذي يسير عليه هذا المرجع .

هناك مجموعة من العناوين نشير إليها فيما يتعلق بموضوع المنهج
الذي هو من القضايا المهمة جداً^(٢) :

من جملة العناوين التي يمكن أن نذكرها في مفردات هذا المنهج
قضية (الحوزة العلمية) وموقع الحوزة العلمية ودور هذه الحوزة
العلمية في حركة الأمة والنظرية الإسلامية في الحركة ، وكذلك موضوع
(الدولة الإسلامية) وموقع الدولة الإسلامية والكيان السياسي الإسلامي
في فهم هذا المنهج .

(١) نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٧٣ .

(٢) أما أن يكون المرجع انساناً مضطرباً في مسيرته لا يعرف كيف يتحرك، وما هو منهجه
وما هي خصوصياته ولا يعرف موقع الولاية من موقع المرجعية، ولا يعرف موقع المرجعية
من موقع المؤسسة أو الحزب والمنظمة أو غير ذلك، فأحياناً يرى المرجعية فوق الحزب مثلاً
وأحياناً يرى الحزب فوق المرجعية، أو يرى المؤسسة فوق هذه المرجعية، أو أن المرجعية
فوق هذه المؤسسة، فهذا يناقض شرط العقل المطلوب.

أما أن يكون المرجع في يوم من الأيام مع وجود الكيان السياسي للإسلام وفي يوم آخر لا يكون مع وجود الكيان السياسي الإسلامي، أو يكون المرجع في يوم مع فهم الولاية ودورها، وفي يوم آخر يفهم الولاية بمعنى خاص محدود وفي يوم آخر لا يفهمها، كما نشاهد أحياناً بعض الناس من يفهم الولاية العامة للمسلمين كما يفهم الولاية على يتيم أو على وقف أو يفهمها ولاية على مدرسة أو على مؤسسة مع أن هناك فرقاً بين هذه الولاية وبين تلك الولايات .

ومن جملة المفردات في هذا المنهج، قضية (المصالح الإسلامية العليا) وترتيب الأولويات بين المصلح في الاهتمام، أو عندما تتزاحم هذه المصالح في مرحلة التنفيذ، إذ لا شك أن المصالح العامة أمام حركة الإنسان تبدو كثيرة جداً ومتعددة، ولكن هذه المصالح بعضها أهم من بعض وبعضها أولى من بعض، فلا بد لهذا الإنسان المرجع أن يشخص الأهم والأولى منها ليوليها الاهتمام الأكبر، وكذلك عندما تتزاحم المصالح ولا يتمكن الإنسان من أن يجمع بين تحقيق كل هذه المصالح في آن واحد، فلا بد له من أن يقدم بعضها على بعض وحينئذ إذا لم تكن لدى المرجع خبرة اجتماعية وعقل اجتماعي كامل فقد ينتهي به الأمر إلى أن يقدم المهم على الأهم^(١).

(١) فمثلاً في الأحداث التي تجري الآن في أفغانستان نلاحظ وجود مجموعة من المصالح والمفاسد في هذه الحركة، لكن هنا أي مصلحة من المصالح تقدم؟ هناك مصلحة الدفاع عن هؤلاء المؤمنين الذين يذبحون ويقتلون في أفغانستان حيث تجري عمليات إبادة لهم بصورة واسعة، وهذه مصلحة من مصالح المسلمين مهمة جداً وقد سمعنا بيان آية الله السيد الخامنئي حفظه الله تعالى عندما تحدث عن هذا الموضوع فقد كان يعبر عن حرقه قلب ويتفجر عاطفة وألماً واحساساً بالمحنة. وتوجد هناك مصلحة أخرى هي مصلحة المحافظة على هذا الكيان السياسي الإسلامي في الجمهورية الإسلامية في مقابل الأخطار التي كانت تحيط به ولا تزال مصلحة المحافظة على الأوضاع العامة للمسلمين ووحدة وعدم تمكين الاستكبار العالمي من فرض الهيمنة على المسلمين من خلال النزاع والصراع الدموي.

وعندما تكون أمامنا مجموعة من المصالح والمفاسد فهنا نحتاج إلى المنهج ، وان تكون لدى المرجع رؤية كاملة للأولويات في هذه المصالح حتى يمكن أن يكون المنهج منهجاً صحيحاً يرتبط بموضوع العقل ، ولعل هذا الشيء هو الذي نعبر عنه بالحكمة ، كما يقول القرآن الكريم : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم﴾ (١).

كما أن الحكمة قد تكون أمراً مرتبطاً بموضوع معرفة السنن والقوانين التي تتحكم في مسيرة المجتمع الانساني والتي تكون معرفتها من مفردات المنهج الذي لابد للمرجعية الصالحة من الالتزام به . ومن جملة مفردات هذا المنهج التمييز بين دور الأمة ومسؤوليتها من دور القيادة ومسؤوليتها .

فنحن نلاحظ وقوع الكثير من الأحداث وإلى مواقف الناس تجاهها مختلفة ، فبعض الناس نجده يقول : انه لو صنع الناس كذا ، لكانت النتائج كذا ، وتجد في - نفس الوقت أحيانا - آخرين يقولون تجاه الحدث نفسه : لو صنعت القيادة كذا لكانت النتائج كذا ، يعني أن بعضهم يلقي بالمسؤولية في النتائج على عاتق القيادة وبعضهم يلقي بالمسؤولية على عاتق الأمة وبعضهم أيضاً يخلط في المسؤولية ، ولابد في هذا (المنهج) من تمييز مسؤولية القيادة ودورها ومسؤولية الأمة ودورها . من مفردات هذا المنهج تمييز وتشخيص الواجبات والوظائف والظروف المحيطة بحركة الأمة والمجتمع والشروط المطلوبة والعوامل المؤثرة ، فان لذلك تأثيراً بالغاً على طبيعة المواقف والقرارات ولهذا السبب نجد الاختلاف في الأدوار والمواقف لأئمة أهل البيت (عليه السلام) ،

مع أن هدفهم واحد ومعرفتهم بالأشياء على مستوى واحد وإرادتهم وقرارهم ينطلق من قاعدة واحدة ، ومع ذلك نرى إن اماما من أئمة أهل البيت (عليه السلام) - أحيانا - يقف موقفاً يختلف عن الموقف الذي وقفه الإمام الآخر، بل نجد في بعض الأحيان الإمام الواحد (عليه السلام) يتخذ موقفين مختلفين، وهذه المواقف إنما اختلفت باعتبار وجود هذا التمييز في دور الأمة وموقع الأمة وحركة الأمة ، والظروف المحيطة بهذا الدور .

هذا المرجع الديني الذي يتعامل مع قضايا المسلمين ومع مصالح المسلمين ، ويتعامل مع الأمة الاسلامية في حركتها ، ومع الجماعة الصالحة مهما كانت قدرته على بسط يده وفاعليته محدودة ، ولكن مساحة حركته تبقى واسعة وكبيرة ، وحينئذ فلا بد أن يكون قادراً على التمييز بين هذه المصالح والمواقف والأدوار التي يجب أن يقوم بها ، حتى يتمكن أن يصل بهذه الأمة في حركتها إلى أهدافها وإلى مصالحها . إذن فلا بد في هذا العقل الذي نشترطه في المرجع ، أن يكون المرجع وافر الخبرة وحسن الادارة والتدبير أولاً ، وأن يكون هناك فهم صحيح للواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه هذا المرجع وتعيشه الأمة التي يكون مسؤولاً عنها ثانياً ، وثالثاً أن يكون لديه منهج واضح في هذه الحركة الواسعة .

وأحد الأمور التي يجب أن ننتبه إليها هي قضية العقل في مقابل السذاجة ، فإذا كان المرجع انساناً ساذجاً ليست لديه القدرة على تقدير الموقف الصائب والتحليل السياسي الدقيق ؛ فلا يصلح للمرجعية العامة بمعنى ادارة الأمور المهمة للأمة الاسلامية وللجماعة الصالحة^(١) .

(١) لقد نبه الامام الخميني (قده) إلى هذا الأمر في إحدى رسائله الحاسمة للأمة وأكد على ذلك بصورة واضحة وصريحة.

ثالثاً: شرط العلم

المرجع الصالح لابد أن يكون عالماً، وفي موضوع العلم هذا تبرز عدة أبعاد:

البعد الأول: ماهو هذا العلم المطلوب في المرجع الصالح؟

البعد الثاني: ماهو مستوى هذا العلم المطلوب؟

البعد الثالث: كيف يمكن أن نحصل على توفر هذا الشرط وكيف يمكننا معرفته في المرجع الصالح؟

أما ما يتعلق بالبعد الأول (العلم المطلوب) فالعلماء يذكرون - عادة - في رسائلهم العملية، بأن المطلوب في المرجع، أن يكون مجتهداً في الفقه، وفي حال تعدد المجتهدين، والاختلاف بينهم في الفتوى، يتحتم الرجوع - عندئذ - إلى الأعلّم منهم في موارد الاختلاف، أو الاحتياط بين آراء هؤلاء العلماء ..

أما في حال عدم اختلافهم في الفتوى فيكفي الرجوع إلى العالم المجتهد .. هكذا يذكر الفقهاء في رسائلهم العملية.

ولكن لابد لنا - في هذا الموضوع - أن نرجع إلى البحث السابق في خصوص موقع المرجعية ومسؤوليتها في الفتيا، فان القدرة على الفتيا تحتاج إلى درجة علمية يعبر عنها بالاجتهاد أو ملكة الاستنباط للحكم الشرعي. ولا شك أن من يرجع إليه في معرفة الأحكام والفتاوى المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .. لابد أن تتوفر لديه القدرة على معرفة الحكم الشرعي واستنباطه بالأدلة التفصيلية، هذا مع غرض النظر عن البحث في حركة الاجتهاد ومفهومه التي مرت بأدوار مختلفة ومتعددة في التاريخ الاسلامي.

أما إذا كانت المرجعية عامة وليست مرجعية في الفتيا فقط، وإنما كانت مرجعية في الفتيا وفي الأمور الاجتماعية وفي تشخيص مصالح

المسلمين وشؤونهم الحياتية ، كما هو الحال في المراجع الدينيين الذين عرفناهم - بصورة عامة - طوال تاريخنا الاسلامي منذ الغيبة الكبرى للإمام الحجة المنتظر (عج) ، ولا سيما في عصرنا الحاضر .. ، فإن هؤلاء المراجع الكرام ، وإن كانوا قد مارسوا دورين رئيسيين :

أحدهما : هو الفتيا والآخر هو القضاء ... ولكن كان إلى جانب ذلك دور ثالث يمارسه المرجع أيضاً هو دور الولاية في ادارة بعض شؤون المسلمين من قبيل الولاية للأوقاف التي لا ولي لها .. وكذلك ولاية الأيتام والقاصرين الذين لا ولي لهم ، وولاية الشؤون العامة .. كولاية التبليغ إلى الله والاسلام والهدي والارشاد إلى الله تعالى ، وولاية الجهاد والمقاومة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل ذلك مارسه العلماء والمراجع في أدوار مختلفة ولم يقتصر دورهم على الفتيا وبيان الحكم الشرعي فقط .

هذا الدور الآخر للمرجعية الذي ذكرته يحتاج إلى علم آخر ولا يكفي فيه مجرد الاجتهاد في الفقه بمعنى القدرة على ممارسة عملية استنباط الحكم الشرعي من خلال الأدلة التفصيلية ، وإنما نحتاج أن تكون لدى (المرجع) الخبرة بالواقع الموضوعي الخارجي القائم بين المسلمين . فمثلاً موقف الجهاد في سبيل الله تعالى يحتاج إلى المعرفة بقدرة المسلمين وبامكاناتهم المادية والمعنوية من ناحية ، والمعرفة بقدرة الكافرين والمنافقين والمهاجمين وغيرهم من الأعداء الذين يقومون بأعمال عدوانية ضد الاسلام من ناحية أخرى .

فالجهاد فقهيّاً يشترط فيه شروط من جملتها القدرة على القيام بهذا العمل ، ولكن القرار بالجهاد الذي هو شأن الولاية يحتاج إلى معرفة بهذه الامكانات وامكانات الآخرين حتى يعطي المرجع القرار بالجهاد مثلاً . فإذا كانت ولاية الوقف أو ولاية القاصر تحتاج إلى معرفة شؤون

الوقوف نفسه ومعرفة وضع القاصر ومصالح هذا القاصر ، بل ومعرفة المفسد والمصالح الموجودة والتي تترتب على تلك الأوضاع ، ثم معرفة القدرة على المقارنة بين المصالح والمفسد ، وتقديم الأهم على المهم ، إلى غير ذلك من الشؤون المهمة ذات العلاقة بالوقوف أو القاصر ... فكذا لا بد أن نفترض أن ولي إدارة الحوزة العلمية مثلاً يحتاج إلى المعرفة بشؤونها وبمصالحها وبأهدافها وبطرق تطويرها وسبل كمالها وإيصالها إلى المراحل العالية للنهوض بمسؤولياتها وواجباتها ، وهكذا الحال في جميع الأمور العامة الأخرى ، وكذلك ولي الجهاد ، لا بد أن نفترض فيه المعرفة بقوة المسلمين وقوة الأعداء والظروف المحيطة بهذا العمل الجهادي .

وإذا كان يشترط في المرجع العلم بهذه الأمور كلها وبجميع تفاصيلها فهنا قد يثار : كيف يراد لهذا المرجع أن يكون عالماً بتفاصيل الأمور العسكرية مثلاً؟! فان إدارة عمليات الجهاد والمقاومة تحتاج إلى العلم بالشؤون العسكرية .. وكذلك الحال في علمه بالشؤون المالية فان إدارة بعض القضايا تحتاج إلى علم بالشؤون المالية ، وهكذا الحال في الأمور الأخرى التي تدفع الحاجة إليها إلى وجود العلم بها .

هنا لا بد أن نلتفت إلى أن المقصود من العلم بهذه الأمور ليس في أن يكون الشخص المتصدي للمرجعية عالماً بكل هذه التفاصيل ودقائق أمورها من أولها إلى آخرها ... لأن المرجع لا يدير هذه الأمور بنفسه ، وإنما من خلال الأجهزة والمساعدين والمستشارين ، وإنما يكون المقصود من العلم هو أن يكون المرجع هو الذي يقود العملية ومن ثم فلا بد له من القدرة على الاستفادة من المختصين وخبرتهم في تلك المجالات ، وأن يكون قادراً على إعطاء رأيه وموقفه القيادي وقراره الحاسم بكل قضية من تلك القضايا بعد أن ينظر فيها .

لأنه مع عدم وجود مثل هذه القدرة لديه في الاستفادة من المختصين وتمييز هذه الأمور ، ولو من خلال خبرات الآخرين واستشارتهم ؛ فإن القرار سوف لا يكون قراره ، بل يكون قرار غيره ، فلا بد إذن من وجود مثل هذه الخبرة والمعرفة وحسن الإدارة ، ليتمكن من اعطاء قراره الحاسم في القضية الاقتصادية ، والقضية المالية والقضية العسكرية ، فمثلاً في القضية المالية ، حيث يريد القاضي أن يحكم بأن هذا المال هو مال فلان من الناس ، لا بد له من أن يجري اختبارات وفحوصاً للوثائق والمستندات التي يرجع فيها إلى أهل الخبرة والاختصاص ، وكذا في القتل وتشخيص القاتل فربما يحتاج إلى مختبرات لفحص الدم وبصمات الأصابع حتى يكتشف الحقيقة وهكذا الحال في بقية الموارد ..

وعليه فلا بد من أن يكون العلم بدرجة تتناسب مع هذه الولاية وتتناسب مع هذا القضاء ومع الدور الذي يضطلع به المرجع في العمل الاجتماعي والسياسي .

المستوى المطلوب من العلم

أمّا البعد الثاني فيما يتعلق بموضوع مستوى هذا العلم ، فقد ذكرنا أن المستوى لا بد أن يكون هو الاجتهاد في فرض عدم الاختلاف بين المجتهدين في الفتوى ، وأمّا في موارد الاختلاف بينهم فيطلب أن يكون مستوى العالم المجتهد هو الأعم - أعلم المجتهدين - .

ولكن يبقى السؤال عن المستوى المطلوب من الاجتهاد .

الاجتهاد له مستويات ثلاثة كلها مطلوبة في هذا المرجع^(١) :

(١) هذه المستويات من الأمور الواضحة في الحوزة العلمية، لكن باعتبار التوسع الكبير الذي شمل الحوزة العلمية نفسها من ناحية، والتوسع في انتشار أتباع أهل البيت (ع) في كل العالم من ناحية أخرى، وتحول العالم تدريجياً إلى بلد واحد، أصبحت مثل هذه الأمور يلغها بعض الغموض.

المستوى الأول : ما يعبر عنه بالاجتهاد المتجزئ وتعريفه قد يحتاج إلى بحث طويل في امكانه أو عدم امكانه ، ولكن - بناءً على ما هو المعروف من امكان وجود هذا الاجتهاد - الفكرة العامة الموجودة عنه لدى فقهاءنا هو أن تكون للعالم القدرة في أن يبحث بعض الأبواب الفقهية، باب أو بايين أو ثلاثة أو أكثر، وبذلك يمكن أن يعطي هذا المجتهد رأيه في العبادات دون المعاملات مثلاً، أو بالعكس في المعاملات دون العبادات .. فمثل هذا الشخص يطلق عليه (مجتهد متجزئ) وليس مجتهداً مطلقاً إذ انه لا يمكنه أن يرد في كل الأبواب الفقهية فضلاً عن استنباطه لكل الأحكام فعلاً .

وهذا المستوى من العلم والاجتهاد لا يسمح للمقلدين بالرجوع إليه، ولا أن يصبح المتصف به مرجعاً دينياً، بل لابد أن يكون مستواه العلمي أعلى من ذلك .

نعم يمكن لهذا المجتهد أن يعتمد على رأيه في المسائل الخاصة التي استنبطها أو أن يطرح أفكاراً اسلامية وفقهية ناجزة من خلال عمله العلمي .

المستوى الثاني : أن يكون مجتهداً مطلقاً بالفعل ، وإنما بالقوة ، بمعنى أن لديه الملكة والقدرة على أن يرد في كل مسألة من المسائل الفقهية ويصل إلى استنباط حكمها الشرعي ، ويمتلك معلومات في علم الأصول والحديث والرجال كافية لتحقيق ذلك ، لكن نفترض فيه انه لم يدخل فعلاً في بعض أبواب الفقه ، فلم يستنبط شيئاً - مثلاً - من باب القضاء ، غير أن لديه القدرة في أن يدخل في بحث هذا الباب ، وهكذا باب الديات والحدود ، وغيرها ، ويستطيع استنباط الأحكام الشرعية فيها ..

فمثل هذا الاجتهاد يسمى بالاجتهاد المطلق لوجود القدرة على ممارسة هذه العملية بصورة مطلقة وفي كل الأبواب الفقهية واستنباط الأحكام الشرعية لكل منها وهذه هي الدرجة الثانية .

المستوى الثالث : الاجتهاد المطلق الفعلي ، فالاجتهاد المطلق كما عرفنا هو أن يكون الانسان قادراً على أن يردّ في كل مسألة من مسائل الشريعة وفي مختلف الكتب الفقهية - كتاب الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الحج ، الخمس إلى كتاب المعاملات ، الأطعمة والأشربة ، كتاب الديّات وغيرها - مما تناولته الكتب الفقهية .. ولكنه لم يرد فعلاً في بعضها ، أما الاجتهاد المطلق الفعلي فهو أن يكون لدى هذا الانسان مضافاً إلى ما ذكرنا من هذه القدرة ، الممارسة الفعلية لبحث كل هذه المسائل وأن يتوصل إلى الاستنباط فيها وبيان حكمها وهو ما يعبر عنه - عادة - بالرسالة العملية ، أي أن تكون لديه رسالة عملية شاملة لكل هذه الأبواب الفقهية. وهذا المستوى هو المستوى المطلوب في مرجع التقليد في الفتيا.

إن فمراجع التقليد : هو شخص اجتهد بالفعل وتوصل إلى هذه المسائل وأعطى رأياً فيها وهذه هي الدرجة العليا للاجتهاد .

إن العلم المطلوب في المرجع الديني : علم واسع يتناول الفقه والأصول ويشمل في الوقت نفسه - كما عرفنا سابقاً - المعرفة ذات العلاقة بالمسؤوليات الكبيرة التي تتحملها المرجعية .

وقلنا بأن مستوى هذا العلم لابد أن يكون على مستوى الاجتهاد المطلق الفعلي للوصول إلى الأحكام الشرعية والمواقف العملية التي حددها الشارع المقدس ، وأيضاً يكون على مستوى العلم الفعلي الذي يوصله إلى التصورات الاجتماعية والسياسية فيما يتعلق بالمسؤوليات الأخرى .

إحراز العلم المطلوب في المرجع

وبعد أن افترضنا أن هذا العلم لابد أن يكون بهذا المستوى ، هنا يبرز السؤال التالي : كيف نصل إلى تحقق وجود هذا الشرط في المرجع الصالح الذي لابد من الرجوع إليه في الحوادث ، كما أمرنا بذلك سيدنا ومولانا الإمام الحجة المنتظر (عج) في ما روي عنه من التوقيع المعروف؟.

في هذا الموضوع يذكر الفقهاء في رسائلهم العملية - عادة - أن الطريق لمعرفة هذا العلم أمّا أن يكون الشيعاء الذي يبلغ حد التواتر والوثوق بوجود هذا العلم ، أو أن تقوم البيئة الشرعية على وجود هذا العلم في هذا المرجع الصالح .. والبيئة عادة يحددها الفقهاء بشهادة عدلين خبيرين بوجود هذا العلم في هذا المرجع الصالح .

ويكتفي بعض العلماء بالوثوق الذي هو درجة أقل من درجة العلم، بحيث تتحقق حالة من الركون والوثوق والاطمئنان النفسي بوجود هذا المستوى من العلم لدى هذا العالم المرجع .. وبناءً على هذا الرأي يكون الاطمئنان والوثوق حجة شرعية فيكتفي هؤلاء بهذا المستوى من المعرفة أيضاً .

هذا هو الأمر الذي يذكره الفقهاء في رسائلهم العملية - عادة - ولكن نواجه مشكلة فيما يتعلق بهذين الطريقتين اللذين يحددهما العلماء في رسائلهم العملية في ظروف أوضاعنا العملية وأوضاع الحوزات العلمية ، هذه المشكلة ليست دائمة وإنما تحدث في كثير من الأحيان ، وهي مشكلة تعدد المراجع الذين يطرحون أنفسهم لهذا الموقع الهام مع وجود شهادات متعددة بحد البيئة في الأوساط العلمية لهؤلاء المراجع .. بحيث يمكن أن نقول : إن التواتر الذي يؤدي إلى حصول العلم الشخصي

واليقين والاطمئنان لا يتحقق بخصوص هذا المرجع أو ذاك المرجع لوجود شهادات متعددة من قبيل وجود اثنين أو ثلاثة أو أربعة يشهدون لمرجع في مكان ، وفي مكان آخر يشهد ثلاثة أو أربعة أو أكثر لمرجع آخر وهكذا ..

صحيح أن كل واحدة من هذه الشهادات - لو أردنا أن نقومها في نفسها بدقة تكون أحياناً - شهادة كاملة ، ويمكن أن تكون بيئة شرعية - أيضاً - يعتمد عليها في مقام الرجوع إليها والاستناد إليها في معرفة هذا العلم .. ولكن مع وجود البيئة الأخرى التي تشهد في الجانب الآخر أي لمرجع آخر ، هنا تحصل عندنا ظاهرة يعبر عنها علم الاصول بظاهرة التعارض بين البيئات ، ومع وجود التعارض بين البيئات لا يمكن عندئذ الاستناد إلى هذه البيئة ولا إلى تلك البيئة ، إذ لو كانت هذه البيئة وحدها ، دون غيرها كان يكفي وجودها في إحراز العلم المطلوب ، ولكن مع وجود ظاهرة تعدد المراجع والشهادات المتعددة لهم التي هي من الظواهر المعروفة في كثير من ظروفنا الاجتماعية والحوزوية ، فما هو الموقف تجاه هذا الموضوع ؟

وهذا الأمر يحتاج إلى المزيد من التوضيح ، لأجل أن تصبح هذه القضية المهمة واضحة وهي معرفة وجود هذه الصفة وهذا الشرط الهام في المرجع ، بحيث يمكن أن يصل الانسان المؤمن المتدين إلى الحقيقة في هذا الموضوع .

العلماء والسلف الصالح^(١) والمحققون كانوا ينظرون إلى عدة أمور

(١) أنا لا أرغب في تناول جميع أطراف هذا الموضوع، وإنما أحاول أن أشير إلى الأساليب التي كان يتبعها سلفنا الصالح والعلماء الفضلاء والمحققون في الحوزات العلمية، بحيث يمكنهم من خلالها الوصول إلى هذا الشرط، وهي في ذات الوقت تحقق ما ذكره العلماء الفقهاء من شرطين رئيسيين فيما يتعلق بالطريق للوصول إلى هذا المرجع، وهذا المستوى المطلوب من العلم.

وقضايا مهمة تعبر عن مؤشر لهذه الحقيقة بحيث تؤدي إلى تلك النتائج التي أشار لها الفقهاء في رسائلهم العملية بصيغ محددة .

الأمر الأول : وهو يرتبط بأصل وجود هذا المستوى من العلم وهو الاجتهاد المطلق الفعلي بالنسبة لهذا المرجع ، حيث نلاحظ أن هذا المرجع لابد أن يكون مرجعاً معترفاً به في هذه المؤسسة العلمية المتخصصة وهي الحوزة العلمية ، وان هذه المؤسسة بعلمائها ومدرسيها وفضلائها وطلابها يكون فيها اجماع أو رأي عام بقبول اجتهاده المطلق الفعلي ، وهذا الرأي العام يحقق الأمر الذي ذكرناه في موضوع الشيع والتواتر ، إذ يتحقق العلم أو الاطمئنان بأن هذا الانسان هو بمستوى من العلم يصل إلى هذه الدرجة العلمية والفضيلة الفقهية وهي درجة الاجتهاد المطلق الفعلي الذي يتمكن من خلاله أن يكون انساناً صالحاً للمرجعية .

إذن ، فلا بد من الاهتمام بهذه القرينة العلمية في استكشاف هذه الحقيقة ، كما هو الحال في كل الشؤون المماثلة التي نشاهدها في عصرنا الحاضر والعصور السابقة .. أي أن أية درجة علمية عالية لا يمكن القبول بها ما لم نرجع إلى المؤسسة التي تربي مثل هؤلاء العلماء .. فالأطباء مثلاً لا يمكن القبول بادعائهم لمستوى عال من الطب ما لم يكن هناك اعتراف من قبل المؤسسات الطبية والجامعات العلمية التي تخرج الأطباء في هذا الوقت .. وبدون هذا الاعتراف لا يمكن قبول مثل هذا الطبيب بهذا المستوى العالي .. وهكذا الحال في المهندس وكل المجالات الأخرى ذات البعد العلمي المناسب وحتى في القضايا الحرفية والمهنية نلاحظ ضرورة ذلك .

فعلى سبيل الفرض صفة الدقة في مهنة صياغة الذهب والمجوهرات

ذات الطبيعة الفنية الدقيقة ، فإننا نجد أن أول مدخل لمعرفة اتصاف الانسان بهذه الصفة الفنية ، هو الرجوع إلى المؤسسة التي يتخرج منها مثل هؤلاء الأشخاص .

وفي المرجع أحياناً يكون الموقف اجماعياً للمؤسسة والحوزة العلمية تجاهه ، وأخرى يكون على شكل رأي عام في هذه المؤسسة بحيث يحصل الاطمئنان بوجود هذه الدرجة من العلم عند هذا المرجع .. وهذا في الواقع يمثل إحدى الضمانات المهمة التي وضعها أهل البيت (عليه السلام) في تخطيطهم لمؤسسة الحوزة العلمية ، وهذه الضمانة تشبه ضمانة المعجزة التي وضعت من قبل الله سبحانه وتعالى ، لمعرفة صحة دعوى النبي وسد الطريق أمام أدعياء النبوة .

والخلاصة هي أن : اعتراف هذه المؤسسة بهذا المرجع هي الضمانة التي يمكن أن نحرز من خلالها في المرجع هذه الدرجة العلمية ونسد الطريق بذلك على أدعياء المرجعية .

الأمر الثاني : الذي يمكن أن نأخذه بنظر الاعتبار هو وجود الكتب والمؤلفات التي تصدر عن هذا العالم .. وهذه المؤلفات لا يمكن للشخص العادي أن يشخصها ويقيم محتواها .. بل تبقى المؤسسة العلمية هي المصدر الذي يمكن أن يمحس هذا التأليف وهي التي تميز وتقيم محتواه من خلال ذلك ، ويمكن معرفة هذا العالم والمستوى العلمي الذي يتميز به ، والكثير من علمائنا الأعلام ومراجعنا الكرام عرفوا في الأوساط العلمية من خلال مؤلفاتهم قبل أن يعرفوا من طريق آخر ، فبعض هؤلاء المراجع لم تكن لديه فرصة للاحتكاك الواسع بالأوساط العلمية أو بالحوزة - مثلاً - أو أن يتحرك عليهم ، بل كان منصرفاً إلى حد كبير إلى العلم وطلبه والتدريس ومن خلال التأليف عرفت الحوزة العلمية مستواه في علمه وفهمه .

فقضية المؤلفات تعتبر من المؤشرات المهمة في الأوساط العلمية، لمعرفة مستوى العلم الذي يمتاز به هذا المرجع أو ذاك .

الأمر الثالث : الذي يمكن أن يوصل الانسان إلى هذه الحقيقة والتحقق من وجود هذا المستوى من العلم هو وجود التلامذة والطلاب ، فالحوزات العلمية بحسب طبيعة عملها حوزات ولودة ، والولادة فيها ذات طبيعة ذاتية أي ديناميكية حسبما يعبرون ، يعني تمتلك صفة التوالد الذاتي ، فالانسان فيها يدرس في الحوزة وفي الوقت نفسه يدرس أيضاً فيها ويعتبر هذا العمل جزءاً مهماً من ممارساته العلمية ، أما أن يكون معزولاً عن المجتمع وليس له طلاب أو أفراد يربيههم فهذه قضية نادرة جداً في أوساط الحوزات العلمية ، ولا أقول ليس لها وجود مطلقاً ، ولذلك نجد أن العلماء المتميزين يكون لديهم عادة طلاب يتميزون أيضاً بالعلم والفضل ، وكما هو معروف في الحوزات العلمية فان قضية العلم تأتي بالدرجة الأولى في الاهتمام ، وانتاج هذا العالم لطلابه وتميزهم بالعلم هو بنفسه مؤشر على المستوى العلمي العالي الذي يتصف به هذا العالم . إذن فهناك عدة مؤشرات أولها اعتراف الحوزة العلمية ، ووجود الرأي العام بقبول هذا العالم المجتهد فيها ، وثانيها موضوع المؤلفات العلمية المتميزة المعروفة في هذه الأوساط ، وثالثها الطلاب المعروفون بالفضل ومستواهم العلمي .

هذه المؤشرات الثلاثة يمكن أن تخدم قضية الشيعاء وحصول درجة الاطمئنان والثوق إن لم تكن درجة اليقين في بعض الأحيان .

ومع كل ذلك فقد توجد حالة رابعة ليس لها قاعدة مضبوطة ، بل هي قضية ذات طبيعة انسانية ذاتية ترتبط بالانسان وثقته من خلال المعاشرة والممارسة الميدانية بهذا المرجع أو ذاك ، فقد تتحقق لدى

الانسان من خلال معاشرته الميدانية لهذا المرجع قناعة ذاتية فيرى فيه شخصاً فاضلاً عالماً يتميز بالدقة والشمول والاحتياط والتورع والانتباه إلى الخصوصيات وذلك من خلال ممارسة شخصية عالية جداً لكل الأمور بحيث تكون الممارسة من قبل هذا الشخص محققة لدرجة الاطمئنان والثوق والتسليم بالحقيقة .

هذه القضية لا يمكن أن نضعها ضمن ضابطة عامة أو ضمن قانون عام وإنما هي قضية ذاتية كما قلت تبرز من خلال ممارسة شخصية وعلاقات خاصة تؤدي إلى هذا النوع من الاطمئنان والثوق، ولكن لا بد من الحذر فيها من تأثير الميول النفسية أو الهوى والرغبة الخاصة في ذلك .. وهذا الاطمئنان الناشئ من الدقة والورع والفحص في الوصول إلى النتائج يكون حجة شرعية لدى بعض المجتهدين ، لكنها حجة شرعية ذات طبيعة ذاتية كما قلت وليست كضابطة عامة أو قانون عام يمكن طرحه كمؤشر للوصول إلى هذه الحقيقة ... أما الأمور الثلاثة الأولى التي ذكرتها فهي تشكل ضابطة وقانوناً يعتمد عليهما في الوصول إلى الحقيقة .

وأؤكد وأنبه في هذا المجال على أن لا يكون لعامل الهوى - الميول الخاصة - بمعناه الواسع تأثيره على النتيجة ، فربما يرغب انسان في عالم بسبب قربه منه ، أو صداقته له ، أو لأنه من أهل بلده ، أو لكونه جاره ، أو لأنه يتحدث بطريقة جيدة مفيدة ، أو أنه على مستوى عال من المجاملات الاجتماعية .. وهكذا ، ولأسباب عديدة ذاتية تنمّي فيه حالة الركون والثوق بهذا المرجع ، فانه يجب الانتباه إلى ضرورة تحري الدقة في الوصول إلى الحق وأن لا نقع تحت تأثير هذه العوامل الذاتية وهذه الميول والرغبات .

خديجة الكبرى مثل أعلى للمرأة المسلمة (٢)

عز الدين سليم (العراق)

الايمان الممتحن

تزامنت عملية اقتران السيدة خديجة بنت خويلد برسول الله ﷺ مع ارهاصات عهد النبوة ، وواكبت كافة التطورات الروحية والفكرية التي تعرض لها المصطفى ﷺ ، ليصنع على عين الله عزوجل ، واكبته في دارهما ، وواكبته حتى في غار حراء ، حتى إذا فرض الله الصلاة على النبي ﷺ بعد فرض عقيدة التوحيد ، صلى معه علي وخديجة قبل الناس بسنين عديدة - كما قدمنا - .

وحيث اقتصرت الدعوة بادي ذي بدء - بأمر الله تعالى - على القرابة القريبة من أهل النبي ﷺ ؛ فلم تحدث أية معاناة من أعداء الهدى ، إذ كان المشركون ينظرون إلى رسول الله ﷺ في بداية دعوته كما لو كان راهباً أو رجلاً من الأحناف الذين يمارسون الصلاة والقربات لله تعالى أحياناً ،

ولذا لم تستفزه صلاته وطوافه في الكعبة جهارا ..

حتى إذا أمر بالدعوة العامة التي ابتدأت بدعوة عشيرته الأقربين
﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ... ﴾^(١) على تفصيل معلوم من مصادر التاريخ
وال تفسير وما تلاها من تخريب لمهمة النبي ﷺ بواسطة عمه الخبيث أبي
لهب^(٢) ، وما تبع ذلك من سب النبي ﷺ للأوثان التي يعكف عليها
المشركون والتنديد بها والدعوة الصريحة لله الواحد الأحد عز شأنه .
انفجر الموقف بين قريش ورسول الله ﷺ على أشد ما يكون الصراع .
فبدأت الحرب النفسية ، والإعلام المضاد ، والضغط العائلي والقبلي ،
وبدأت عمليات التعذيب النفسي والجسدي للمستضعفين من أتباع
النبي ﷺ ودعوته .

كما أصاب رسول الله ﷺ منهم الكثير الكثير من الأذى المادي
والمعنوي :

اتهموه بالسحر والشعوذة ، والجنون والكذب والضلال ، كما ألقوا
القدارات والنجاسات على بدنه الشريف ، ووضعوا الأشواك في طريقه
من أجل إيذائه .

ومن الطبيعي أن كل ذلك وغيره كانت السيدة خديجة تشهده
وتعيشه ، وكانت تشد من أزر النبي ﷺ وتعينه وتقف إلى جانبه ليتخطى
عقبات الطريق رافع الرأس شامخا .

وما أعظم أن يجد الانسان الداعية إلى رسالة حق ، أن يجد زوجة تقف
إلى جنبه وتشجذ همته ، وتساهم في توفير مستلزمات الصمود له .
وهكذا كانت السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقد كانت صدقته في

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) الطبري ٦١ : ٢ وما بعدها .

دعوته منذ بداية الشوط ونهضت معه بالتكاليف الالهية ، وكلما ضاق صدره من جاهلية قومه ، وامتألت نفسه حسرة من ضلال المشركين ؛ كانت السيدة خديجة تنبري لتقول كلماتها الوداعة الحريصة الواثقة :

«ابشر فو الله لا يخزيك الله أبداً ووالله انك لتصل الرحم ، وتصديق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق»^(١).

ان هذه الكلمات تشكل هيكلاً لنبوءة السيدة خديجة عليها السلام بنصر الدعوة وعمق وعيها بصدق محمد عليه السلام في دعوته ، والامداد الغيبي الذي سيأتيه لينصره الله على اعدائه ويعز نصره .. أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا .

ومنذ بداية المسيرة وضعت السيدة خديجة كل أموالها الطائلة المعروفة تحت تصرف رسول الله عليه السلام ^(٢) ، بالنظر لوعيتها ان الدعوة لا بد لها من مال تستعين به في مسيرتها كوسيلة لتحقيق الأهداف الالهية العظيمة يطعم به المساكين من المؤمنين ، وتواري عوراتهم ، وتسد نفقاتهم اليومية ، خصوصاً وان مكة بلد صحراوي يكثر فقراؤه المحتاجون ، بالنظر لعدم وجود سلطة سياسية في البلاد تتولى توزيع الثروات بشكل عادل ، لا سيما وان السياسة الارستقراطية هي التي تحكم المدينة المذكورة ، وتحكم عقول المأمن قريش .

وكان المال في مكة هو سيد الموقف ، وحتى الاصنام التي يعبدونها لتقربهم زلفى إلى الله تعالى - بزعمهم - كان المأمن منهم يتصورها وسيلة لكسب المال ليس إلا ، لأن تردد الناس على اصنامهم المنصوبة في مكة كان وسيلة للتبادل التجاري ، وطريقة لنمو الثروة في أسواق مكة التي

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٧ .

(٢) انظر تراجم اعلام النساء ، الشيخ محمد حسين الاعلمي ٢ : ٥١ ط . بيروت .

يسيطر عليها أصحاب السلطان في تلك المدينة .

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار ان غالبية الذين أسلموا في مكة كانوا من المحتاجين ، أما لمقاطعة ذويهم لهم ، وأما لكونهم في عسر مادي أساساً كالعبيد والفقراء وأشباههم ، ممن فتح الله تعالى قلوبهم للدعوة الالهية الخاتمة ، فلا بد من مصدر مالي مناسب يتوفر للنبي ﷺ من خلاله على سد نفقات المحتاجين من أتباعه .

وهكذا كانت أموال السيدة خديجة مصدراً مادياً أساسياً لدعم الرسول ﷺ ودعوته ، بتغطية نفقات المستضعفين من هذا المال المبارك.

وقد نوهت أسماء بنت عميس إلى ذلك في حوار لها مع عمر بن الخطاب بقولها : «كنتم مع النبي ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم» .

وقد اشتدت الحاجة إلى ثروة خديجة ﷺ عندما حوصر بنو هاشم في شعب أبي طالب ﷺ ، حيث اتخذت قريش من جملة ما اتخذت من قرارات الحصار البغيض : أن لا يبيع أحد بني هاشم والمسلمين المحصورين في الشعب بأي حال من الأحوال ولا يبتاع منهم .

وأقل ما كانت قريش تفعله مع القادمين في موسم الحج أن تفرض عليهم عدم مبايعة أولئك المحصورين إلا بأسعار باهضة جداً أو تنهب قريش أموالهم عنوة !

كما إن الشعب كان مراقباً منعاً من وصول المواد الغذائية للمحاصرين ، حتى اضطر المحاصرون أن يأكلوا ورق الشجر والأدغال ، وكان صراخ أطفالهم يسمع من بعيد بسبب الجوع .

وهذا مصداق واحد من مصاديق محنة الحصار كما ذكرها المؤرخون : «... انتماموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا

الّا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سراً مستخفياً به ممن أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب فتعلق به ، وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فجاء أبو البختری ابن هشام بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ؟ قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البختری : طعام لعمته عنده بعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها خلّ سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ البختری لحي بعير فضربه فشجه ووطئه ووطئاً شديداً وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم ...» (١) .

وبوسع المرء أن يقدر خطورة الموقف وصعوبته إذا علمنا أن الحصار المذكور قد استمر ثلاث سنين أو يزيد .

وكانت أموال النبي ﷺ والسيدة خديجة ﷺ قد استثمرت في معركة الحياة أو الموت هذه لتجهيز الممكن من الأطعمة ولو بأعلى الأثمان . وكان علي بن أبي طالب ﷺ يغامر لا يصلح ذلك الطعام سراً بين حين وآخر ، معرضاً حياته الشريفة للخطر من أجل الاسلام (٢) .

حتى لقد نفدت أموال النبي ﷺ والسيدة خديجة ﷺ على طريق انقاذ حياة المحاصرين والمستضعفين من المسلمين الذين لا يجدون حيلة ، ولا يهتدون إلى سد نفقاتهم سبيلاً .

وهكذا نزلت السيدة خديجة ﷺ من مستوى المرأة التاجرة إلى

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٧٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٣ : ٢٥٦ .

مستوى المرأة المحاصرة مع النبي ﷺ ، حتى ذكر البعض من المؤرخين أن من أسباب وفاتها كان ما عانت به بسبب الجوع والضعف ، حتى قضت شهيدة مظلومة بعد حصار الشعب بمدة وجيزة .

وماذا نقول عن مواقفها من النبي ﷺ ومحنته التي طالت عقداً من الزمان ؟

لقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها تراقب حالة النبي ﷺ عن كثب ، وتعمل بما في وسعها للتخفيف من حجم معاناته الكبيرة الكبيرة من أجل الله تعالى والدعوة الالهية حتى أنها - ولفرط اشفاقها عليه - كانت تدعوه لضرورة النوم والراحة حتى يستريح من عناء ما يلقاه في النهار ، كي يواصل المسير بفاعلية - كما تتصور - فأجابها عليه وعلى آله الصلاة والسلام : «مضى عهد النوم يا خديجة»^(١) .

ولقد كانت تشهد معاناته اليومية وما يلقاه من أولئك السفهاء والأجلاف من أمثال أبي جهل ، وأبي سفيان ، وعقبة بن أبي معيط ، والعاص بن وائل وعمر بن العاص وابن الزبير وأمثالهم من سب واتهام واعتداء مادي صريح ، لا حياء فيه ، ولا شعوراً إنسانياً .

ولقد كان أشدهم عليه عمه أبو لهب الذي كان لا يكل ولا يمل عن الكيد برسول الله ﷺ ودعوته ، ولقد كان يتسلل وراءه ، فلا يدعو النبي ﷺ جماعة إلى الله تعالى ، إلا ويكذبه ليحول بين الناس ودعوة الحق^(٢) .

ولقد كان المصطفى ﷺ يلقى من قومه أشد أنواع البلاء ، فكانوا يلقون الشوك في طريقه ، ويلقون عليه التراب ، ويقذفونه بالحجارة ، ويرمون القاذورات على رأسه وظهره .

(١) في ظلال القرآن للسيد قطب ٦ : ٣٧٤٤ (تفسير سورة المزمل) .

(٢) ن . ج ٦ تفسير سورة المسد نقلاً عن ابن اسحاق وأحمد بن حنبل والطبراني .

ولقد شوه أبو لهب يدمي رجله وعرقوبه بالحجر الذي يرميه به أمام الناس .

«وكان أبو لهب شديداً عليه وعلى المسلمين ، عظيم التكذيب له ، دائم الأذى ، فكان يطرح العذرة والتن على باب النبي ﷺ ، وكان جاره ، فكان رسول الله ﷺ يقول : أي جوار هذا يا بني عبد المطلب ! فرآه يوماً حمزة فأخذ العذرة وطرحها على رأس أبي لهب ...» (١) .

ولقد ألقت قريش عليه سلى بغير أو جزور نتنا وهو ساجد ، فأرسلت السيدة خديجة بنتها الحبيبة فاطمة ؓ وهي لا تزال طفلة غضة فأماطته عن ظهر أبيها رسول الله ﷺ ، وهي تدعو عليهم : «بينما رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش وثم سلى بغير فقالوا : من يأخذ سلى هذا الجزور أو البعير فيفرقه على ظهره ، فجاء عقبة بن أبي معيط فقفزه على ظهر النبي ﷺ ، وجاءت فاطمة ؓ فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع ذلك ، قال عبد الله : فما رأيت رسول الله ﷺ دعا عليهم إلا يومئذ ، فقال : «اللهم عليك الملامن قريش ، اللهم عليك أبا جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط ، وأمية بن خلف - أو أبي بن خلف -» (٢) .

قال عبد الله : ولقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ، وألقوا في القليب - أو قال : في بئر - غير أن أمية بن خلف - أو أبي بن خلف - كان رجلاً بادناً فقطع قبل أن يبلغ البئر (٣) .

ومن متابعة واعية لسيرة الصديقة الطاهرة السيدة خديجة ؓ : يتضح أن محتتها من المشركين كانت مضاعفة ، فمنذ بدأت قافلة الهدى

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٧٠ .

(٢) بحار الأنوار ١٨ : ٢٠٩ .

(٣) بحار الأنوار ١٨ : ٢١٠ وأخرجه النسائي في صحيحه والبيهقي في دلائل النبوة .

تشق طريقها في المجتمع ، وصار المستضعفون وأصحاب القلوب الحية يسمعون صوت الحادي يدعو : ان هلموا إلى الله عز وجل ، ... منذ تلك الأيام المبكرة بدأت محنة السيدة خديجة عليها السلام ، حيث قاطعتها نساء قريش ، فلم يزرنها ولم تتفقدها احداهن ، وصرن يهمنها ويغمنها ، ويفرضن عليها حرباً نفسية مأكرة من أجل ايدائها ، حتى انها لم تحظَ بزيارة احداهن أيام ولادتها ونفاسها ، وأنت خير بحاجة المرأة إلى مثيلاتها أيام الولادة .

كل ذلك من أجل الله تعالى ومحمد والدعوة الالهية المباركة ، وهكذا ربطت هذه المرأة العظيمة كل وجودها وما تملك بمصلحة هذا الدين والمنادي بالحق والايمان محمد بن عبد الله عليه السلام .

وما أعظم ما وصفت به السيدة خديجة عليها السلام على لسان الحق : لسان رسول الله عليه السلام :

«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد»^(١) .

وعاء الكوثر

كان من خصائص السيدة خديجة عليها السلام انجاب ذرية النبي عليه السلام كما نوه النبي عليه السلام مفتخراً بذلك :

«ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء» إذ لم يلد من نساء النبي التسع بعد خديجة غير مارية القبطية .

فقد تحولت السيدة خديجة إلى وعاء للخير والبركة ، وشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها بفضل ولادتها لفاطمة الزهراء عليها السلام التي بارك الله

(١) صحيح البخاري رقم ٢٤١١ في كتاب الأنبياء ، ومسلم رقم ٢٤٣١ في فضائل الصحابة .

تعالى فيها وفي نسلها الطيب ، فكانت الذرية المحمدية المباركة كلها منها: قال رسول الله ﷺ :

«إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه ، وإن الله عز وجل جعل ذرية محمد من صلب علي بن أبي طالب»^(١) .

فعلى اليقين أن رسول الله ﷺ قد أولد خديجة رضي الله عنها : القاسم ، وبه يكنى رسول الله ﷺ ، وعبد الله ويسمى الطيب والظاهر لولادته بعد البعثة المباركة ، وفاطمة الزهراء رضي الله عنها .

وقد توفي القاسم وعبد الله رضي الله عنهما في طفولتهما ، ولم يبقَ لرسول الله ﷺ على قيد الحياة غير فاطمة - التي زوجها رسول الله ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما بعد ، فأنجبت ذرية رسول الله ﷺ - كما أفاد الحديث النبوي الشريف - الذي ذكرناه آنفاً .

وأما إبراهيم بن النبي ﷺ من مارية القبطية فقد توفي هو الآخر صغيراً .

ويبدو من خلال الآثار الواردة عن النبي ﷺ أنه كان يعد انجاب «ذريته» من أهم خصائص السيدة خديجة رضي الله عنها التي امتازت بها دون سواها ، والرسول ﷺ إنما يقصد بذلك «فاطمة» دون سواها ، وإلا فإن

(١) أخرجه بهذا السند العلامة القندوزي في يتابع المودة : ٢٦٦ والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ٢٧٢ وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة : ٧٤ والسيوطي في الجامع الصغير ١ : ٢٣٠ وصدر الحديث : «كنت أنا والعباس جالسين عند النبي (ص) إذ دخل علي فسلم فرد عليه النبي (ص) السلام وقام إليه وعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه ، فقال العباس : يا رسول الله أتحبني ؟ فقال : يا عم والله أشد حباً له مني ، إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا . وأخرج الخطيب في تاريخه ١ : ٢١٦ بالاسناد عن ابن عباس قال : كنت أنا وأبي : العباس جالسين عند رسول الله - وساق مثله - وهكذا أخرجه المحب الطبري في ذخائر العقبين : ٦٧ والرياض النضرة ٢ : ١٦٨ والذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ١١٦ وابن حجر في لسانه ٢ : ٤٢٩ ، والعلامة الزرقاني في شرح المواهب ٢ : ٦ وابن المغازلي الشافعي في مناقبه في ص ٤٩ .

كافة ولده الآخرين قد قَصَّوا صغاراً .

وقد كانت السيدة خديجة عليها السلام قد شعرت بالأسى لفقد ولديها تبعاً :
القاسم ثم عبد الله ، فسألاها رسول الله ﷺ ، وأخبرها انها ستجدهما على
باب الجنة ينتظرانها ، فيأخذان بيدها ، فيدخلانها الجنة .

فعن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : « دخل رسول الله ﷺ على خديجة
حيث مات القاسم ابنها وهي تبكي ، فقال لها : ما يبكيك ، فقالت : دُرّت ديرة فبكيت ،
فقال : يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة ان تجيئي إلى باب الجنة وهو قائم
فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة ، وينزلك أفضلها ؟ وذلك لكل مؤمن ، ان الله عزوجل أحكم
وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها أبداً » ^(١) .

هذا ، وقد ورد هذا الأثر بصيغتين : مرة عند وفاة القاسم عليه السلام ومرة بعد
وفاة عبد الله عليه السلام ، ويمكن أن تصح الروايتان ، إذ يمكن أن يتكرر حديث
النبي ﷺ للسيدة خديجة عليها السلام بتكرر الحادث .

إلا أن الله عزوجل قد عوض رسول الله ﷺ والسيدة خديجة عليهما السلام
بفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، فكانت ذرية النبي ﷺ كلها منها
ومن علي ابن عمه عليه السلام .

بيد أن الراجح أن أكثر ما تسبب في إيذاء السيدة خديجة عليها السلام بعد افتقار
القاسم وعبد الله عليهما الرحمة والرضوان ؛ ان المشركين قد اتخذوا
منها ذريعة لوخر رسول الله ﷺ وإيذائه ، حيث تذكر الروايات الصحيحة
ان سفهاء القوم رأوا رسول الله ﷺ وقد أقبل تواً من دفن أحد ولديه
المذكورين ، فقالوا عنه : انه أبتَر .

« أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس قال : كان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم ... ثم عبد الله ... ثم فاطمة

(١) بحار الأنوار ١٦ : ١٥ - ١٦ عن الفروع ١ : ٥٩ .

فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ثم مات عبدالله . فقال العاص ابن وائل السهمي : قد انقطع نسله فهو أبتَر فأُنزل الله : ﴿ان شأنك هو الأبتَر﴾ .

وفيه أخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : توفي القاسم ابن رسول الله بمكة فمر رسول الله ﷺ وهو آتٍ من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله ﷺ : اني لأشئنوه فقال العاص بن وائل : لا جرم لقد أصبح أبتَر فأُنزل الله : ﴿ان شأنك هو الأبتَر﴾ .

وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : كانت قريش تقول - إذا مات ذكور الرجل - بتر فلان فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل : بتر^(١) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل : بتر فلان ، فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل : بتر محمد ، فنزلت . وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي ، وسمى الولد القاسم ، وأخرج عن مجاهد قال : نزلت في العاص بن وائل وذلك انه قال : انا شائئ محمد^(٢) .

وحيث أن الأبتَر في لغة العرب تطلق أساساً على من لا عقب له ، فقد أدرك النبي ﷺ المقصود الدنيء الذي يرمي إليه سفهاء قريش .

فتلك اشاعة لها صداها ووقعها الشديد في المجتمع العربي البدوي الذي يتكاثر بالذرية ، والذكور منها على وجه الخصوص .

كما يتضح من قواميس اللغة العربية وكما أورد الراغب الاصبهاني

(١) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ٢٠ : ٣٧٢ .

(٢) تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين السيوطي ، تفسير سورة الكوثر .

في المفردات قال : البتر يستعمل في قطع الذنب ، ثم أجري قطع العقب مجراه ، ف قيل فلان أبتر إذا لم يكن له عقب يخلفه .. وقوله : ﴿ ان شأنك هو الأبتري ﴾ أي المقطوع الذكر ، وذلك انهم زعموا أن محمداً ﷺ ينقطع ذكره إذا انقطع عمره لفقدان نسله ..^(١)

ومن أجل ذلك ، فإن الله عز وجل سلّى نبيه وخديجة ﷺ وكشف السر المكنون الذي أعده الله لهما ، حيث نزلت سورة الكوثر المباركة ، لتمسح على قلب رسول الله ﷺ بالروح والندى ، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره الله للنبي وخديجة ﷺ ، وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه من مشركي قريش وأمثالهم :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * ان شأنك هو الأبتري ﴾ وبدلالة الأبتري وبدلالة سبب النزول الذي أورده المفسرون والمؤرخون وأصحاب السنن ، فإن «الكوثر» هو الذرية التي وهبها الله عز وجل لمحمد ﷺ وخديجة ﷺ من خلال ما حباهما بعلي وفاطمة ﷺ ، حيث كانا سبباً في امتداد ذرية رسول الله ﷺ وانتشارها واتساع بركااتها في الأرض .

وكل معنى آخر للكوثر سواء أكان قد ورد في أثر أو حديث صحيح أو احتمله المفسرون ، فإنه من مصاديق الكوثر الذي اعطي لرسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة .

وقد أحسن عبدالله بن عباس ﷺ في تعليقه على من يكتفي باعتبار الكوثر نهراً في الجنة بقوله : هو كوثر من الكوثر^(٢) .

إذ يكون الكوثر - كنهر في الجنة - إحدى مفردات الخير الكثير الذي

(١) المفردات في غريب القرآن ، كتاب الباء : ٣٦ .

(٢) الدر المنثور للسيوطي (تفسير سورة الكوثر) .

حباه الله سبحانه وتعالى رسوله العظيم ، وإلا فإن أعظم خير وأوسع نفعه للإنسانية بامتدادها التاريخي ، هي الذرية المباركة التي وهبها الله لمحمد ﷺ بواسطة الزهراء بنت رسول الله وخديجة ﷺ .

خصوصيات ميلاد الزهراء ﷺ

كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ آخر من ولدتها خديجة ﷺ ، حيث ولدت -على الأرجح- في السنة الخامسة من البعثة^(١) وتوفيت عنها والدتها وعمرها حوالي خمس سنوات .

ولقد كانت ولادة الزهراء ﷺ قد شهدت حالات وأوضاعاً غير عادية بعضها يتعلق بالظروف الغيبية التي ألمّت بتكوين نطفة فاطمة ﷺ ، والامداد الغيبي الذي شمل السيدة خديجة عند ولادتها لفاطمة ﷺ - كما يتضح - إضافة إلى الظروف الموضوعية التي ألمّت ببית النبي ﷺ في تلك المرحلة ، حيث الهجوم المركز على الرسول ﷺ ودعوته من سفهاء قريش وحلفائها .

فبصد تكوين نطفة فاطمة ﷺ وخصوصياتها وردت مجموعة قيمة من الأحاديث والآثار تؤكد أن لنطفة فاطمة ﷺ علاقة بالجنة وثمارها . وقد رويت تلك الأحاديث عن النبي ﷺ بواسطة جابر بن عبد الله الأنصاري والامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عن آبائه ﷺ ، والامام محمد بن علي الباقر ﷺ والامام علي بن موسى الرضا ﷺ عن آبائه ، وعن ابن عباس ، وعائشة بنت أبي بكر وغيرهم^(٢) .

(١) الشيخ الكليني، أصول الكافي ج ١ .

(٢) انظر بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٤٣ : ٤ - ٦ ، حيث نقل الأحاديث عن أمالي الشيخ الصدوق وعلل الشرائع له أيضاً وتفسير علي بن إبراهيم ومعاني الأخبار، هذا وقد ثبت بعض الأحاديث المرحوم عبدالرزاق المقدم الموسوي في كتابه وفاة فاطمة : ٦٠ .

وكنموذج لهذه الروايات نذكر ما ذكره الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام بهذا الصدد : «كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام ، فأنكرت عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة اني لما أسري بي إلى السماء ، دخلت الجنة فأدنانني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلته فحول الله ذلك ماء في ظهري ، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت فاطمة فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى فيها» (١).

وبعد أن حملت السيدة خديجة عليها السلام بالزهراء عليها السلام وحن وقت ولادتها ، كانت يومها تعاني من مقاطعة نساء قريش بشكل مطلق ، حيث اتخذت نساء المشركين قراراً بمقاطعة السيدة خديجة عليها السلام حتى بمجرد السلام عليها ، ودخول دارها .

وحيث لا بد للمرأة اثناء ولادتها من امرأة تلي منها ما تلي النساء من النساء اثناء الولادة ، فإن خديجة عليها السلام قد استبد بها الأسى لهذه الحالة المقيتة ، واغتمت كثيراً وتوجهت إلى الله عز وجل بقلب مؤمل لرحمة الله تعالى وعونه . وهكذا جاء المدد الرباني ، حيث انتدب لها نساء من خارج عالم الشهادة .

وقد تحدث الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام حول ذلك الموضوع حديثاً مفصلاً ، نقتطف منه الفقرات التالية :

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٢٤ : ٦ . وهناك مجموعة كبيرة من مصادر المسلمين تؤكد أن فاطمة (ع) انعقدت نطفتها من ثمر من الجنة جاء به جبرئيل (ع) للنبي (ص) راجع المصادر التالية: ذخائر العقبى للمحب الطبري الشافعي مثله بألفاظ مختلفة : ٣٦ ، وتاريخ الخميس : ١ ، ٢٧٧ . المواهب اللدنية ١ : ١٩٨ ، والحاكم في المستدرک ، أمالي الصدوق ، وعيون أخبار الرضا ، وعلل الشرايع ، والاحتجاج ، لسان الميزان ، اللآلئ المصنوعة ، والمناقب لابن المغازلي وغيرهم .

«عن المفضل بن عمر^(١) قال : قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام ؟ فقال : نعم ان خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرها نسوة مكة فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله فلما حملت فاطمة ...

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء فأرسلن إليها : أنت عصيتنا فلسنا نجىء ولا نلي من أمرك شيئاً فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك ، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففرعت منهن لما رأتهن فقالت احدهن : لا تحزني يا خديجة فإننا رسل ربك ونحن أخواتك : أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم أخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك لتلي منك ما تلي النساء من النساء ، فجلست واحدة عن يمينها ، وأخرى عن يسارها ، والثالثة بين يديها ، والرابعة من خلفها ، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة»^(٢).

وهكذا ولدت سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله في تلك الظروف القاهرة التي تذيب القلوب القاسية ، إلا أن رحمة الله وعنايته

(١) المفضل بن عمر الجعفي .

ترجمة المفضل بن عمر الجعفي الكوفي رضوان الله عليه كما ذكرها العلماء الأبرار ، قال الشيخ المفيد في إرشاده «هو من شيوخ أصحاب أبي عبد الله (ع) وخاصته ، وبطانته ، وثقة الفقهاء الصالحين رحمهم الله» .

وقال الشيخ إبراهيم الكفعمي : «باب الإمام في العلوم والأسرار» .

وقال السيد المحقق صدر الدين العاملي حول المفضل (رض) : «... رجلاً عظيماً كثير العلم ذكي الحس ، أهلاً لتحمل الأسرار الرفيعة ، والرجل عندي من عظم الشأن وجلالة القدر بمكان» .

وقال المامقاني (رض) في تنقيح المقال ما يشبه ذلك في حديث عن الإمام الصادق (ع) .

وقال الشيخ الطوسي في الغيبة : «ان المفضل من قوائم الأئمة ، وكان محموداً عندهم محبوباً لديهم ، ثم انه كان من وكلائهم الذين مضوا على مناهجهم» .

هذه بعض الأقوال التي تؤكد على جلالة المفضل بن عمر الجعفي ، وهو غير المفضل العجلي المغالي الخطابي المعروف .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق مطبعة الأعلمي ٨٧ : ٤٧٥ ورواه الشيخ المجلسي في البحار ٤٣ : ٢ .

الخاصة بأهل هذا البيت المبارك ، حطم حاجز الألم والعزلة الذي فرضته قريش على آل محمد ﷺ .

وهكذا ولدت فاطمة البتول ﷺ لتكون محوراً للكوثر الذي اختص به محمد ﷺ من دون سائر العباد ، وامتداداً لسيد الخلق في هذا الوجود .

عام الحزن والنهاية الأليمة

كان أهم شيء يشغل السيدة خديجة ﷺ ويؤرقها هو : اشفاقها على نبي الله أن يناله سوء من قريش التي أكبت على منابذته ، وصعدت من وتيرة عداؤها للرسول ﷺ ودعوته ، لا سيما وهي تشهد ألوان التآمر والكيد القرشي للنيل من رسول الله ﷺ .

ولقد كان أبو طالب ﷺ يشاركها هذه المخاوف ، فيعمل وسعه لحماية النبي ﷺ من مكائد الأعداء .

ولقد اشتدت تلك المخاوف أيام الحصار يوم استكلبت قريش وحلفاؤها ، وتعاهدوا على تدمير قوة المسلمين وحلفائهم من خلال الحرب الاقتصادية والاجتماعية .

ففي تلك الأيام - أيام الحصار في شعب أبي طالب - كان أبو طالب مؤمناً قريش الذي كان يكتنم إيمانه - لظروف خاصة بالدعوة والرسالة - يخشى على النبي ﷺ الغيلة ، فإذا جنّ الليل ، وأخذ الناس مضاجعهم ، ونام رسول الله ﷺ على فراشه ، حتى يرى أهل الشعب ذلك ، وناموا ؛ جاء أبو طالب ﷺ ، وأقام النبي ﷺ من فراشه ، ونقله إلى فراش آخر ، ثم أضعج علياً ولده مكانه^(١) .

الأمر الذي يكشف عن عمق المخاوف التي كانت تعترى أهل البيت ﷺ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ١٣ : ٢٥٦. والغدير، الشيخ الأميني ٧ : ٢٥٧ - ٣٥٨. وسيرة المصطفى، هاشم معروف الحسني : ٢٠٢ .

من تعرض النبي ﷺ إلى مكروه من أعدائه .

ولقد كانت السيدة خديجة ؓ من أكثر الناس حرصاً على رسول الله ﷺ كزوجة ، وكمؤمنة امتحن الله قلبها للايمان فاستوعبت مهمة النبي ﷺ ، وأدركت دوره العظيم في هذا الوجود .

صحيح أن قلب السيدة خديجة ؓ كان مطمئناً بالتسليم لله عزوجل ومشيتته المطلقة في الكون ، إلا أن مخاوفها كانت واقعية ، حيث كانت تخشى أن يُنال رسول الله ﷺ بأذى من عدوه .

فكم من مرة كانت السيدة خديجة تشهد ما يتعرض له النبي ﷺ من عدوان وإساءة ، فقد أدمى أبو لهب قدميه وعرقوبيه بالحجارة الحادة ، وكم من مرة تعرض رسول الله ﷺ للإلقاء القدر والنتن على جسمه الشريف من قبل أعدائه .

وكم من مرة هددوه بالقتل ، حتى أنهم عرضوا على أبي طالب ؓ أن يعطوه أجمل شباب قريش على أن يسلمهم محمدًا ﷺ بديلاً ، فسخر منهم أبو طالب ؓ وطردهم شرّ طردة .

إن هذه الأمور وسواها تقلق السيدة خديجة حقاً ، وعموم أهل البيت ؓ . ومع هذا القلق الذي كانت السيدة خديجة ؓ تعيشه ، كان هناك الجوع والفاقة ونقص التغذية التي بدأت تفعل فعلها في كيان السيدة خديجة ؓ المتعب المكدر . وهكذا استبد الوهن بأم المؤمنين وسيدة النساء ، وأخذت تتهاوى أمام المرض وسوء التغذية .

وها هي شريكة حياة محمد ﷺ طوال خمس وعشرين سنة ينتهبها السقم ، وهي تستسلم للموت ، بعد أن عاشت مع النبي ﷺ محنته بكل تفاصيلها ، وقدمت كل ما تملك من مال وصحة في سبيل الله تعالى .

فبأي قلب يواجه المصطفى ﷺ هذه المأساة المؤلمة ، التي تزامنت مع

الشدة وقلة الناصر ، وتكالب الأعداء ؟

لقد كان النبي - وهو صاحب القلب العطوف - إلى جانبها وهي تجود بنفسها ، وتودع حبيبها الرسول ﷺ وتوصيه ببقية الصفوة فاطمة ؑ .
لقد كان يؤذيها فراق محمد وزهرائه ؑ وهما في هذه المحنة العصيبة .

لقد ودعها رسول الله ﷺ بكل قلبه ، ودع فيها الأم الحنون ، والزوجة البارة ، والشريك الصادق الحبيب .

لقد ودع بوداعها الدنيا بكل ما فيها من هناء وصفاء .
وفي هذه اللحظات الحزينة ، أومأت السيدة خديجة ؑ لرسول الله ﷺ وشكت إليه شدة كرب الموت ، فبكى ﷺ ، ودعا لها بالروح والفرج ثم قال لها :

« أقدمي خير مقدم يا خديجة !

اسلمتك يا خديجة على كره مني !

قد جعل الله للمؤمنين بالكره خيراً كثيراً» (١) .

ثم عدد لها رسول الله ﷺ من ستجد من أخواتها أمثال : حواء ، سارة ، كلثم «أخت موسى بن عمران ؑ» ، آسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران .

وبعد هذه الكلمات النبوية أسلمت السيدة خديجة ؑ روحها إلى باريها عز وجل ، فبكاها رسول الله ﷺ كثيراً .

لقد ودع فيها العون والسند ، والزجة الصالحة والأم الرؤوم .

لقد فارق من صدقته يوم كذبه الناس .

وفارق من أيدته يوم حاربه الناس .

(١) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي (فضائل خديجة) .

وفارق من أعطته يوم حرمه الناس .
وفارق من كانت وعاء للكوثر الذي وهبه الله اياه .
لقد توفيت السيدة خديجة عليها السلام في شهر رمضان من السنة العاشرة
من البعثة ، وذلك بعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير .
ودفنها رسول الله ﷺ في الحجون ، ونزل في قبرها ، صلوات الله
عليه وسلامه ، اكراماً لها ووفاء ، ولكي يمتليء قبرها نوراً إلى نور
ببركتها ، ومكانته العظيمة عند الله عز وجل .
لقد تزامنت وفاة السيدة خديجة مع وفاة حامي الرسالة وسندها
الأكبر أبي طالب ، حيث توفي قبلها بثلاثة أيام أو يزيد - على اختلاف في
الروايات - .
ولقد حلت بوفااتها عليها السلام مصيبة كبرى على قلب رسول الله ﷺ
والجماعة المؤمنة .
وتستطيع أن تقدر حجم المأساة التي حلت على قلب النبي العظيم ﷺ
من خلال وصفه لهذه الحادثة الأليمة ، حيث وصفها بقوله :
«اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعا» ^(١) .
ولقد دعا العام الذي حدثت فيه المصيبتان وهو العام العاشر من
البعثة بعام الحزن .
فقد صار هذا العام عام حداد ومصيبة لعموم المؤمنين فضلاً عن
رسول الله ﷺ .
ولعمق الفراغ الذي خلفته السيدة خديجة أم المؤمنين الكبرى في حياة
رسول الله ﷺ الخاصة والعامة ، ظل طوال حياته الشريفة يذكرها ،
ويثني عليها ، ويكرم كل من له علاقة بها من النساء .

وبقي رسول الله ﷺ يعدد فضائلها في مناسبة وأخرى ، حتى امتلأت بعض نسائه منها غيرة وحسداً ، رغم أنها لم تدركها - كما أشرنا - .

لقد كانت السيدة خديجة ؓ لرسول الله ﷺ سنداً «بما توليه من حبها وبرّها ، ومن رقة نفسها ، وطهارة قلبها ، وقوة إيمانها .. خديجة التي كانت تهوّن عليه كل شدة ، والتي كانت ملّك رحمة يرى في عينيها ، وعلى ثغرها من معاني الإيمان به ما يزيده إيماناً بنفسه» (١) .

ومع الفراغ الذي تركته السيدة خديجة ؓ في حياة النبي ﷺ ، كانت هناك مشكلة أخرى ألمت بالنبي ﷺ وهي مشكلة الفراغ الذي تعاني منه فاطمة ؓ بسبب فقدانها أمها الرؤوم ، فما أن رزئت فاطمة ؓ بفراق أمها ؛ إلّا وشعرت وطأة المأساة والألم لفقدانها ينبوع الحب والحنان الدافئ ، ففاض حزنها دمعاً غزيراً ، وحسرة لا تنطفئ .

وكان رسول الله ﷺ يرى دموع الزهراء ؓ تسيل على خديجة لفراق أمها العزيزة ، وهي تتعلق به وتقول : «أبي ، أبي ، أين أمي ، أين أمي ؟» مما يزيده أسى وألماً .

وقد بذل المصطفى ﷺ وسعه من أجل أن يسد الفراغ الذي تركته السيدة خديجة ؓ في حياة فاطمة ؓ فغمرها بحبه وحنانه فوق ما كان يفعل أيام أمها ، فما كان من فاطمة ؓ وهي ينبوع الحكمة والوعي والادراك إلّا وتبادل أباهما نفس المشاعر والمودة والحنان ، فتملأ حياته حباً ورعاية حتى أطلق عليها : «أم أبيها» (٢) .

وهكذا رحلت السيدة خديجة الكبرى إلى ربها الأعلى شهيدة ، صابرة ، محتسبة .

(١) حياة محمد ، محمد حسين هيكل : ١٥٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب المازندراني ٣ : ٢٢٠ .

ثناء أهل العلم على السيدة خديجة عليها السلام

حظيت السيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام بالمزيد من الثناء والتكريم منذ بداية حياتها المباركة حتى اليوم .

ولقد لاحظنا جملة من صور الثناء الذي اختصت به من قبل الله عز وجل والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الصفحات السابقة .

أما رجال العلم ، والمؤرخون ، والمفكرون ، فقد أحلوا السيدة خديجة عليها السلام محلاً رفيعاً في كتاباتهم ودراساتهم عنها ، وما ذكرها أحد الآ وأشاد بذكرها الطيب ومواقفها الكريمة .

وهذه مقتطفات من أقوال بعض رجال العلم والمعرفة نضعها بين أيدي القراء الكرام ليزدادوا بصيرة بمكانة هذه المرأة الجليلة :

١- يقول الشيخ العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير : «وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراد الله من كرامتها ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فعرضت عليه نفسها ، وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأكثرهن مالاً وشرفاً ، وكل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه»^(١) .

٢- ويقول أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء عن السيدة خديجة ما يلي :

«وكانت خديجة تدعى في الجاهلية : الطاهرة»^(٢) .

٣- ويقول مؤرخ السيرة النبوية الشهير محمد بن اسحاق عنها ما يلي : «كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء من الله ، وآزرتة على أمره ، فخفف الله بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان لا يسمع

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٣٩ - ٤٠ .

(٢) مقتل الحسين (ع) للخوارزمي : ٣١ .

شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج الله ذلك عن رسول الله ﷺ بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رحمها الله»^(١).

٤ - ويقول العلامة ابن الجوزي شمس الدين أبو المظفر يوسف البغدادى الحنفى نقلاً عن هشام بن محمد ما يلي : «كان رسول الله ﷺ يودها ويحترمها ويشاورها في أموره كلها وكانت وزير صدق ، وهي أول امرأة آمنت به ولم يتزوج في حياتها أحداً وجميع أولاده منها إلا ابراهيم من مارية»^(٢).

٥ - ويقول الاستاذ الباحث محمد حسين هيكل حول أم المؤمنين السيدة خديجة ؓ ما يلي :

«خديجة التي كانت سند محمد بما توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها . خديجة التي كانت تهون عليه كل شدة وتزيل من نفسه كل خشية ، والتي كانت ملك رحمة يرى في عينيها وعلى ثغرها من معاني الإيمان به ما يزيده إيماناً بنفسه»^(٣).

٦ - ويقول المفكر الاستاذ سعيد حوى ما يلي :

«كان رسول الله ﷺ يحفظ لخديجة ذكراها بشكل منقطع النظير فهو آية الوفاء في دنيا المروءة وكان من وفائه لها أنه يبر كل امرأة كانت لها صلة بخديجة وأنه كان يذكرها بكل خير حتى ان عائشة لم تغر من امرأة كما غارت من خديجة وهي متوفاة»^(٤).

٧ - ويقول الحافظ عبد العزيز الجنازى الحنبلى في كتابه معالم

(١) كشف الغمة في معرفة الأنمة ٢ : ١٣٢ .

(٢) تذكرة الخواص : ٢٧٢ .

(٣) حياة محمد : ١٥٠ .

(٤) الرسول : ١٦٧ .

العتره النبويه :

«كانت خديجة رضي الله عنها امرأة حازمة لبيبة شريفة ، وهي يومئذ أوسط قریش نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها قد كان حريصاً على تزويجها فأبت ، وعرضت نفسها على النبي ﷺ وقالت : يا ابن عم اني رغبت فيك لقرابتك مني ، وشرفك في قومك ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك»^(١).

٨- يقول العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين :

«صديقة هذه الأمة ، وأولها ايماناً بالله ، وتصديقاً بكتابه ، ومواساة لرسول الله ﷺ .. انفردت برسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة لم تشاركها فيه امرأة ثانية ، ولو بقيت ما شاركتها فيه أخرى ، وكانت شريكته في محنته طيلة أيامها معه ، تقويه بمالها ، وتدافع عنه بكل ما لديها من قول وفعل ، وتعزيه بما يفاجئه به الكفار في سبيل الرسالة وأدائها ؛ وكانت هي وعلي معه في غار حراء إذ نزل عليه الوحي أول مرة»^(٢).

٩- يقول عبد الله العلايلي :

«كانت تستقبل آلام الكفاح الذي خاضه قرينها النبي وخاضته معه عاملة ماضية ، وصابرة محتسبة ، لا ينبض عندها عرق بلين أو خوف ، بل تقطع قناطر الدموع والخطوب المثغولة في بسمة كبرياء ، لم يعهد مثلها إلا بعض نفر من صانعي التاريخ . بصدرها الرحب كانت تستقبل العاصفة ، وشظاياها المشتعلة ، لا ليكون في حسها ذلك الرجع المدمر ، أو ذاك الواقع الصاعق»^(٣).

(١) الفصول المهمة في معرفة الأنمة، ابن الصباغ المالكي : ١٢٣ .

(٢) عقيلة الوحي : ٣٠ .

(٣) مثلن الأعلى خديجة بنت خويلد : ٩٨ .

وفي الختام

هذه هي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ في عفتها ، وطهرها وسابقتها لتلبية نداء الدعوة الالهية ، ووفائها بالعهد ، رغم ضروب المعاناة المادية والنفسية التي صبت عليها منذ صدع المصطفى المختار ﷺ بدعوته .

لقد قوطعت هذه المرأة من نساء قريش ، فلم تستوحش في طريق الحق ، ولم تُنل قناتها ولم تضعف أمام الحصار والمقاطعة .

ولقد وجدت الدعوة الالهية في مسيس الحاجة يوم تحجرت مكة في وجهها ، ومنع عنها المشركون أي رفق وعون لها ، فوضعت خديجة كل أموالها - وهي كثيرة جداً في حسابات ذلك العصر - تحت تصرف رسول الله ﷺ ودعوة الحق وركلت اخضرار العيش برجلها ، وتناست كل ما كانت عليه من ثراء وترف وامكانات وضحت بكل ذلك في سبيل الله عزوجل التماساً لنصرة الحق ، وطلباً للرضوان وتوسلاً لتحقيق أهداف النبي ﷺ .

ان هذه الدروس النابضة بالحياة تدعو الرجال والنساء من هذه الأمة ، ان يتدبروا في هذه السيرة الخصبة المعطاء ، ويتعلموا منها وينهلوا من نعيمها الذي لا ينضب .

انها مدرسة في الكفاح الصادق الدؤوب ومدرسة للصمود ، والمقاومة ، والتحدي ، ومدرسة للوفاء ، والايمان ، والطاعة .

فسلام على خديجة بنت خويلد في الخالدين .

وسلام عليها في المجاهدين .

وسلام عليها قدوة لنساء الأمة عبر القرون والأجيال

دور العصبية في اضعاف الكيان الاسلامي «عصر صدر الاسلام نموذجا»

(٢)

✽ الشيخ عبدالكريم آل نبضا

الامام علي عليه السلام أمام مسؤولياته الرسالية

عند مقتل عثمان بن عفان أصبح خط العصبية في الخلافة في مضيق صعب ، إذ كانت الثورة على عثمان ثورة على المنهج القبلي الأسري المتعصب الذي يؤثر بعض الناس على بعض بغير حق ، وتنعدم فيه المساواة ، بما يعني ان الأرضية الاجتماعية لم تعد مهيئة للقبول بحلقة جديدة من هذا الخط ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذا الخط لم يعد يملك مبادرة سياسية تمكّنه من الظهور في حلقة جديدة. فالخليفة الأول جاء من خلال فذلكة السقيفة والخليفة الثاني وصل إلى الحكم بتوصية من الأول ، والخليفة الثالث افرزته الشورى القرشية التي عيّنها الخليفة الثاني ، فبأي وسيلة يستطيع هذا الخط أن



يفرز خليفة جديداً؟ فهل بإمكان عثمان أن يوصي والمجتمع قد ثار عليه؟ وهل بإمكانه أن يعين شورى قرشية جديدة وقد استنفذت قريش الرموز الذين يمكنهم الوقوف بوجه شخصية شعبية جذرية لامعة ساحقة كالإمام علي عليه السلام؟

ويبدو من بعض المؤشرات أن العصبية القرشية كانت تجد في العصبية اليهودية ظهيراً لها. لأنهما من وادٍ واحد، فالعصبية اليهودية هي التي حرّفت شريعة موسى عليه السلام وأظهرتها بمظهر الشريعة التي تؤثر بني إسرائيل على سائر البشر. والعصبية القرشية تحاول الآن احتذاءها من خلال محاولة تحريف الاسلام من صورته كأكبر عالمية عرفها الانسان إلى صور الشريعة المتعصبة التي تؤثر قريش على سائر الناس ايثاراً أدياً خالداً، فمثلاً نجد الخليفة الثالث قد اتخذ من كبار اليهود أمثال كعب الأحبار وعبدالله بن سلام حاشية له يرجع إليهم في الظروف الحساسة، وهذا ما جمع العصبيتين في موقف واحد ضد الإمام علي عليه السلام فنجد عبدالله بن سلام يهتف في اليوم الذي قتل فيه عثمان: «اليوم هلكت العرب»^(١) بفقدهم آخر رائد من رؤاد العصبية القرشية.

وهكذا يكون خط العصبية في الخلافة قد وصل إلى طريق مسدود خاصة مع التآلق الساحق للامامة العلوية ذات المنهج العالمي. ولم تجد قريش بداً من الانحناء أمام هذه الحقيقة المرة. لكنها لم تستسلم للوثبة العلوية العالمية التي كان مؤكداً أنها ستساوي بين قريش وسائر المسلمين، واختارت قريش طريق المؤامرة الهادفة إلى القضاء على هذه الوثبة لتقول للمسلمين في النتيجة: أن خط العصبية في الخلافة هو الخط الوحيد في حياتهم السياسية.

(١) طبقات بن سعد ٢: ٨١.

ومن هنا كانت المهمة في منتهى الصعوبة ، والطريق في منتهى
الوعورة وهامش الاصلاح ضيقاً جداً ، فقد كان امامه سيبلان لا ثالث لهما :
أحدهما -مسايرة العصبيّة القرشية الجامعة التي لا تقبل بأقل من أن
تكون فوق سائر المسلمين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

وثانيهما - اعلان الثورة الجذرية الاصلاحية ، وتطبيق المنهج
الاسلامي العالمي بحذافيره .

قد يقال : ان الحكمة كانت تقتضي اختيار الطريق الأول ، فإذا وطّد
الإمام حكمه ؛ أخذ بمواجهة الخطر القرشي مواجهة تدريجية هادئة
بالقدر الذي يحقق الهدف ولا يضر باستقرار دولة الإمام وتواصل
حلقات الإمامة في سائر الأئمة من بعده ؟

وهذا مبني على أساس الثقة بسياسة المداراة واتباع انصاف الحلول
كطريق للخلاص من المأزق ، وعندما نريد تقويمه لابد لنا من دراسة
نقطتين فيه وهما :

١ - هل ان سياسة المداراة وانصاف الحلول ستجعل دولة الإمام
بمناى عن الخطر القرشي ؟

٢ - ماهي المضاعفات السلبية الناشئة عن هذه السياسة ؟ وهل هي
من ماهية يمكن تحمّلها وتلافيتها فيما بعد أم لا ؟ وهل ان الجهات التي
يفترض في الإمام أن يتسامح فيها لإنقاذ دولته من الخطر هي مما يمكن
التسامح فيه أم مما تجب فيه الصرامة ؟

أما النقطة الاولى فيتضح جوابها من الشواهد التاريخية التي
أوردناها آنفاً عن قوة وعنفوان العصبيّة في قريش عامة وبني أمية على
نحو خاص ، فقد كانت هي السبب في مقاومة قريش للاسلام ، وكانت
تأنف من أن تعطي قيادها ليتيم فقير هو الرسول ﷺ ، ولذا لم تثمر

الدعوة في مكة إلا عن افراد قلائل ينتمون لفروع قرشية ضعيفة أو لقبائل من غير قريش ، أما عصبية قريش المتمثلة بالفرع الأموي فقد كانت على موقف صارم حازم وهو محاربة الاسلام بلا هوادة . ويمكننا أن نتذكر حادثة هند وتناولها لكبد الحمزة عمّ الرسول ﷺ يوم أحد للدلالة على الحد القياسي الذي بلغه الحقد القرشي الأموي على الرسالة والرسول ﷺ ، ولذا ظهرت ثمرة الاسلام ودولته في المدينة ولم يتم فتح مكة إلا بعد ما يؤسست قريش من مصيرها ومستقبلها ووجدت أن اظهار الاسلام واضمار الفتنة والمؤامرة هو الطريق الوحيد للخلاص من المأزق والعودة إلى الزعامة من جديد ، وكان النبي ﷺ يتألفهم بوسائل عديدة منها : موقفه يوم نادى في فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ويوم حنين حينما أعطى الغنائم لقريش ولم يعط الأنصار شيئاً منها ، فتدخل الريب إلى نفوس الأنصار واعتبروه انحيازاً قليلاً لصالح أفراد أكثرهم من الطلقاء الذين كانوا عما قليل من زعماء الشرك كأبي سفيان وأبنائه ، فبلغ النبي الخبر فوقف بينهم معاتباً حتى بكوا واعتذروا ووقعوا على قدميه فقال الرسول ﷺ : يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعم وترجعون برسول الله ؟ قالوا : رضينا فقال الرسول ﷺ عند ذلك : الأنصار كرشي وعيبتني لو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسكنت شعب الأنصار^(١) .

وحتى قول الرسول ﷺ : الأئمة من قريش ينطوي على نوع من التأليف ، فمن المقطوع به أن الاسلام يتنافى مع المبدأ القبلي وأن الرسول ﷺ لا يقصد اقرار هذا المبدأ ، وانما ذكر عنوان قريش ليتألفهم ، فهو من جهة يقرّر الإمامة لعلي عليه السلام ويعدّ الأمة للإقرار بها ومن جهة ثانية يحاول عدم

(١) سيرة المصطفى : ٦٢٨ .

اثارة حفيظة قريش ضد امامة أهل البيت عليهم السلام من خلال ذكر عنوان لا علاقة له بأسس الإمامة وملاكاتها الشرعية وإنما هو عنوان عرضي أشار له الرسول ﷺ لتهدئة الخصوم والتقليل من حسدهم ضد الإمام عليه السلام.

وقد التفت أبو سفيان يوماً إلى العباس بن عبد المطلب قائلاً: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال له العباس: إنما هي النبوة لا الملك، فالقضية التي لا زالت تؤرق قريشاً ممثلة بأبي سفيان هي قضية الملك، فالعصبية هي السبب في محاربة الاسلام أولاً، وهي العامل الذي كان وراء دخولهم في الاسلام ثانياً، وهي التي جعلت قريشاً ترفض ولاية الإمام علي عليه السلام القطعية، وهي التي جاءت بأبي بكر، وبعده عمر ثم عثمان، ولم تنح لبيعة الإمام عليه السلام إلا اضطراراً كاضطرارها يوم فتح مكة، وكان انحناءً ينطوي على مؤامرة. كما هو انحناءها للاسلام يوم فتح مكة، ولعل من حكم الله سبحانه في رسالاته: أن يجعل الإمامة رديفاً للنبوة في كل شيء حتى في خطوات الخصوم ومؤامراتهم.

ان المعركة بين علي وقريش معركة وجود لا معركة حدود وبرامج وأساليب، وقد رفضت قريش علياً وحاربته منذ اليوم الأول لوفاة الرسول ﷺ يوم لم يكن للإمام برامج سياسية واقتصادية معلنة بشأن الحكم والدولة، فالمسألة ليست مسألة برامج وسياسات يمكنه التسامح في بعضها، وإنما هي مسألة خطط ومؤامرات تسعى لتصفية الامتداد الرسالي للنبي ﷺ تنفيساً عن احقاد قديمة، ووصولاً بالأمر إلى ملك قرشي يتسامحون مع علي عليه السلام وهو أكبر من هذين بنين بني عبد شمس في يوم بدر حينما قتل حنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد والوليد بن عتبة، وعامر بن عبد الله حليفهم، ثم اشترك في قتل الخامس وهو

شبهة بن عبد شمس ؟

والخلاصة فمجموع الشواهد التاريخية تدل على أن العصبية القرشية بنحو عام والأموية بنحو خاص كانت طاغية بحيث لم يكن بإمكان السياسة والمداواة وانصاف الحلول أن تنفيها عن عزمها الرامي إلى حرف المسيرة الاسلامية وجعل قريش ممثلة ببني أمية فوق الآخرين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

هذا بالنسبة إلى النقطة الأولى .

وأما بالنسبة للنقطة الثانية ، فعلى فرض ان استمالة قريش بأنصاف الحلول كان أمراً ممكناً بالنسبة للإمام عليه السلام فما هو التنازل الذي كان بإمكان الإمام تقديمه لبني أمية حتى يتألفهم ويستميلهم ؟

صحيح ان السياسة الاسلامية تشتمل على مبدأ «تأليف القلوب» بمعنى إغراء الخصوم بامور من شأنها دفع خطرهم ومؤامراتهم على الاسلام والمسلمين ، وقد طبقه الرسول الأعظم عليه السلام وذكرنا بعض تطبيقاته قبل قليل . ولكننا نجد في تطبيقات الرسول عليه السلام حالتين مفقودتين في زمن الإمام علي عليه السلام وهما :

١ - ان تطبيقات الرسول لا تشتمل على تنازل أو مساومة بشأن مبدأ اسلامي ثابت ، وإنما اشتملت على مداواة نفسية كما في مثال «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ومثال «الأئمة من قريش» ، أو مداواة مادية محدودة يمكن تلافي سلبياتها كما في مثال اعطاء غنائم عزوة حنين إلى أفراد أكثرهم من طلقاء مكة وفي مقدمتهم أبو سفيان وأبنائه وحرمان الأنصار من ذلك ، فإن غاية الحزازة في ذلك هو حرمان الأنصار من حقهم ، وهم أفراد معلومون يمكنه استرضائهم والتأثير عليهم وقد عوّضهم عن ذلك بمنزلة معنوية لا تقدر ، ولا نجد في هذه التطبيقات أثراً

لامتياز سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي ثابت يكون لقريش على حساب باقي المسلمين .

وهذه الحالة مفقودة في زمن الإمام علي عليه السلام ، فإن بني أمية كانوا يطالبون بالمناصب والولايات ، وكانت قريش تطالب باستمرار الامتيازات السياسية والاقتصادية التي اكتسبوها في زمن الخلفاء الثلاثة ، وهذا يتضمن الإخلال بمبدأ المساواة والعدالة وهما جوهر النظام الاجتماعي والسياسي في الاسلام . فما تريده قريش من الإمام هو المساومة على الاسلام ، وكم من فرق بين المساومة وتأليف القلوب؟

٢- ان التطبيقات النبوية كانت تنطلق من موقع القوة السياسية الغالبة الموجهة إلى خطر خفي لا يستطيع الاعلان عن نفسه ، بينما كانت العصبية الأموية ومن ورائها قريش تمثل انشقاقاً سافراً وخطيراً يعلن بصراحة عن مطالبه غير الاسلامية وغير العادلة ، ويسمى لفرضها على الإمام بقوة المؤامرة . فما قام به النبي صلى الله عليه وسلم هو مبادرة سياسية تسعى لامتناع خطر يختفي وراء الستار ، وهي محاولة تستبق الزمن فتعالج الخطر قبل أن يستشري ويعلن أصحابه عن المطالبة بمساومات بشأن المبدأ ، بينما كان الخطر في زمن الإمام علنياً يطالب بالمساومات منذ اليوم الأول .

ولو قدر للإمام أن يساوم على اصاله وعالمية التجربة الاسلامية ، ويمضي الامتيازات القبلية التي احرزتها قريش سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في عهد الخلفاء الثلاثة ولو لزمان محدود ؛ فهذا ما سيزيد في خطر العصبية القرشية عليه ويضعف من تلاحم القواعد الشعبية الراغبة في عدالة الإمام ومساواة الاسلام ، والناقمة على عصبية قريش

وانحرافاتهما ، خاصة وان الإمام قد تولى الحكم في أجواء الثورة الشعبية على عثمان وحاشيته الأموية . وهي أجواء تعزّز في القائد الجديد مطلب الروح الثورية الجذرية الصارمة .

ان المساومة بين الإمام وقريش كانت تعني المساومة بين الاسلام والعصبية ، وهي أمر متعذر تماماً ، لأن العصبية كانت ولا زالت منذ يوم ابليس وحتى يومنا هذا تشكل محوراً اجتماعياً وفكرياً وسياسياً مناقضاً للمحور الايماني ، فهي تدفع المجتمع باتجاه ، والاسلام يريد أن يوجهه بالاتجاه المعاكس والجمع بينهما جمع بين الضدين ، فكيف يستطيع الإمام أن يبني المجتمع بناءً اسلامياً وفق مفاهيم الاسلام الأخلاقية العالمية وهو يعتمد على ولاة امويين لا يعرفون شيئاً من الاسلام ولم يتركوا شيئاً من العصبية الجاهلية ؟ ان حاكماً يفكر بهذه الطريقة هو حاكم يريد السلطة ويبحث عن امتيازاتها الدنيوية ، والإمام علي يكره السلطة ويعشق الاسلام ويريد للمجتمع بناءً اسلامياً من الطراز الأول ، ولذا قال لابن عباس : ان امرتكم هذه أهون عندي من عقطة عنز إلا ان اقيم حقاً أو أدفع باطلاً^(١) .

وهكذا يتضح أن اسلوب المساومة عقيم من الناحية السياسية ولا يستند إلى أساس مقبول من الناحية الشرعية . فيتعين اسلوب الثورة الاصلاحية الجذرية الشاملة وهو الذي خاضه الإمام بكفاءة قياسية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ، فكان عهده السياسي عهد المواجهة العاصفة والجذرية مع العصبية التي لا يمكن أن تقوم للاسلام قائمة وهي إلى جنبه ، ولا يمكن للتجربة السياسية والاجتماعية أن تستقيم وتنضج

(١) بحث الامام الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه «أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف» أسباب رفض الامام علي عليه السلام للمساومات وانصاف الحلول، وذكر وجوها عديدة غير التي تم ايرادها هنا.

وتؤتي اكلها ما لم يتم أولاً تصفيتها من الساحة .

لقد ركّز الإمام عليه السلام على جانبي العدالة والعالمية في تجربته وطبقهما التطبيق الصحيح الذي يستحقانه حتى غداً أعلى رمز للعدالة الانسانية في التاريخ ، مما حقق للاسلام انتصاراً وللقيم المعنوية تألقاً وازدهاراً بكيفية تجاوزت حدود الزمان والمكان وشارفت حد الاطلاق ، فكل زمان يهتف لعلي ، وكل مكان يتغنّى بعدالته ، وهذه هي الامتيازات العلوية الخالدة المستمدة أساساً من التمحور حول الله بدلاً عن «الأنا» وحول القيم المعنوية بدلاً عن القيم المادية ، وحول الافق البعيد بدلاً عن الانحصار بمحدودية القريب ، وهي تحكي امتيازات وخصائص الدولة العالمية التي اقامها الإمام كما أرادها الاسلام .

إن العالمية حركة نحو المطلق ، وسيرة الإمامة انطلقت من المطلق لتتجه نحو القيم المطلقة والزمان المطلق والمكان المطلق حتى غدا الإمام أعلى رمز للعدالة في التاريخ ، وبعده جاء الإمام الحسين لينطلق من المطلق متجهاً نحو القيم الثورية المطلقة والزمان المطلق والمكان المطلق حتى غداً أعلى رمز ثوري في التاريخ . وهذا يحكي جوهرًا عالميًا لا ينفك عنه خط الإمامة ، فإما دولة عالمية تكون أعلى رمز للعدالة في التاريخ ، وأما ثورة عالمية تكون أعلى رمز ثوري في التاريخ .

معالم الاصاله والعالمية الاسلاميه في دولة الامام علي عليه السلام

بعد مقتل عثمان اتجهت الوفود الشعبية نحو بيت الإمام معلنة البيعة والولاء له ، فاعتذر الإمام في بدء الأمر عن تحمل المسؤولية ، محاولاً من خلال ذلك استمداد موقف شعبي أقوى ، واكتشاف مدى استعداد

الجماهير للتغيير الجذري ، والفات نظر الأمة إلى مشروع التغيير الجذري الذي يحمله والذي من شأنه أن يعود بالأمة إلى الاسلام الصحيح الرائق الخالي من شوائب العصبية ، وهذا ما يؤدي بالنتيجة إلى المواجهة الحاسمة مع الطبقات الانتهازية التي تكونت في ظل المنهج القرشي المتعصب للخلفاء الثلاثة فقال لهم :

«دعوني والتمسوا غيري ، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وإن الآفاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت ، واعلموا أنني ان أجبتم ركبت بكم ما أعلم ، ولم اصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وان تركتموني فأنا كأحكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم ، فأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً»^(١) .

فأصرت الجماهير على مبايعته حتى قال الإمام في وصف موقفهم آنذاك : «فما راعني إلا والناس كعرف الضبع التي ، ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم»^(٢) .

وعلى أساس هذه القاعدة الشعبية تحمّل الإمام ﷺ المسؤولية واعدّ نفسه لعملية الاصلاح والتغيير ، وهياً برنامجه السياسي والاجتماعي الذي جسّد المنهج العالمي للدولة الاسلامية انطلاقاً من الأسس التالية :

١ - عزل ولاية عثمان وتعيين ولاية جدد :

وأول مايتراءى من معالم هذا المنهج عزل ولاية عثمان الأمويين وتطهير الدولة منهم ، وتعيين ولاية جدد ، والملوك في هذا الموقف هو فهم

(١) نهج البلاغة : ١٣٦ .

(٢) نهج البلاغة : ٤٩ .

الاسلام والاستعداد لتطبيقه ، فالدولة التي تريد الاسلام وتنشده لابد وأن تعتمد على كوادر تفهمه بعمق وتستعد لتطبيقه باخلاص ، ودولة عثمان كانت دولة أموية قبل أن تكون دولة اسلامية ، وحينئذ فمن الطبيعي أن يقدم الإمام علي عليه السلام عزل ولاية كان الملاك في تعيينهم وسيرتهم العصبية قبل الاسلام . وقد كلمه المغيرة بن شعبة مشيراً عليه بإبقائهم ، ولكن الإمام رفض هذا الاقتراح ، وطلب منه طلحة والزبير الولاية على البصرة والكوفة فردّهما وكان يقول :

«... ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فينخدوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدّاً في الاسلام ، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضاخ»^(١).

وولّى رجالاً من أهل الدين والعفة ، فولى على البصرة عثمان بن حنيف ، وعلى الشام سهل بن حنيف ، وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة ، وثبت أبا موسى الأشعري على الكوفة ، وهذه هي الأمصار الكبرى في دولة الاسلام آنذاك ، فأصاب هذا الاجراء قريشاً في الصميم وهذّ كبرياءها ، فإن أحداً من هؤلاء الولاة لم يكن قرشياً .

٢ - اعادة الأموال المختلسة إلى بيت مال المسلمين :

فقد أعلن الإمام في إحدى خطبه التي استهلّ بها حكمه مصادرة جميع الهبات والعطايا التي منحها عثمان لولاته وقرابته فقال : «لوجدته قد تزوج به النساء وملك الاماء وفرّق في البلدان لرددته ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه

(١) نهج البلاغة، كتاب ٦٢ ص ٤٦٢ .

الحق فالجور عليه أضيّق»^(١)، وهذا ما افزع بني أمية ، فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية كتاباً بعد ما بلغه ما قام به الإمام من مصادرة أموال عثمان يقول فيه : «ما كنت صانعاً فاصنع إذا قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها»^(٢).

٣- اعلان مبدأ المساواة في العطاء :

وأعلن الإمام إلى جانب ذلك مبدأ المساواة في العطاء والغاء مبدأ التفضيل القبلي والقومي الجاهلي الذي كان سائداً في العهد السابق . فقال في خطاب آخر : «ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا ، فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارحة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً ، إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأخرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون : حرّمنا ابن أبي طالب حقوقنا ، ألا وإيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله ، وإيما رجل استجاب لله وللرسول ، فصّدق ملتناً ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد ، على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار ، وإذا كان غداً نشاء الله فاعدوا علينا فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إلّا حضر»^(٣).

وفي الغد اوصى كاتبه أن يعطي كل حاضر ثلاثة دنانير بلا تفاوت

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥ ص ٥٧ .

(٢) الغدير ٨ : ٢٨٨ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٧ : ٣٧ - ٤٢ .

بين مسلم ومسلم ، فقام سهل بن حنيف فقال : يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد اعتقته اليوم ، فقال : نعطيهِ كما نعطيك ، وتخلف عن الحضور طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم وآخرون ممن نقموا على هذه السياسة وصاروا يحيكون المؤامرات ضد الإمام بسببها . وربما كان بعض من صحابة الإمام قد تأمل في هذه السياسة ولم يهضمها فراح ينصح الإمام بالعودة عنها قائلاً :

«يا أمير المؤمنين ! اعطِ هذه الأموال ، وفَضِّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ، واستمل من تخاف خلافه من الناس» ناظراً إلى ما يقوم به معاوية من استمالة رؤساء القبائل بالمنح والهدايا ، وما يحققه من مكاسب سياسية عن هذا الطريق ، مقارناً بينه وبين حال الإمام وقد انفض الناس من حوله بسبب مبدأ المساواة ، لأن رئيس القبيلة لا يمكنه القبول بعباء يتساوى فيه مع سائر أفراد قبيلته ، وإذا انصرف عن ولاء الإمام ؛ لم يكن بوسع اتباعه إلا احتذاء ذلك الموقف وإن كانوا في قلوبهم يريدون الإمام ويؤيدون سياسته ، وأكثر جماهير الإمام من هؤلاء الذين لا رأي لهم ولا وزن في حسابات السياسة . فيما كان اتباع معاوية من رؤساء القبائل الذين إذا استمال أحدهم بذلك قد استمال القبيلة بأكملها ، وهذا هو العمق المريض في المجتمع القبلي الذي جاء الاسلام لتصفيته ، فردّ عليهم الإمام بقوله : «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ؟! .. لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله ..»^(١) .

وخلافاً لما كان يروّجه الخصوم من أن الإمام إذا تولى الحكم

سينحاز إلى أهل بيته من بني عبد المطلب اثبتت الأحداث بأن الإمام لا يستثنى أهل بيته من سياسة المساواة ، فلما طلب منه أخوه عقيل يوماً مساعدة يقضي بها حاجته وكان مملقاً كثير العيال احمى له الإمام حديدة ووضعها في يده ولما أحس بحرارتها قال له الإمام : «ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة احماها انسانها للعبة وتجرنى إلى نار سجّرها جبارها لغضبه» (١) ٩.

وأعطى ذات يوم امرأة عربية عطاءً مساوياً لأخرى موالية فاحتجّت العربية على ذلك مطالبة بالتفضيل فأجابها الإمام : بأنه لم يجد في القرآن لبني اسماعيل فضلاً على بني اسحاق (٢) وفي رواية أخرى أنه قبض قبضة من تراب ثم قبض أخرى ثم قال : لا أجد لهذا التراب على هذا من فضل .

وامتدت سياسية المساواة عند الإمام إلى جوانب اجتماعية أيضاً ، فكان مجلسه لا يمتاز فيه العربي على المولى ، ولا القرشي على غير القرشي . ومن الطبيعي أن يلتحق المظلومون والمضطهدون بسياسة التمييز القومي السابقة مع الإمام علي عليه السلام ، ويجدوا في سياسته متنفساً لهم . ويعتروا في مجلسه على الكرامة الانسانية التي افتقدوها ، والعزة التي وعدهم الاسلام بها ، حتى ازدحم مجلسه بهم ، فلم يرق ذلك للمتعصبين والعنصريين . فجاء مندوبهم الأشعث بن القيس إلى الإمام يقول له : «يا أمير المؤمنين ! غلبتنا هذه الحمراء على قربك» فردّ عليه الإمام قائلاً : «من عذيري من هؤلاء الضيافة ... ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين ، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً كما

(١) نهج البلاغة : ٢٤٧.

(٢) سلمان الفارسي في مواجهة التحدي : ١٦٢ نقلاً عن مصادر كثيرة كالغارات وسنن البيهقي وتاريخ يعقوبي وغيرها.

ضربتموهم عليه بدءاً»^(١).

وسئل ذات يوم : يجوز تزويج الموالى بالعربيات ؟ فقال : تتكافأ دماؤكم ولا تتكافأ فروجكم^(٢)، وجاء إليه بعض الموالى يوماً فقالوا : نشكو إليك هؤلاء العرب ، ان رسول الله ﷺ كان يعطينا معهم العطايا بالسوية وزوج سلمان وبلالاً وأبوا علينا هؤلاء وقالوا لا نفعل ، فذهب إليهم أمير المؤمنين فكلمهم فصاح الأعراب أبينا ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك ، فخرج وهو مغضب يجر رداءه وهو يقول : يا معشر الموالى ان هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون منكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون ، فاتجروا بارك الله لكم^(٣).

٤ - تربية الأمة وتنقيفها باصالته وعالميته :

وهذا ما نلمسه واضحاً في خطبته المعروفة بالخطبة القاصعة المذكورة في نهج البلاغة برقم ١٩٢ ، وهي خطبة جليلة بين فيها عصبية ابليس وانها أول العصبية ، فمن اختارها أختار ابليس إماماً له ، وحذر من الكبر والغرور والعجب ، وفسر كثيراً من الأحكام وتأريخ الأنبياء والعقائد والعبادات في ضوء ذلك ، وهي من أروع ما قيل في هذا المجال ، بل تعد وثيقة فكرية فيه .

ولما بعث معاوية ابن الحضرمي إلى البصرة لإثارة العصبية بين قبائلها وحقق نجاحاً في مهمته هذه سرت نار العصبية من البصرة إلى الكوفة نظراً للقرابة النسبية بين قبائل المدينتين فوقف الإمام ﷺ يخاطب قبائل الكوفة قائلاً : «وإذا رأيتم الناس بينهم النائرة وقد تداعوا إلى العشائر

(١) سلمان الفارسي : ١٤٤ نقلاً عن ثلاثة عشر مصدراً .

(٢) سلمان الفارسي : ١٤٣ .

(٣) م . ن . ١٤٣ .

والقبائل فاقصدوا لها مهم ووجهوهم بالسيف حتى يفرعوا إلى الله وإلى كتابه وسنة نبيه فأما تلك الحمية فإنها من خطرات الشياطين فانتهوا عنها لا أباً لكم تغفلوا وتنجحوا»^(١).

هذه هي أبرز معالم الاصالّة والعالمية في النهج الاسلامي لسيرة الإمام علي عليه السلام، وقد انتج هذا المنهج للاسلام مكاسب وانجازات من جهة، وافرز محناً وآلاماً من جهة أخرى وسواء أكانت المكاسب أكبر، أم المحن أخطر فإن قائداً رسالياً - فضلاً عن أن يكون هذا القائد رجلاً كالإمام علي - يرى نفسه معنياً بإظهار الشريعة واقامة التجربة على أساس اسلامي متين والحيلولة دون انحرافها ذات اليمن وذات الشمال، لا يجد بوسعه المساومة على مبدأ اسلامي أصيل، فضلاً أن يكون هذا المبدأ هو عالمية الاسلام المتجلية عن جوهره التوحيدي والاخلاقي، بحيث يفقد الاسلام جوهره هذا كلما تعرضت عالميته إلى الخطر. ولولا موقفه هذا لطمست الأموية اصالة وعالمية الاسلام ولحق الاسلام شيء من العنصرية التي حلت باليهودية الحاضرة.

أن تبني الإمام علي عليه السلام لاصالة وعالمية الاسلام تبنيّاً صارماً، يدلّل على الموقع المركزي لهذا المبدأ في الاسلام، كما أن وقوفه بوجه العصبية موقفاً حازماً يدلنا على مدى خطورتها على الاسلام والمجتمع الاسلامي.

ومن الغريب بعد هذا كله أن تجد اناساً يؤاخذون الإمام عليه السلام بمنهجه العالمي. فيتهمونه بقلّة الكياسة والشح الذي أدى إلى انقراض الناس من حوله ومن جملتهم عقيل أخوه^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ - ٨٦.

(٢) الدولة العربية الاسلامية : ١٣٣.

دور العصبية في اسقاط حكومة الامام علي عليه السلام

ان الذي يطالع تاريخ دولة الإمام علي عليه السلام ؛ يتجلنى له بوضوح وبدون عناء دور العصبية في اسقاطها ، فقد ذكر ابن أبي الحديد أن منهج المساواة في العطاء هو أول ما أنكره المتعصبون على الإمام علي عليه السلام ، ثم ذكر حادثة اجتماع جرى في المسجد النبوي كانت اركانها طلحة والزبير وسعد بن العاص وعبدالله بن الزبير وابن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط . وبعد انتهاء الاجتماع قام الأخير مندوباً عنهم يحاور الإمام ويقول له : «يا أبا الحسن ! انك قد وترتنا جميعاً ، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وأما مروان فسحقت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه ، ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان وأن تقتل قتلته ، وأنا ان خفناك تركناك فالتحقنا بالشام ، فردّ عليه الإمام وأجابه على كل نقطة ذكرها ، فرجع الوليد إلى أصحابه وحديثهم فاتفقوا على اظهار العداوة وإشاعة الخلاف . ولما ظهر أمرهم جاء جماعة من أصحاب الإمام منهم عمار وسهيل بن حنيف ودخلو عليه وبيّنوا له ما كان من أمر طلحة وجماعته وانهم «قد نقضوا عهدك واخلفوا وعدك وقد دعونا في السرّ إلى رفضك .. وذلك لأنهم كرهوا الاسوة وفقدوا الأثرة ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم ؛ انكروا واستشاروا عدوك وعظّموه واظهروا الطلب بدم عثمان ..» فقام الإمام ودخل المسجد وخطب في الناس مبيّناً لهم تمسكه بمبدأ المساواة مستدلاً عليه بكتاب الله وسيرة رسوله ﷺ مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن

أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿ ثم نادى : «يا معشر الأنصار والمهاجرين ! اتقنوا على الله ورسوله باسلامكم ، بل الله يمتن عليكم ان هداكم للإيمان ...؟» .

وقال أيضاً : «فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثره ، وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون ...» ثم بعث وراء طلحة والزبير يطالبهما فجاء إليه وأخذ يناشدهما ويعاتبهما على موقفهما وبعد كلام طويل سألهما : «فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي ؟ قال : خلافاً لعمرو ابن الخطاب في القسم : انك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا»^(١) .

وكتب ابن عباس إلى الإمام الحسن يقول له : «... وقد علمت أن أباك علياً إنما رغب الناس عنه وصاروا إلى معاوية لأنه واسى بينهم في الفيء وسوى بينهم في العطاء»^(٢) .

وكتب الإمام يوماً إلى أخيه كتاباً يقول فيه : «ألا وأن العرب قد اجمعت على حرب أخيك اجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ...»^(٣) .

ولذا نجده يقول في كتابه إلى عثمان بن حنيف : «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها»^(٤) .

لقد اغلقت العصبية المدينة بوجه الإمام فلم يجد له فيها انصاراً يفهمون مراميه ويهضمون اهدافه العالية ، فاتجه صوب الكوفة لقلعة قريش وكثرة القبائل الأخرى فيها اضافة إلى كثرة الموالي .

وهكذا دائماً المجتمعات العالمية لا تنبت في بيئة احادية العرق ، ولذا هاجر النبي من مكة إلى المدينة نظراً للتعددية القبلية التي كانت فيها ،

(١) شرح النهج ٧ : ٢٧ - ٤٢ .

(٢) شرح النهج ١٦ : ٢٢ .

(٣) شرح النهج ٢ : ١١٩ .

(٤) نهج البلاغة : ٤١٨ .

بينما لم تدخل مكة في الاسلام إلا مرغمة ، وذلك لغلبة الأحادية القبلية فيها المتمثلة بقريش . كما اغلقت الشام بوجه الإمام للسبب نفسه حيث كانت خاضعة للسيطرة الأموية .

ان سقوط دولة الإمام بسبب العصبية جسد ما قرأناه سابقاً عن المخاوف التي ساورت النبي ﷺ لما أمر بتعيين الإمام خليفة للمسلمين في يوم غدیر خم من ثوران العصبية القرشية ضد الإمام ، وظل متردداً في هذا الاعلان حتى نزل عليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .

وهكذا عصم الله الرسالة الاسلامية من عصبية «الناس» فظلت رغم انوف المتعصبين العالمية الكبرى في التاريخ . وتركت الإمامة تصارع الواقع المتعصب لتعزز اصالة الاسلام وعالميته وتحول دون تحول الأمة الاسلامية إلى أمة متعصبة كبنی اسرائيل . وتجعل اصالة الاسلام وعالميته شعاراً يتغنى به ضحايا التعصب القومي في كل زمان ومكان .

لقد كان امتحان الإمامة أكبر الامتحانات ، لأنه امتحان المواجهة مع العصبية . العصبية الفردية التي تصارع التطبيق الاخلاقي للمبدأ الاسلامي الخالد ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ فتحاول التملص منه كلما وجدت فيه الزاما يخالف مصلحتها ويوافق مصلحة غيرها ، والعصبية القبلية التي ترى نفسها أولى بالاعتبار من القيم الاخلاقية التي تبتني العالمية عليها ، والعصبية القومية التي ترى أن الأمة وليدة العرق والبيئة والتاريخ القومي ، وبالتالي ترى أن على الاسلام أن يساير القومية ويتطابق معها .

بطاقة الإتمان غير المغطاة

✽ الشيخ محمد علي التفسيرى

✽ والشيخ علي عذليب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء
والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه



المنتجبين .

بطاقة الإتمان غير المغطاة

وهي على بساطتها عبارة عن عقد واقع بين مصدر البطاقة وبين
حاملها بتعهد المصدر أداء ثمن ما يشتري به الحامل أو أداء أجره تقع في
ذمة الحامل في قبال خدمة وتعهد الحامل تسديد هذا إما مساوياً لما أداه
المصدر أو زيادة عليه في مابعد دفعة واحدة أو على أقساط .

وتحقيق المسألة يقتضي بسط الكلام في أمور :

- ١ - العقد الواقع بين المصدر والحامل .
 - ٢ - العمل الواقع بين حامل البطاقة والتاجر مثلاً .
 - ٣ - رجوع التاجر إلى مصدر البطاقة بعد عملية التجارة بينه وبين حامل البطاقة .
 - ٤ - رجوع مصدر البطاقة إلى الحامل بعد أداء ما تعهد به إلى التاجر .
 - ٥ - طلب المصدر من حامل البطاقة فائدة التأخير إذا لم يؤد حامل البطاقة ما تعهده في وقته .
- أمّا الكلام في الأمر الأول وهو عقد البطاقة :
- فانه يمكن تكييف هذا العقد بوجه :
- أ - أنه عقد ضمان الديون بين المصدر والحامل بشرط التسديد بأن يتعهد ويضمن المصدر جميع ديون الحامل التي تنشأ من معاملاته واجاراته بهذه البطاقة بشرط أن يسدّد الحامل هذا المبلغ أو مع زيادة فيما بعد ونظيره في الفقه الاسلامي عقد ضمان الجريرة لمن لا نسب له مع مسلم بأن يضمن جريسته ويرثه المسمى بولاء ضمان الجريرة .
- ويدلّ على مشروعيته ولزومه قوله تعالى : ﴿أوفوا بالعقود﴾^(١) لأنه عقد عقلائي قائم بالطرفين فيجب الوفاء به ، وليس فيه أيّ غرر ولا ضرر . ويمكن أن يورد عليه بأنه عقد خالٍ من مبادلة العوضين وهو نظير بيع الكالي بالكالي فهو باطل ولكن يجاب عنه بأنه لا يشترط في صحّة أي عقد مبادلة العوضين كما عرفت في عقد ضمان الجريرة فعموم الآية مع عدم الدليل على اشتراط مبادلة العوضين يدلّ على صحّته .
- ب - أنه صرف وعد من المصدر بأداء دين الحامل الحاصل بمعاملته

بهذه البطاقة بشرط التسديد ويمكن أن يستدل بلزوم العمل بهذا الوعد بروايات :

منها ما رواه محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن شعيب العرقوفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد»^(١).

ومنها ما رواه محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة ، فمن أخاف فبخلف الله بدأ ولمتعتة تعرض ، وذلك قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾»^(٢).

ومنها ما رواه محمد بن الحسن الطوسي بإسناده عن الصفار عن الحسن بن موسى الخشاب عن غياث بن كلوب عن اسحاق بن عمار عن جعفر عن أبيه عليه السلام : «أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يقول : من شرط لامرأته شرطاً فليف لها به فإن المسلمين عند شروطهم إلا شرطاً حراماً أو أحلاً حراماً»^(٣).

ومنها ما رواه محمد بن الحسن الطوسي بإسناده عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المسلمون عند شروطهم إلا كل شرط خالف كتاب الله «عز وجل» فلا يجوز»^(٤) فإن قوله عليه السلام : «فإن المسلمين عند شروطهم» يشمل كل شرط سواء كان شرطاً ابتدائياً أو في ضمن عقد ، فيشمل ما نحن فيه فيجب على المصدر العمل بما وعده وشرطه وكذا

(١) الوسائل، ج ٨، الباب ١٠٩ ح ٢، ٣ من أبواب أحكام العشرة، ص ٥١٥.

(٢) م. ن.

(٣) الوسائل، ج ١٢، الباب ٦ ح ٢٠٥ من أبواب الخيار، ص ٣٥٣.

(٤) م. ن.

على الحاصل .

ج - أنه التزام بقبول حوالة حامل البطاقة عند معاملته وإحالة ثمنه إلى المصدر ويدل على صحته قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «إن المسلمين عند شروطهم» إلا أنه يبتني على صحة الحوالة على البريء ويأتي الكلام فيها في الأمر الثاني .

د - أنه استدانة من حامل البطاقة فيقرض المصدر لصاحب البطاقة مبلغاً تكشف حده البطاقة ولكنه قرض في الذمة من دون إعطائه لحامل البطاقة نقداً ، فإذا اشترى حامل البطاقة متاعاً بها أحال ثمنه إلى المصدر لأن في ذمته مالاً للحامل .

ولكنه يبتني على صحة القرض في الذمة وعدم اشتراط القبض في تملك القرض مع أن كلا الأمرين محل كلام وتأمل .

ثم إن قلنا بتكليفها الشرعي من باب القرض فلو شرط زيادة في تسديده كان ربا وصار حراماً ، إلا أن يعين مبلغاً لعملية المصدر واقعاً لا أن يكون حيلة شرعية لأخذ الزيادة فإنها حرام أيضاً كما رواه محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنما حرم الله «عز وجل» الربا لكيلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف ^(١) . فإنه لو شاعت الحيل الشرعية ؛ لأمتنع الناس من اصطناع المعروف كالقرض الحسن ، والعلة تعمم وتخصص فكما أن الربا حرام فكذلك الحيل الشرعية التي هي في الواقع ربا .

هـ - أنه توكيل من المصدر لحامل البطاقة في اشتراء المتاع للمصدر ثم اشتراؤه من المصدر لنفسه ، ولا بأس به أيضاً لعموم أدلة التوكيل إلا أنه

(١) الوسائل ، ج ١٢ ، الباب ١ ح ٤ من أبواب الربا ، ص ٤٢٣ .

عقد جائز ويمكن فسخ الوكالة قبل الاشتراء أو بعدها وقبل اشترائها لنفسه مع أنّ البطاقة الشايعة ليست كذلك .

فتحصل أنه يمكن التكييف الشرعي لبطاقة الإتمان بأحد الوجوه إلا أنه يختص التكييف الشرعي بشكل بطاقة القرض بعدم اشتراط الزيادة دون سائر الوجوه فإنه يشمل صورة اشتراط الزيادة وعدمه إلا أن يكون حيلة شرعية .

الأمر الثاني وهو العملية الواقعة بين حامل البطاقة والتاجر .

المعاملة الواقعة بينهما تتصور على وجهين :

أحدهما : أن يشتري حامل البطاقة المتاع من التاجر بثمن كلي في الذمة .

والثاني : أن يشتري المتاع بهذه البطاقة بعينها .

أما الوجه الأول فلا اشكال في صحة المعاملة . وبعد وقوع المعاملة بينهما يحيل صاحب البطاقة التاجر إلى المصدر على التكييف الثاني والثالث والرابع ، ويصير المصدر ضامناً على التكييف الأول ، ويكون مشترياً على التكييف الخامس .

أمّا على القول بصيرورة المصدر ضامناً أو مشترياً فلا اشكال في المسألة .

وأما على القول بإحالة حامل البطاقة التاجر إلى المصدر فعلى التكييف الرابع فلا اشكال أيضاً ، لأن في ذمة المصدر ما يكون قرضاً للحامل ، فليس من الحوالة على البريء ، وأمّا على التكييف الثاني والثالث فهو حوالة على البريء ، وصحتها وإن كانت محل كلام إلا أن المشهور كما قيل صحتها ، قال في الجواهر : يصح أن يحيل على من ليس له عليه

دين وفاقاً للمشهور بل عن السرائر الاجماع عليه وهو الحجة بعد اطلاق النصوص وعدم ﴿أوفوا بالعقود﴾ والسيرة على فعلها بحيث يعلم شرعيّتها^(١).

وأما الاشكال بأنه يعتبر رضا المحال عليه سيّما في الحوالة على البريء فلا يرد هنا ، لأن المصدر حين الالتزام بقبول الحوالة أو الوعد بأداء دين حامل البطاقة أظهر رضاه فلا يحتاج إلى تحصيل الرضا حين الحوالة .

وأما الوجه الثاني فهو باطل لأنه ليس بمبادلة مال بمال من الطرفين بل يدخل المتاع في ملك حامل البطاقة مع أنّ عوضه ليس من ماله بل من مال المصدر إلا على التكييف الخامس فإنه يدخل المتاع في ملك المصدر كما أن العوض يخرج من ملكه لأنّ حامل البطاقة وكيل مشتري للمصدر .

الأمر الثالث رجوع التاجر إلى المصدر :

إذا وقعت المعاملة بين حامل البطاقة والتاجر فعلى التكييف الأول يجب على المصدر أداء ثمن المتاع لأنه ضامن ، وكذلك على التكييف الخامس لأنه مشتريّ والحامل وكيل ، وكذلك على التكييف الثاني والثالث والرابع لأنه محال عليه ، فلا اشكال في وجوب الوفاء على المصدر وإعطاء الثمن إلى التاجر .

وهل يجوز للمصدر حسم بعض الثمن عند إعطائه للتاجر أو لا ؟
لا وجه للحسم لأنه إمّا ضامن أو مشتريّ أو محال عليه . فعلى أيّ حال فهو مديون للتاجر بالثمن الذي وقع التراضي به بين التاجر وحامل البطاقة ، نعم إذا تراضى التاجر والمصدر بالحسم فلا اشكال فيه ، لأنه

(١) الجواهر ، ج ٢٦ ، كتاب الحوالة ، ص ١٦٥ .

إبراء بالنسبة إليه .

الأمر الرابع وهو رجوع المصدر إلى حامل البطاقة :

إذا أدّى المصدر ثمن المتاع إلى التاجر يرجع إلى حامل البطاقة لأنه إما بائع على التكييف الخامس وإما دائن على التكييف الرابع ، وإما ضامن بشرط التسديد على التكييف الأول ، وإما محال عليه بشرط التسديد على التكييف الثاني والثالث .

وهل يجوز للمصدر أن يأخذ من حامل البطاقة زيادة على حقه الثابت في ذمته قبال تنجيمه بأن يؤدّي حامل البطاقة المبلغ الثابت في ذمته أقساطاً مع الزيادة أو لا ؟

يمكن أن يقال : إنه لا يجوز لأنه ربا، إذ هو تأجيل الدين بشرط الزيادة. ويمكن أن يستدلّ على حرمة بما رواه محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل أمره نفر لبيتاع لهم بغيراً بنقد (بورق - خ) ويزيدونه فوق ذلك نظرة ، فابتاع لهم بغيراً ومعه بعضهم ، لمنعه أن يأخذ منهم فوق ورقه نظرة^(١) .

فإنّ الابتاع لهم وأداء ثمنه من عنده بإذنهم يكون في ذمتهم له ورق نقداً ونهاه عليه السلام عن أخذ الزيادة مع التأجيل ، وما نحن فيه كذلك ، لأنه بعد أداء الثمن من ناحية المصدر بإذن حامل البطاقة تأجيله بالزيادة كتأجيل الورق في الرواية .

ومن هنا يظهر الكلام في الأمر الخامس وهو أخذ الزيادة إذا لم يؤدّ حامل البطاقة ما في ذمته في الوقت المؤجل ، أخره .

(١) الوسائل ١٢ : ٣٦٨ ، الباب ٣ ح ١ من أبواب أحكام العقود .

الامام علي عليه السلام والمعارضة السياسية (١)

✽ صلاح عبدالرزاق (هولندا)

مقدمة :

المعارضة ظاهرة اجتماعية - سياسية تنشأ في المجتمعات بسبب الاختلاف في الآراء والمواقف والفكر والسلوك . وقد مارس الأنبياء عليهم السلام المعارضة الفكرية والعقائدية ضد الأوضاع السائدة في مجتمعاتهم ، رافضين الواقع المنحرف ، داعين إلى المنهج السوي نحو التوحيد والحق والعدل المنسجم مع الفطرة الانسانية السلمية . وتزعموا عليهم السلام المعارضة ضد الأنظمة الدكتاتورية ، الفرعونية والنمرودية، التي كانت تستهين بعقل الانسان ، وكرامة الفرد ، وتنتهك حريته ، وتستغله أسوء استغلال .

وعارض الرسول ﷺ القيم والمعتقدات الجاهلية ، معلناً رفضه لها ،



وتمسكاً بالهدى ودين الحق ، داعياً إلى رفع أقنعة الزيف والضلالة عن العقل ، مؤكداً موقفه الرافض لكل أنواع المساومة على دينه . فكان رمزاً للثبات والاخلاص على العقيدة . وكان ﷺ يؤكد على أهمية التغيير وبذل كل الجهود في سبيل ذلك . فقد قال ﷺ : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان . فشجع بذلك أهمية معارضة الانحراف في المجتمع الإسلامي ، ومن أية جهة مصدره . والقرآن الكريم يرسخ مفهوم معارضة الباطل وكل صور الضلالة ، فيدعو المسلمين إلى مواجهة المنكر بكل أنواعه . فهو يشمل كل ألوان الانحراف عن المبادئ والقيم الانسانية والأحكام الشرعية ، وعلى كافة المستويات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . يقول تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (١) .

المعارضة السياسية قبل خلافة الإمام ﷺ وبعدها :

نشأت الدولة الاسلامية في ظل نظام قبلي عشائري محكم ، وكان الرسول ﷺ قد وظف هذا الشعور وهذه الرابطة القوية من أجل خدمة أهداف الإسلام العظيمة . فكانت الأحلاف والمعاهدات تتم مع القبائل بغرض توفير جو سلمي يسمح للدعوة الاسلامية بالانتشار بهدوء . فكان ﷺ يحرص على تفادي الحرب والقتال - قدر الإمكان - لأنها تؤدي إلى توتر الأجواء وتساعد العصبية والثارات والغضب والانتقام ، فلا تبقى فسحة لمخاطبة العقل الذي يقود النفس البشرية ، بل تبقى العواطف والانفعالات هي التي تحدد ملامح الشخصية ، وتفرض نوع السلوك الذي تتخذه .

(١) آل عمران : ١٠٤ .

وقبل التعرف على الكيفية التي أدار بها الإمام علي عليه السلام الصراعات السياسية، وكيف واجه المعارضين له، لابد من الحديث عن الفترة السياسية التي سبقت وصوله للخلافة، أي الفترة التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث تولى الخلافة ثلاثة خلفاء. وتبلغ هذه الفترة حوالي ربع قرن (١١ - ٣٥ هـ). ثم نتطرق إلى الفترة التي أعقبت شهادته عليه السلام، أي بتولي معاوية السلطة. وهي فترة دامت عشرين سنة.

هذه المقارنة ضرورية لتسليط الضوء على القيم والأعراف السياسية السائدة في المجتمع الإسلامي في ذلك المقطع الزمني، خاصة فيما يتعلق بتعامل السلطة مع المعارضة السياسية. ولنتعرف على البون الشاسع بين السلوك السياسي للخلافة العلوية، وبين الممارسات السلطوية التي سبقتها والتي تلتها، كي تتضح أبعاد السمو الأخلاقي والالتزام الدقيق بالأحكام الإسلامية حتى في أحلك الساعات، وفي ذروة الصراعات. إذ لا يمكن إدراك ما تميزت به خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام من عدل وإنصاف ورحمة وإنسانية رفيعة المستوى، إلا بالتعرف على العصر الذي عاشت فيه، والأجواء التي أحاطت بها.

الحوار السياسي في السقيفة :

لم تكن قيم التسامح والعفو والرحمة والمسالمة تطبع السلوك السياسي للسلطة التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاصة مع المعارضة السياسية. ففي سقيفة بني ساعدة، دار أول حوار سياسي حول استلام السلطة بعد وفاته عليه السلام. بدأ الحوار بمساومة بين المهاجرين الذين اقترحوا صيغة (منا الأمراء ومنكم الوزراء)^(١) واقترح الأنصار (منا أمير

ومنكم أمير^(١)، ثم تفاخروا أيهم أحق بالأمر، ثم انتهى الحوار والقوم يطأون زعيم الخزرج سعد بن عباد - وكان مريضاً - وهم يرددون (اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً). وأخذ بعضهم بلحية بعض، وهدد بعضهم بعضاً بالقتل (أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي)^(٢).

فلم تكن ذهنية الشورى حاضرة بل كانت قبائل تقتسم غنيمتها، وكل يريد نصيب الأسد من حصته. وكانت ذهنية العصبية القبلية هي التي تدير المساومات، وبعد ذلك تدير الصراع الذي تأجج بفعل إصرار الفريقين على أخذ نصيبه كاملاً. وهكذا ما كاد الرسول ﷺ يغمض عينيه حتى أطلت عصبية الجاهلية برأسها، وإن كانت تتشع بالاسلام قناعاً. فلم يتحدثوا بمنطق سلطان الإسلام، بل سلطان العرب وسلطان محمد وسليمان قریش. فقد اعترض عمر بن الخطاب على الأنصار بقوله (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٍ بباطل، أو متجانف لإثم ومتورط في هلكة)^(٣).

ولم يبايع أهل المدينة كلهم، إذ بقي هناك رافضون للبيعة منهم بنو هاشم إضافة إلى جماعة من المهاجرين والأنصار بقوا على عهدهم في بيعة الغدير حين بايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام على الخلافة في حجة الوداع. وبدأت السلطة الجديدة عمليات المبايعة القسرية للناس بالتهديد والإكراه. وحين علمت السلطة أن اجتماعاً يعقد في بيت فاطمة وعلي عليه السلام، تم تطويق البيت وهو ملاصق للمسجد النبوي، وحاولوا إحراقه على من فيه من الصحابة.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٤٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٤٢.

الإمام علي عليه السلام في المعارضة :

لم تكن معارضة الإمام علي عليه السلام للخلفاء معارضة عنف أو شق الصف، بل معارضة سلمية ساكتة . فقد بقي عليه السلام معترلاً التدخل بالشؤون السياسية ستة أشهر ، إيماناً بحقه في الخلافة . ولم يبد موقفاً إيجابياً واضحاً في معارضته في حياة أبي بكر وعمر ، وذلك أنه عليه السلام كان يريد أن تكون المعارضة في إطارها الرسالي ، وأن ينعكس هذا الإطار على المسلمين ، وأن يفهموا أن المعارضة ليست لنفسه ، وإنما هي للرسالة^(١) . ولولا حدوث تطورات داخلية وخارجية لما تدخل الإمام علي عليه السلام . ففي الجزيرة أشدت خطر أمر المتنبيين أمثال مسيلمة الكذاب وطلحة بن خويلد وسجاح بنت الحرث . وفي داخل المدينة ، عاصمة الخلافة ، قوي وجود المنافقين . وعلى حدود الدولة الإسلامية كان الروم والفرس يراقبون الأوضاع ويتطلعون إلى فرص مؤاتية تعم فيها الفوضى وتفكك المجتمع الإسلامي الوليد . وقد أدت بيعة السقيفة إلى بروز تكتلات سياسية وتطلعات شخصية إلى الزعامة بعد أن جرى خرق بيعة الغدير ، وعدم الالتزام بما أَرادَه الرسول ﷺ .

هذه وغيرها جعلت الإمام علي عليه السلام يضطر مكرهاً إلى بيعة الخليفة أبي بكر حرصاً على حماية الإسلام والدولة الإسلامية من التفتت والانحيار . وقد أوضح أمير المؤمنين علي عليه السلام موقفه هذا بقوله :

«فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به علي لأعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب . فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهت»^(٢) .

(١) محمد باقر الصدر ، أهل البيت، تنوع أدوار ووحدة هدف : ٦٢ .

(٢) نهج البلاغة، من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها .

عهد عمر بن الخطاب ، شدة وغلظة :

لم تفارق الخشونة سلوك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في حياته اليومية . فقد كان (أول من حمل الدرة وضرب بها)^(١) الناس في الأسواق أو من يجادله . فقد ضرب أبا هريرة لأنه لم يقتنع بشرعية الأموال التي جمعها أبو هريرة أثناء توليته على البحرين . وأمر عمر بن الخطاب بحرق قصر سعد بن أبي وقاص لأنه قد بلغه أن سعداً يحتجب عن الناس في قصره . في حين يُفترض به أن يجري تحقيقاً بالأمر ، أو يرفع القضية إلى القضاء للبت فيها .

وتبلغ الخشونة مداها لدى عمر حين يسأله ضبيع التميمي عن تفسير بعض الآيات القرآنية . وبدل أن يجيبه أو يقول له لا أعرف ، يبادر إلى جلده ثم يحبسه في السجن ، ويجلده مائة جلدة ، حتى إذا برئ منها أعاد جلده مرة أخرى ، ثم نفاه إلى البصرة ، ومنع الناس من مجالسته أو يخطب في الناس حتى مات . وهي عقوبات لا نص فيها كما أنها زادت حتى عن الحدود الشرعية . وقام عمر بنفي نصر بن حجاج إلى البصرة لأنه كان جميلاً تتغزل به النساء .

وبلغت به الشدة على أهل بيته أيضاً ، فقد ارتكب ولده عبدالرحمن جريمة شرب الخمر في مصر ، وعاقبه عليها واليها عمرو بن العاص ، فحلق رأسه وجلده الحد الشرعي بحضور أخيه عبدالله بن عمر . ولما بلغ الأمر عمر ، أرسل على ولده عبدالرحمن وجلده بالسوط ، رغم اعتراض عبدالرحمن بن عوف بأن الحد الشرعي قد أقيم عليه ، ثم حبسه بعد الجلد شهراً فمات^(٢) .

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٥٧٠ .

(٢) شرف الدين ، النص والاجتهاد : ٢٨٨ وما بعدها .

وكان أغرب قراراته هو الحكم بالقتل على أي عضو من أعضاء الشورى، الذي عيّنه قبيل وفاته للبت في اختيار الخليفة من بعده، إذا ما عارض رأي الأكثرية. ووصل الأمر إلى الأمر بقتل أعضاء (مجلس الشورى) كلهم! فقد عين أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري مشرفاً على تنفيذ قراراته التالية حين قال له:

«إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن ابن عوف. وإن جازت الأيام الثلاثة ولم يتراضوا بأحد، فاضرب أعناقهم جميعاً»^(١).

فهذه الممارسات العنيفة لم يأت بها أحد قبله، ولم يوص بها قرآن أو حديث نبوي شريف، ولم تكن من عادة العرب إذا ناقشوا أمراً واختلفوا فيه، بل هي من أفكار الخليفة عمر بن الخطاب. وهي أفكار بعيدة عن الرحمة والعدل، فما ذنب الصحابة أن يُقتلوا لأنهم لم يتفقوا على تسمية مرشح للخلافة.

عهد عثمان، العنف يولد العنف:

أما في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان فقد بلغت الأمور مستوى فظيلاً من الارهاب السياسي والمعاذرة على الكلمة والرأي الصريح. فقد أحاط عثمان بن عفان نفسه بطاقم أموي لإدارة البلاد، ولم يكونوا من الأكفاء إدارياً، بل عليهم شبهات أخلاقية وفساد مالي، وغلظة في التعامل مع الناس.

وكان الخليفة نفسه يتضايق من كلمة حق أو رأي معارض لرأيه. وتعرض الكثير من الصحابة إلى أذاه فقد أمر بضرب عبد الله بن مسعود

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٨١. وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٠.

ومنع عطاءه . فحين أمر عثمان بإحراق جميع المصاحف في الدولة الإسلامية . وكان ابن مسعود بالكوفة ، رفض تسليم مصحفه ، فأمر عثمان والي الكوفة بإحضار ابن مسعود بالقوة . فلما (دخل ابن مسعود المسجد وعثمان يخطب ، قال عثمان : إنه قد قدمت عليكم دابة سوء . فكلمه ابن مسعود بكلام غليظ ، فأمر به عثمان ، فجز برجله حتى كسر له ضلعان)^(١) . وبقي ابن مسعود غاضباً على عثمان حتى توفي .

ومنع عثمان دفن الصحابي المقداد بن عمرو لأنه كان يرى أن علياً عليه السلام أحق بالخلافة ، وغضب على عمار بن ياسر لأنه صلى على جثة المقداد . أما الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري فقد تعرض للأذى والنفي إلى الشام لأنه عارض الانفاق الأموي المسرف من مال الدولة . وكان يردد قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾^(٢) ، فأرسل عثمان أحد مواليه إليه قائلاً : أن انته عما بلغني عنك ، فقال أبو ذر : أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وعيب من ترك أمر الله تعالى ! فوالله لئن أَرْضِي الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان^(٣) .

وفي يوم اعترض أبو ذر على عثمان في مجلسه حين قال : أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقرر عثمان نفيه إلى الشام . ولم يتوقف أبو ذر عن نقد الأوضاع السياسية والإسراف من بيت مال المسلمين . وكان يحدث أهل الشام : (ثم أن الولاة ، قد أحدثوا أعمالاً قباحاً لا نعرفها . من سنة تطفأ ، وبدعة تحيي ، وقائل بحق مكذب ، واثرة لغير تقي ، وأمين - مستأثر عليه

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٠ .

(٢) التوبة : ٣٤ .

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٧٥ .

-من الصالحين). ولم يكن ذلك يريح معاوية والي الشام فكتب رسالة إلى عثمان: إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك. فكتب إليه عثمان بحمله على بعير عليه قتب يابس حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفضاده وكاد أن يتلف^(١).

ولم يحتمل عثمان نقد أبي ذر ومعارضته لسلوكه وسلوك ولاته، ويذكر للناس ما غير وبدل من سنن رسول الله ﷺ. وبدل أن يستمع إلى آرائه ومتابعة انتقاداته ومعاقبة المخالفين من ولاته، نظراً لكونه من الصحابة الكبار، ومن أسلموا في مكة قبل الفتح، كان الخليفة عثمان يضيق ذرعاً به، فقرر نفيه إلى الربذة رغم أن أبا ذر قبل بالنفي لكنه عرض على الخليفة نفيه إلى مكة أو البصرة أو الكوفة أو مصر وهي من الحواضر الإسلامية. ولم يكتف عثمان بالنفي بل أصدر أمراً بمقاطعة أبي ذر وأن لا يكلمه أحد بهدف عزله عن الجماهير، وعدم ذكر السبب الحقيقي لنفيه. ولما علم أبو ذر بقرار عثمان بنفيه إلى البادية قال: أصير بعد الهجرة أعرابياً؟ فرفض الخليفة كل مقترحاته وأصر على نفيه إلى أبعد نقطة، إلى الربذة^(٢). فمات فيها وحيداً.

ويذكر «أن المقداد وعماراً وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان، وخوفوه به، وأعلموا أنهم موثبوه إن لم يقطع. فأخذ عمار الكتاب، فأثابه به، فقرأ منه صدراً، ثم قال عثمان له: أعلي تقدم من بينهم! فقال عمار: لأنني أنصحهم لك، قال: كذبت يابن سمية! فقال: أنا والله ابن سمية، وابن ياسر! فأمر عثمان

(١) المسعودي، مروج الذهب ٢: ٣٥٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٤: ٣٧٨.

غلمانا له ، فمدوا بيديه ورجليه ، ثم ضربه عثمان برجليه - وهي في الخفين - على مذاكيره ، فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه»^(١). وكان الخليفة عثمان بن عفان قد استمرراً سياسة النفي والإيذاء والعزل . فقد عاقب مجموعة من الشخصيات البارزة في الكوفة منهم مالك بن الأشتر النخعي وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد وعدي بن حاتم ، بعد كلام جرى بينهم وبين واليه على الكوفة سعيد بن العاص لأنهم عارضوا قوله (إنما السواد بستان لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركناه) . فألقى عليهم القبض ونفاهم إلى الشام أولاً ، ثم إلى حمص وكان العامل عليها هو عبدالرحمن بن خالد بن الوليد . وكان يغلظ لهم ، ويقول لهم : لا أهلاً بكم ولا سهلاً .. جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم^(٢). وسارت سياسة عثمان سيراً تصاعدياً في الظلم والإنحراف عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ومخالفته لقرارات الرسول ﷺ في أيوائه المطرودين . وكان ولاته على بقية الأقاليم الإسلامية يسيرون على نهجه حتى تعالت أصوات الأمة ، فكانت تأتيه وفود منها تشتكي ولاته وظلمهم وتعسفهم . ولم يكن يستجيب لهم ، بل على العكس كانت تصلهم أخبار تنكيهه بالمعارضين . وقد أثار ذلك سخط المسلمين لأن المعارضين كانوا من أجلاء الصحابة ، وأنهم يعبرون عن رأي المسلمين.

ولم يكن بالمستطاع الصبر على هذه الأوضاع ففي عام ٦٣٥ هـ / ٦٥٥ م جاءت وفود عسكرية من مختلف الأقاليم الإسلامية إلى المدينة مطالبين بالعدل وحسن السيرة . فقد وصل مالك الأشتر من الكوفة بصحبة مائتي

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٣٧ - ٣٨ ، بعد أن يورد عدة روايات عن ضرب عثمان لعمار يقول : فضرب عمار على ما ترى غير مختلف فيه بين الرواة ، وإنما اختلفوا في سببه .

(٢) محمد جواد آل الفقيه ، أبو ذر الغفاري : ٩١ نقلاً عن الغدير للشيخ الأميني .

رجل ، وحكيم بن جبلة من البصرة بصحبة مائة رجل ، وعبدالرحمن بن عديس البلوي ومعه ٦٠٠ رجل من أهل مصر وفيهم عمرو بن الحمق الخزاعي وسعد بن حمران التجيبي ومحمد بن أبي الصديق . فلما علم عثمان بقدومهم ؛ قام بتكليف علي بن أبي طالب عليه السلام بالخروج إليهم وأن يضمن لهم عنه كل ما يريدون . فقام علي عليه السلام بالمهمة ، واقتنعوا وعادوا منصرفين . وفي الطريق علموا أن عثمان قد أرسل إلى واليه في مصر ابن أبي سرح يأمره بقطع أيدي بعضهم وقتل آخرين ، فعادوا إلى المدينة ، وحاصروا عثمان في داره . وانتهت الأزمة بقتل عثمان بعد حصار دام ٤٩ يوماً .

وهكذا فقد جرت عليه سياسته وتنكيله بمعارضيه وعدم الاستجابة إلى الأصوات المخلصة حتى أودت بحياته . وكانت فتنة سياسية عانت منها الأمة الاسلامية طويلاً ، وبقيت آثارها حاضرة في الأحداث السياسية اللاحقة .

عهد معاوية ، مكيفيلية عربية :

أما الفترة السياسية التي أعقبت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام والتي دامت عشرين عاماً وهي التي تولى فيها معاوية السلطة ، فكانت فترة عصبية على المعارضين لسياسته . وإذا كان الخلفاء السابقون قد عاقبوا بعض الشخصيات والأفراد المعارضين إلا أن حكم معاوية طال قطاعات واسعة من الأمة الاسلامية ، وصدرت قرارات بعقوبات جماعية ، بل عاقب على الظنة والشبهة ، أي حتى لو لم تثبت إدانة المتهم . وهذا خرق فاضح للأحكام الاسلامية .

اتخذ معاوية قراراً بمعاقبة كل أنصار علي بن أبي طالب عليه السلام في كل

أنحاء الدولة الإسلامية ، فأصدر البيان التالي :

«أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته» . كما أصدر تعميماً إدارياً جاء فيه «انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان (السجلات الرسمية) وأسقطوا عطاءه (امنعوا عنه حقه المالي) . ثم أصدر مرسوماً إلى الشرطة والقضاة جاء فيه «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم (علي وأهل بيته) فنكلوا به واهدموا داره» ، ومرسوماً آخر جاء فيه «ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة»^(١) .

فسادت أجواء الارهاب والرعب بين الشيعة ، وتعرضوا للقتل والصلب والتعذيب والطرده ، حتى بات الرجل منهم يخاف أن يقول أنه شيعي . وسلط معاوية ولاته في العراق - مهد التشيع - ففي الكوفة كان زياد بن سمية يلاحقهم وينكل بهم ، وفي البصرة أسرف السفاح سمرة بن جندب حتى قتل ثمانية آلاف فقيل له : هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً ؟ فرد قائلاً : لو قتلت مثلهم ما خشيت .

ويصف الإمام الباقر عليه السلام تلك الفترة العصيبة فيقول : «وقتلنا شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الأيدي والأرجل على الغلظة . وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله ، أو هدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين»^(٢) .

وارتكب معاوية أموراً لم يسبقها إليه أحد فهو أول من سنَّ سنة السب على المنابر ، فقد (أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي عليه السلام والبراءة منه . وخطب بذلك على منابر الإسلام ، وصار ذلك سنة في أيام

(١) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الحسين : ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية : ٧٠ - ٧١ .

(٢) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الحسين : ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية : ٧٢ .

بني أمية إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز (رض) فأزاله^(١). فأراد بذلك وضع حاجز نفسي من الخوف في قلوب الناس يمنعهم من ذكر علي عليه السلام أو فضائله ومناقبه. هذا وعلي عليه السلام قد لقي ربه منذ سنوات ، والأمر مستوسق لمعاوية ، لا ينافسه فيه أحد .

واتبع معاوية سياسة الترحيل والتهجير لاضعاف المعارضة في العراق . فقد قام بترحيل خمسين ألفاً من أهل الكوفة إلى خراسان . وهذا العقاب الجماعي لخمسين ألفاً من المسلمين يعد انتهاكاً صارخاً لكل القيم الانسانية والأحكام الاسلامية ، وإنما هي سياسة معاوية التي سنّها لمن بعده .

ولعل واحدة من جرائم معاوية هي قتله الإمام الحسن عليه السلام بعد أن تصالحا وأعطاه الأمان وقبل بشروط الصلح . ولم يكتف معاوية بذلك بل تتبع الشخصيات الشيعية حتى التي لم تتحرك سياسياً ضده ، بل لأنهم لم يرضوا به ، فقتل حجر بن عدي مع ستة من أصحابه ، فأمرهم معاوية أن يتبرأوا من علي عليه السلام ولعنه وتولي عثمان ، لكنهم رفضوا فقتلوا صبراً^(٢) . وأخذ معاوية يلاحق أصحاب علي عليه السلام فقتل عمرو بن الحمق وعمره ثمانون عاماً ، ورمى رأسه إلى زوجته السجينة في سجن الكوفة . وقتل رشيد الهجري بعد أن رفض البراءة من علي عليه السلام ولعنه ، وقتل جويرية بن مسهر العبدى . وحبس كثيراً من الشيعة في سجون معاوية ، وقطع أيدي وأرجل آخرين دون ذنب أو جرم ، إلا لأنهم يتولون علياً عليه السلام . فهل هناك من يفخر بهذا التاريخ (الإسلامي) ، ويتحدث عن حقوق الانسان في تراثنا وتاريخنا كله ؟

(١) ابن أبي الحديد ٢ : ٢٧٨ .

(٢) محمد جواد مغنية ، الشيعة والحاكمون : ٧٩ .

فهذه نبذة سريعة من الأساليب والممارسات التي حكمت سياسة الخلفاء في صدر الإسلام تجاه خصومهم ومعارضيهـم . أما في العهد الأموي والعباسي فقد تطورت وسائل التعذيب والقتل وأساليب التشهير والتشويه الاعلامي ، والطعن في عقائد الخصوم وتكفيرهم قبل تنفيذ سياسة الاستئصال والإقصاء عن المسرح السياسي بل عن الحياة .

بيعة الإمام علي عليه السلام حدث جماهيري :

لم تكن بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام تقتصر على فئة محدودة أو ولاية عهد من شخص إلى آخر أو قراراً اتخذته (أعضاء الشورى) بل كانت بيعة عامة أجمع عليها المهاجرون والأنصار . فلهـذا ، فلم يكن هناك شك في ولايته والنص على إمامته ، حتى جاءت بيعته لتعبر عن قرار جماهيري ، وإجماع ساد الدولة الاسلامية ، لتكون بيعته أصدق تعبير عن الشارع الإسلامي ، وأقواها شرعية في تمثيلها لرأي الأمة . فجاءت ترشيحاً وانتخاباً حراً لم يسبقه إليها أحد ولم يلحقه أحد . فلم يجبر أحداً على بيعته ، بل بايعه الناس مختارين ، وحتى الذين نكثوا بيعتهم فيما بعد ، لم يدخلوا في البيعة مكرهين .

يقول ابن أبي الحديد نقلاً من أبي مخنف في كتاب الجمل : إن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله لينظروا من يولونه أمرهم ، حتى غص المسجد بأهله ... ثم أجمعوا أمرهم على علي ، وقاموا كلهم فأتوا علياً عليه السلام فاستخرجوه من داره ، وسألوه بسط يده ، فقبضها ، فتداكو عليه تذاك الإبل إليهم على وردها ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً . فلما رأى منهم ما رأى ، سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس .

وقال : إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر^(١) . فلم يردّها بيعة مؤامرة في الظلام أو بيعة فرض الأمر الواقع بالعهد ، أو بيعة لا يرضى بها رجل واحد من المجتمع الإسلامي . يقول الطبري : «إن علياً قال للمسلمين قبل بيعته : ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفياً ، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين^(٢) . لقد أصرّ عليّ أن تكون في محل عام ، في المسجد النبوي ، وأن يرضى به كل الناس خليفة . فبقي مترثاً^(٣) . غير أن إصرار الأمة على مبايعته جعله يعرض شروطه عليهم ، فإن وافقوا عليها فسيقبل البيعة وإلا فهو يبقى بمنزلة المشاور الناصح وليس الحاكم الأمر . لقد قال لهم بكل وضوح وصراحة :

«دعوني والتمسوا غيري ، فإننا مستقبلون أمرآله وجوه وألوان . لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول . وإن الآفاق قد أغامت (غطيت بالغيم) والمحجة (الطريق المستقيم) قد تنكرت (تغيرت) . واعلموا أنني إن أحببتم ركبتمكم ما أعلم . ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً ، خير لكم مني أميراً^(٤) .

لم يكن عليّ يتناقل من مسؤولية الحكم ، بل يريدده وفقاً لما يجعله قتيماً على المنهج وأميناً على الرسالة ، وعنواناً لدستور جديد ، يختلف عن الوضع المنحرف القائم بعد وفاة النبي ﷺ . «لأجل هذا امتنع عن قبوله الخلافة أول الأمر ، فقال لهم فكروا في غيري ، واركبوني وزيراً لمن تستخلفونه ، فأنا لكم وزيراً خير مني أميراً ، يعني على مستوى حياة

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٤٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٦٩٦ .

(٣) يصف أمير المؤمنين وضع الناس ذلك اليوم ، وما أهمه من الأمر فيقول : (وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعي النوم ، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله ، فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب ، وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة) ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٤٤ .

(٤) نهج البلاغة ، النص رقم ٩٢ (من كلامه (ع) لما أراداه الناس على البيعة بعد مقتل عثمان) .

الدعة والكسل ، على مستوى الرخاء واليسر ، على مستوى الحياة الفارغة من المسؤولية . على مستوى هذه الحياة أنا وزير خير من أمير ، لأنني حينما أكون أميراً سوف أرهقكم ، سوف أتعبكم ، سوف أفتح أمامكم أبواب مسؤوليات كبرى تجعل ليلكم نهاراً ، وتجعل نهاركم ليلاً . هذه الهموم التي سوف تدفعكم إلى حمل السلاح - من دون حاجة مادية - لأجل تطهير الأرض الاسلامية من الانحراف الذي قام عليها^(١) .

وبايعة الناس في المسجد . وكان أول من بايعة طلحة ثم الزبير وبقية الصحابة ممن كان حاضراً في المدينة آنذاك . وبقي أمير المؤمنين عليه السلام ينتظر بيعة الأقاليم الاسلامية الأخرى بعد أن وصلها خبر مقتل عثمان وبيعه علي عليه السلام . فلما تطمئن نفسه حتى علم بيعة الأمة كلها له ، عدا الشام ، فقد صرح جرير بن عبد الله البجلي بإجماع الأمة الاسلامية على بيعة علي أثناء وساطته بين معاوية وعلي عليه السلام ، حين دخل على معاوية وقال : أما بعد يا معاوية ، فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين ، وأهل المصرين (الكوفة والبصرة) ، وأهل الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العروض (عمان) ، وأهل البحرين واليمامة^(٢) .

يصف الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود هذه البيعة فيقول : (والشعب كله هو الذي ولده بكل فئاته ، بكل أجناسه وألوانه ، بكل بقاعه وأوطانه ... بيعة عامة ، توفرت لها جواب العمومية ، وأجمع عليها المهاجرون والأنصار والقرشيون ، والقبائل الأخرى ، والرعاة والعبدان ، وأهل الأمصار ، بل هي كانت ، فوق هذا كله ، ترجمة صادقة أمينة عن التطور الفكري والارادة الشعبية الحرة ، والتغيرات الاجتماعية في بنية الوطن الإسلامي على اتساع رقعة أراضيه ، تمثلت في أهل المدينة وأهل المياه

(١) محمد باقر الصدر ، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف : ١٠٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٥٥ : ٢ .

ووفود مصر والكوفة والبصرة الذين أمروا عليهم بمحض اختيارهم ورغبتهم ، وبغير عهد ولا دعوة ولا توجيه ، رجلا لم يعرض نفسه ، ولم يسع إليهم ، لأنهم رأوا فيه وحده من دون الناس أجمعين المثل الكامل للحاكم الذي ترنو إليه مبادئ ثورتهم السياسية النازعة إلى شعبية الحكم بغير تمييز عنصر على عنصر ، وثورتهم الاجتماعية الهادفة إلى وحدة العدل وجماعيته بغير تفضيل طبقة على طبقة^(١).

تعامله ﷺ مع الممتنعين عن بيعته

بايعت قريش إلّا ثلاثة أشخاص وهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ، وهم من ولادة عثمان وأقاربه^(٢). وتحدث الوليد ابن عقبة - الذي نزلت فيه آية ﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ...﴾ - فقال علي ﷺ : يا

(١) محمد باقر الناصري ، دراسات في التاريخ الاسلامي : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) اقارب عثمان ممن ولاهم السلطة في عهده منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان لأمه . (وكان الوليد مذموماً معيباً عند رسول الله (ص) يشنؤه ويعرض عنه. وكان الوليد يبغيض رسول الله ويشنؤه، وأبوه عقبة بن أبي معيط هو العدو الأزرق بمكة، والذي كان يؤذي رسول الله (ص) في نفسه وأهله، وأخباره في ذلك مشهورة، فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه. وورث ابنه الوليد الشنآن والبغضة لمحمد وأهله، فلم يزل عليهما إلى أن مات. وهو أحد الصبية الذين قال أبو عقبة فيهم. وقد قدم ليضرب عنقه : من للصبيبة يا محمد؟ فقال: النار، اضربوا عنقه، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٩٥.

والحكم بن أبي العاص بن أمية، وهم عم الخليفة عثمان. وكان أشد الناس أنى لرسول الله في الاسلام. كان يتطلع على بعض حجرات النبي (ص) فطرده هو وأولاده من المدينة إلى الطائف. ورفض أبو بكر إعادته بعد وفاة الرسول. كما رفض عمر بن الخطاب طلبه بالعودة. فلما صار عثمان خليفة أعادهم إلى المدينة. سيرة رسول الله وأهل بيته ١ : ٥٤٩.

ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وقد طرده رسول الله (ص) مع أبيه. وفي عهد عثمان أرسله إلى إفريقيا فلما فتحها جيش المسلمين أعطاه عثمان خمس تلك الغنائم، مما أثار استياء المسلمين. كما وهبه عثمان منطقة فدك التي منعها أبو بكر عن فاطمة الزهراء (ع).

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري، وهو ابن خالة عثمان وأخوه من الرضاعة. كان كاتباً لرسول الله فظهرت خيانتته في الكتابة، فطرده الرسول (ص) فارتد عن الاسلام وذهب إلى مكة يتحدث بأنه كان يغير في القرآن، فأهدر الرسول (ص) دمه. وبعد فتح مكة استأمن له عثمان من النبي (ص).

هذا (لم يخاطبه بأمرير المؤمنين) إنك قد وترتنا جميعاً . أما أنا فقتلت أبي صبرا يوم بدر ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر ، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه . فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا (عفو عن العقوبات) وتعفي لنا عما في أيدينا (تترك الأموال التي سرقناها) وتقتل قتلة صاحبنا (عثمان) (١) .

هكذا يخاطبون الخليفة بكل جرأة ويطمعون بفرض شروطهم ، بل ويطالبون بالعفو وترك الأموال التي نهبها من بين المال . ترى ماذا سيكون موقف الإمام علي عليه السلام ؟ هل يتعامل معهم كما تعامل صاحبهم عثمان بالتنكيل بمعارضيه أو نفيهم أو سجنهم بتهمة التناول على الخليفة ؟ كلا ، إنه أمير المؤمنين عليه السلام ، لم يكن يلحق الأذى بإنسان قط دون حق ، بل رفض أن يسلب نملة حبة شعير .

لقد غضب الإمام علي عليه السلام من قول الوليد ، ولكن لم يسكته أو يأمر بضربه أو غيره ، بل بادر إلى إجابته على ما ذكر ومحاججته ودحض رأيه ، فقال له :

«أما ما ذكرت من وتري إياكم ، فالحق وترككم . وأما وضعي عنكم ما أصبتم ، فليس لي أن أضع حق الله تعالى ، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم . وأما قتلي قتلة عثمان ، فلو لمزني قتلهم اليوم لمزني قتالهم غدا ، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه . فمن ضاق عليه الحق ، فالباطل عليه أضييق ، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم» ، فقال مروان : بل نبايعك ، ونقيم معك ، فترى ونرى (٢) .

وهذه هي مبدئية الإمام علي عليه السلام والتزامه الشديد بأحكام الشريعة الإسلامية ، ورفضه كل أشكال التنازلات والمساومات . وحدد منذ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٨ - ١٧٩ .

البداية أنه ماض في سياسة إحقاق الحق وارساء العدل .

ولم يكن يجبر أحداً على بيعته لكن بعض المسلمين هربوا من المدينة لأنهم لم يكونوا يطبقون علياً عليه السلام وعدله وحزمه . فقد غادرت أم المؤمنين عائشة المدينة وذهبت إلى مكة وهي تقول : لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان^(١) .

ومن الطبيعي أن يتخلف أعمدة الحزب الأموي أو من يسميهم المؤرخون (العثمانية) نسبة الى عثمان بن عفان ، لأنهم يعتقدون أن الخلافة خرجت منهم وذهبت إلى خصومهم التاريخيين ، بني هاشم ، فأولئك المسلمون كانوا يفكرون بذهنية قبلية لم يشذبها الإسلام ، وإنما - حسب رأيهم - تتنازع بين القبائل على السلطة . يقول الطبري (لما قتل عثمان (رض) بايعت الأنصار علياً إلا نفرأ يسيرا ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة ابن عبيد ، وكعب بن عجرة ، كانوا عثمانيه)^(٢) .

«وتخلف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة محمد بن مسلمة وعبدالله بن عمر وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبدالله بن سلام . فأراد علي عليه السلام أن يعرف طبيعة مواقفهم وأسباب عدم مبايعتهم ، فأمر بإحضار عبدالله بن عمر ، فقال له : بايع ، قال : لا أباع حتى يبايع جميع الناس . فقال له عليه السلام : فأعطني حميلاً (كفيلاً) ألا تبرح (تغادر المدينة) ، قال : ولا أعطيك حميلاً . فغضب مالك الأشر على جرأة عبدالله بن عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا قد أمن سوطك ، فدعني أضرب عنقه ، فقال علي عليه السلام : لست أريد ذلك منه على كره .

(١) ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ١ : ٦٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٦٩٨ .

خلوا سبيله ، فلما انصرف قال أمير المؤمنين : لقد كان صغيراً سيئ الخلق ، وهو في كبره أسوأ خلقاً»^(١) .

ويبدو أن عبدالله بن عمر أراد أن يبرر موقفه الرافض لبيعة الإمام ، وأنه قد شذ مع بعض القلائل عن إجماع المسلمين ، فأراد التشكيك ببيعة علي عليه السلام ، وعرض عليه مقترحاً بإلغاء البيعة ، وأن يتم اختيار الخليفة عبر صيغة الشورى ، لكن علياً عليه السلام عرف أنها فتنة جديدة تهدف إلى شق وحدة الصف الإسلامي فكان موقفه حازماً تجاهه .

يري ابن أبي الحديد أنه «لما بايع الناس علياً عليه السلام ، وتخلف عبدالله بن عمر ، وكلمه علي عليه السلام في البيعة فامتنع عليه ، أتاه في اليوم الثاني ، فقال : إني لك ناصح ، إن بيعتك لم يرض بها كلهم ، فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين . فقال علي عليه السلام ويحك ! وهل ما كان عن طلب مني له ! ألم يبلغك صنيعهم ؟ قم عني يا أحمق ، ما أنت وهذا الكلام»^(٢) .

فقد أراد ابن عمر أن يصور الأمر وكأن الإمام عليه السلام يسعى للخلافة ويتهالك عليها مثل بقية الطامعين ، فأراد عليه السلام أن يذكره بما جرى من المسلمين وإصرارهم على ترشيحه ومبايعته . ووصفه بالحمق ليس بجديد فقد رفض الخليفة الثاني عمر بن الخطاب تسمية ولده عبد الله ضمن أعضاء الشورى قائلاً : كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته^(٣) . لم يستطع عبدالله البقاء في المدينة فخرج منها في اليوم الثالث ، ورفض أمير المؤمنين عليه السلام ملاحقته وإحضاره بل قال : دعوه وما أراد .

وأراد أمير المؤمنين أن يستكشف أسباب تقاعس الآخرين عن بيعته

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ٢٤٦. يذكر أن عبدالله بن عمر بايع يزيد بن معاوية بعد ذلك، وبايع الحجاج بن يوسف الثقفي لعبد الملك بن مروان .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ٢٤٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠ .

وما سيفعلونه ، وحينما يعرف رأيهم يتركهم وشأنهم ، دون تهديد أو وعيد أو قطع العطاء أو هدم الدور أو إحراقها . فأتى عليه السلام بسعد بن أبي وقاص ، وقال له : بايع ، فقال : يا أبا الحسن خلني ، فإذا لم يبق غيري بايعتك ، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً . فقال عليه السلام : صدق ، خلوا سبيله .

ثم بعث إلى محمد بن مسلمة ، فلما أتاه قال له : بايع ، قال : إن رسول الله ﷺ أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا - وشبك على أصابعه - أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد ، فإذا تقطع أتيت منزلي ، فكننت فيه لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطية ، أو منية قاضية . فقال له عليه السلام : فانطلق إذا ، فكن كما أمرت به .

ثم بعث إلى أسامة بن زيد ، فلما جاء قال له : بايع ، فقال : إني مولاك ولا خلاف مني عليك ، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس . فأمره بالانصراف ، ولم يبعث إلى أحد غيره . وقيل له : ألا تبعث إلى حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبدالله بن سلام ، فقال عليه السلام : لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فيها ^(١) .

ويناقش ابن أبي الحديد هذه الأخبار التي تتحدث عن وجود بعض الرافضين لبيعة الإمام عليه السلام ، وأن ذلك قد يخالف ما روي عنه : إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر ، فيقول : إنما مراده عليه السلام أنه متى وقع الاختلاف قبل البيعة نفضت يدي عن الأمر ولم أدخل فيه ، فأما إذا بويع ثم خالف ناس بعد البيعة ، فلا يجوز له أن يرجع عن الأمر ويتركه ، لأن الإمامة تثبت بالبيعة ، وإذا ثبتت لم يحز له تركها ^(٢) .

ويؤيد هذا التحليل ما رواه الطبري أن : «عبدالله بن عباس قال : فلقد

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٤٧ .

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٤٧ .

كرهت أن يأتي (علي) المسجد (قبل البيعة) مخافة أن يشغب عليه (فيمتنع عن البيعة)^(١).

وكان عمرو بن العاص في فلسطين يوم مصرع عثمان فأرسل رسالة إلى سعد بن أبي وقاص في المدينة يستطلع منه الأخبار ويسأله عن قتل عثمان ، ومن قتله ، ومن تولى كبره ؟ فكتب إليه سعد : إنك سألتني من قتل عثمان ؟ وإنني أخبرك أنه قتل بسيف سلتة عائشة ، وصقله طلحة ، وسمه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن . ولو شئنا دفعنا عنه ، ولكن عثمان غير وتغير ، وأحسن وأساء ، فإن كنا أحسنا فقد أحسنا ، وإن كنا أسأنا فنستغفر الله . وأخبرك أن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه ، وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقة^(٢).

أما موقف معاوية فقد رفض التنازل عن سلطانه وإمارة الشام ، إذ أنه يعلم أن علياً سيعزله عنها ، وبذلك تضيع جهود سنين من الاعداد لاستلام السلطة ، وتذهب بذلك ثرواته وامتيازاته . لذلك امتنع عن البيعة ولم يجب كتاب أمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة والقعود إلى المدينة . فقد أرسل علي عليه السلام إليه كتاباً جاء فيه :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

«أما بعد ، فقد علمت إعداري فيكم ، وإعراضي عنكم ، حتى كان ما لا يد منه ولا دفع له ؛ والحديث طويل ، والكلام كثير . وقد أدبر ما أدبر ، وأقبل ما أقبل . فبايع من قبلك ، وأقبل إلي في وفد من أصحابك ، والسلام»^(٣).

رفض معاوية البيعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، وأجمعوا

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٦٩٦ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ١ : ٦٧ .

(٣) نهج البلاغة ، النص رقم ٧٥ (من كتاب له (ع) إلى معاوية في أول ما بويع له) .

رأيهم على خلافة علي عليه السلام ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد رفض إبقائه في منصبه واليا على الشام . وقد نصحه بعضهم بذلك ، منهم المغيرة بن شعبة الذي عرض عليه أن يبقي الولاة الذين عينهم عثمان عاماً واحداً ، فإذا بايعوا أقالهم من مناصبهم دون مشاكل ، لكنه عليه السلام رفض قائلاً : والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمري . أما بالنسبة لمعاوية فقد قال له : فإن كنت قد أبيت علي فأنزع من شئت واطرك معاوية ، فإن لمعاوية جرأة ، وهو في أهل الشام يسمع منه ، ولك حجة في إثباته ؛ كان عمر بن الخطاب قد ولاد الشام كلها . فقال علي عليه السلام لا والله ، لا أستعمل معاوية يومين أبداً^(١) .

كما أشار عليه عبدالله بن عباس بنفس المشورة قائلاً : وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية ، فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله . قال علي : لا والله ، لا أعطيه إلا السيف^(٢) .

أما معاوية فقد كان رده يتضمن ارسال رسالة مختومة خالية من الكتابة ، وحمل رسوله رسالة شفووية لاثارة الانتباه وبذور الشكوك ، واتهام أمير المؤمنين بمقتل عثمان . دخل رسول معاوية فقال له علي عليه السلام : ما وراءك ، قال : آمن ، قال : نعم ، إن الرسول لا يقتل . قال : إنني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى إلا بالقود ، قال : ممن ؟ قال : يقولون من خيط رقبة علي . وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان ، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق ، وأصابع زوجته معلقة فيه ؟ فقال علي عليه السلام : أمني يطلبون دم عثمان ؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ما نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ، فإنه إذا أراد أمراً بلغه ، أخرج . قال وأنا آمن ؟ قال : وأنت آمن^(٣) .

(١) ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ١ : ٦٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٧٠٤ ، وانظر ابن الصباغ ، الفصول المهمة : ٦٢ - ٦٤ .

(٣) ابن الصباغ المالكي ، الفصول المهمة : ٦٥ .

المعارضة المسلحة

لم تكن المعارضة السياسية التي واجهها أمير المؤمنين عليه السلام معارضة قادرة على إقناع نفسها أولاً وجمهورها بشرعية مطالبها وصدق أهدافها، وتناقضها في المواقف بين يوم وليلة ثانياً. وبما أنها كانت تفتقد أسلوب الحوار والمحااجة مع الإمام علي عليه السلام ، وبسبب تكرار أخطائها ومخالفاتها الشرعية مثل نكث البيعة أو عدم طاعة ولي الأمر أو الانزلاق في منزلق البغي والقتل وقطع الطرق ومهاجمة القرى الآمنة وسرقة الأموال ، وجدت نفسها أنها أقرب للعصيان المسلح وخلق الاضطرابات السياسية والأمنية في بعض أنحاء الدولة الإسلامية وسيلة ضغط على السلطة المركزية والخلافة من أجل الحصول على مكاسب آنية .

ولغرض تحليل الأحداث التي واجهها أمير المؤمنين عليه السلام والتي أدت إلى ثلاث حروب طاحنة بين المسلمين أنفسهم ، سنحاول تسليط الأضواء على أهداف ومواقف المعارضة التي وقفت ضد الإمام علي عليه السلام .

حرب الجمل ، معارضة نقودها امرأة

وقد تزعم حركة المعارضة في أول برهة ثلاث شخصيات من الصحابة ، رجلاً وامرأة . أما الرجلان فهما الزبير بن العوام بن خويلد وأمه صفية بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وطلحة بن عبيد الله ، أبوه ابن عم أبي بكر؛ والمرأة هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر .

كان الزبير وطلحة من أشد الناقمين على سياسة عثمان . وقد ذكرنا رسالة سعد بن أبي وقاص إلى معاوية التي يتهم فيها طلحة بتأجيج الناس ضد عثمان . وقد قاد الحصار حول قصر عثمان ، ومنع عنه الماء .

وكان عثمان يخاطبه من أعلى القصر طالباً فك الحصار فرفض طلحة^(١). وعندما تدخل الإمام علي^{عليه السلام} لرد الناس عن عثمان قال طلحة (لا والله، حتى تعطيني بنو أمية الحق من نفسها)، أي ينصاع بنو أمية وهم أقرباء الخليفة لمطالب المسلمين الذين طالبوا بإعادة ما نهبه بنو أمية منهم بالظلم والجور^(٢).

يذكر اليعقوبي (وكان أكثر من يؤلب عليه «علي عثمان» طلحة والزبير وعائشة)^(٣). وكان الزبير يقول للناس: اقتلوا عثمان فقد بدل دينكم، فقالوا له: إن ابنك يحامي عنه بالباب - وكان ذلك أثناء الحصار الذي فرضه الثائرون على بيت عثمان - فقال الزبير: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني. إن عثمان جيفة على الصراط غدا^(٤).

أما عائشة فلم تخف كرهها لعثمان ونقمتها على سياسته. وكانت ذا تأثير جماهيري حيث كان الرواة والناس يتناقلون أقوالها ضده. وقد استخدمت وسائل دعائية تثير في النفوس الحقد ضد الخليفة. فبعد تعرض عمار بن ياسر للاهانة والضرب في مجلس الخليفة عثمان، «غضبت عائشة وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله، فأثارت بذلك مشاعر المسلمين، وأهاجت حنينهم لرسول الله ﷺ، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم! وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبيل بعد. فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول. وينقل اليعقوبي أنه قال: رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن

(١) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ١: ٥٧.

(٢) سيرة رسول الله وأهل بيته ١: ٥٦٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٥.

(٤) سيرة رسول الله وأهل بيته ١: ٥٦٣.

عظيم^(١). فحدثت ضجة في المسجد ، وقال الناس : سبحان الله ، سبحان الله^(٢).

وفي مشهد آخر ، عندما اشتد الحصار على عثمان ، عازمت على الخروج من المدينة إلى الحج ، فجاءها مروان بن الحكم يطلب منها التدخل لفك الحصار ورد الجماهير عن قصره ، لما لها من تأثير عليهم ، فرفضت معلنة أنها تود حمل جثة عثمان وتلقيها في البحر ! . قال مروان : يأم المؤمنين ! لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس ؟ قالت : قد فرغت من جهازي ، وأنا أريد الحج . قال : فيدفع إليك بكل درهم أنفقته درهمين . قالت : لعلك ترى أنني في شك من صاحبك ؟ أم والله لو وددت أنه مقطع في غرارة من غرائري ، وإنني أطيق حمله ، فأطرحه في البحر^(٣). وفي مواجهة ساخنة بين عائشة وعثمان وفيها تحريض واضح لقتله حيث قالت له : أي عثمان ! خصصت بيت مال المسلمين لنفسك ، وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين ، ووليتهم البلاد ، وتركت أمة محمد في ضيق وعسر ، قطع الله عنك بركات السماء وحرمت خيرات الأرض . ولولا أنك تصلي الخمس ، لنحروك كما تنحر الإبل . فقرأ عليها عثمان قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾^(٤) (التحريم : ١٠) .

آثار ذلك التحريض غضب عائشة ، فزادت نقيمتها عليه حتى أطلقت شعارها الشهير (اقتلوا نعتلاً فقد كفر) . وتشير كلمة (نعتل) إلى عدة

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٥ .

(٢) مرتضى العسكري ، أحاديث أم المؤمنين عائشة ١ : ١٣٤ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٥ - ١٧٦ .

(٤) سيرة رسول الله وأهل بيته ١ : ٥٦٥ .

معاني سيئة منها الذكر من الضباع ، والشيخ الأحمق ، ويهودي كان بالمدينة^(١).

ولم يبق غضب عائشة على عثمان مستمراً بل أن موقفها قد تغير بين ليلة وضحاها تجاه عثمان بعد مقتله . ففي الفترة التي سبقت مقتله ، لعبت عائشة دوراً تحريضياً ضده ، ولكنها بمجرد علمها أن الخليفة الجديد هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، خصمها اللدود ، حتى باتت تطالب بدم عثمان ومعاقبة قتلته . يروي الطبري (خرجت عائشة (رض) نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان ، فلقبها رجل من أحوالها ، فقالت : ما وراءك ؟ قال : قتل عثمان ، واجتمع الناس على علي ، والأمر غوغاء . فقالت : ما أظن ذلك تاماً ، ردوني ، فأنصرفت راجعة إلى مكة ، حتى إذا دخلتها أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي - وكان أمير عثمان عليها - فقال : ما ردك يا أم المؤمنين ؟ قالت : ردني أن عثمان قتل مظلوماً ، والأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام . فكان أول من أجابها عبدالله بن عامر الحضرمي ، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم ، وقام معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائر بني أمية^(٢).

السيدة عائشة ، طموحات للزعامة

تعتبر أم المؤمنين عائشة من مشاهير النساء في التاريخ الإسلامي اللائي لعبن دوراً كبيراً في مجريات الأحداث في عصر صدر الإسلام . فقد شاركت في الحياة السياسية من بابها الواسع ، ولم تتحفظ في

(١) سيرة رسول الله وأهل بيته ١ : ٥٦٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٧ .

نشاطاتها وخطاباتها ولقاءاتها بالمجتمع الرجالي في تلك البيئة المحافظة التي لم تكن تسمح للمرأة إلا بدور محدود في المجتمع . كما لم يمنعها ذلك من المشاركة في التخطيط والتنفيذ لتزعم الحركة المعارضة للخلافة الشرعية التي أمرت بطاعتها . وكانت لا تتحرج من حضور الاجتماعات واللقاءات بالرجال ومناقشة الكثير من القضايا والشؤون السياسية والعسكرية . وكانت تبعث على الرجال وتعطيهم أوامرها ، كما ترسل الرسائل إلى كبار الصحابة تخبرهم بأرائها ومواقفها تجاه الأحداث ، وكانت تأمر وتنهى^(١) . ولو كانت الأعراف السائدة آنذاك تسمح بتولي المرأة لما توانت عن المطالبة بالخلافة لنفسها . فهي امرأة ذات طموحات عالية .

لقد كانت عائشة العقل المدبر للعديد من الأحداث ، فهي أول من رفع شعار المطالبة بدم عثمان ومعاقبة قتلته - كما رأينا فيما رواه الطبري أنفا - لتثير بذلك جواً من التوتر والتشكيك والاتهام للخليفة الجديد . كما أنها فتحت باباً أمام أقارب عثمان وبني أمية وبقية الناقمين والموتورين من الإمام علي عليه السلام .

ولكونها قريبة من الرسول ﷺ باعتبارها زوجته فقد كانت تحظى باحترام وتقدير كبيرين لدى عامة المسلمين . وقد استغلت هذه الميزة في التأثير على أفكار ومواقف جمهور المسلمين ، وتجنيدهم لصالح شركائها من المعارضين ، مستخدمة أساليب نفسية واجتماعية من أجل إقناع الناس بمواقفها ، وتخطيط موقف الخليفة علي عليه السلام . وكانت ذا قدرة على الخطابة ومواجهة جمهور المسلمين وإلقاء الخطب السياسية التي تلهب مشاعرهم ، فقد ألقى خطبة في أهل البصرة قبل معركة الجمل ،

(١) راجع على سبيل المثال ، شرف الدين ، النص والاجتهاد : ٢٢٢ وما بعدها ولقاءات عائشة مع أبو الأسود الدؤلي ، زيد بن صوحان ، جارية بن قدامة ، الأحنف بن قيس ، وغيرهم .

مدافعة عن موقف عثمان وأنه قتل مظلوماً ، وأن علياً بُويع بالخلافة دون مشورة من الجماعة ابتزازاً وغصباً ، ثم طالبت الجماهير بالمطالبة بقتلة عثمان وقتلهم . ولم تنس أن تطرح مشروعها السياسي البديل ، حيث قالت : (فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان)^(١) أي علي عليه السلام . ففي معركة الجمل أصبحت هي قائدة الجيش بعد اعتزال الزبير ومصرع طلحة قبل بدء المعركة ، وكان جنود معسكرها يتفانون في الدفاع عن جملها حتى قتل سبعون رجلاً تحت بعيرها .

وكان للسيدة عائشة دور كبير في الحملة الاعلامية التي شنتها السلطات الأموية ضد علي عليه السلام وأهل البيت عليه السلام ، حيث باتت عائشة مصدراً قوياً للأحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وما يزال اسمها يرد في كتب الصحاح والحديث ، وفي خطب الجمعة وعلى المنابر والمناقشات الدينية والثقافية في العالم الإسلامي اليوم .

طلحة والزبير ، آمال تبددت

وكان الزبير وطلحة يتطلعان إلى الخلافة ولكنهما وجدا أن أنظار المسلمين تتطلع إلى علي عليه السلام خليفة بعد عثمان . لم يكن بإمكانهما ترشيح أحدهما لينافس علياً ، لذلك تغير موقفهما بسرعة ، فحرصا على أن يكونا أول المبايعين لعلي عليه السلام ، كي يقدر جهودهما وتزعمهما حركة المطالبة بانتخابه خليفة ، ويرد ما فعلاه من أجله ، أي تولي مناصب إدارية كولاية في الأقطار الإسلامية ومنحهما امتيازات تليق بوزنهما وسوابقهما ، خاصة وأنهما لم يستفيدا كثيراً في عهود الخلفاء الثلاثة . لكن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن بالذي يساوم من أجل مصالح ذاتية ، فلم

(١) شرف الدين ، النص والإجتihad : ٣٣٧ .

يعطهما أي منصب ، بل أرادهما بجانبه . يذكر اليعقوبي (وأناه طلحة والزبير ، فقالا : إنه قد نالتنا بعد رسول الله جفوة ، فاشركنا في أمرك ! فقال : أنتما شريكاي في القوة والاستقامة ، وعوناي على العجز والأود)^(١) .

(وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق ، وطلحة في اليمن ، فلما استبان لهما أن علياً غير موليتهما شيئاً ، أظهرتا الشكاة ، فتكلم الزبير في ملأ من قریش ، فقال : هذا جزاؤنا من علي ، قمنا له في أمر عثمان ، حتى أثبتنا عليه الذنب ، وسببنا له القتل ، وهو جالس في بيته وكفي الأمر . فلما نال ما أراد جعل دوننا غيرنا . فقال طلحة : ما للوم إلا إنا كنا ثلاثة من أهل الشورى ، كرهه أحدنا وبايعناه ، وأعطيناه ما في أيدينا ، ومنعنا ما في يده ، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا)^(٢) .

ويضيف اليعقوبي أن هناك من يقول (أنه ولي طلحة اليمن ، والزبير الإمامة والبحرين ، فلما دفع إليهما عهديهما قالاه : وصلتك الرحم ! قال : وإنما وصلتكما بولاية أمور المسلمين . واسترد العهد منهما ، فعتبا من ذلك ، وقالوا : آثرت علينا ! فقال : لولا ما ظهر من حرصكما ، لقد كان لي فيكما رأي)^(٣) .

من المرجح أنه لم يكتب شيئاً لهما ويتراجع بل كانت نصيحة من أحد مقربيه بتولية بعض الشخصيات التي ربما تثير الشغب وتسبب صعوبات ومشاكل سياسية وأمنية لخلافة أمير المؤمنين ، وهي في بداية عهدها . فتأتي توليتهم بعض المناصب لتفادي اضطراب الأوضاع . ويمكن بعد ذلك عزلهم بسهولة بعدما يترسخ الحكم ويثبت . وهناك أخبار كثيرة تتحدث عن نصح بعضهم بتولية معاوية الشام ، وطلحة اليمن ، والزبير البحرين ، لكن علياً عليه السلام رفضها جميعاً .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ١ : ٧١ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠ .

أبهاية

عبد الكريم رهوضا

مقدمة :

لقد أبتلي العالم الإسلامي منذ دفع أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم عن موقعهم الحقيقي في قيادة الأمة والسير بها إلى أهدافها العالمية المتمثلة في هداية البشرية وانقاذها من ظلمات الأهواء وشرور المفسد إلى نور الهداية والسعادة اللانقطة بالانسان الذي أبتلي بالجمود الفكري والركون إلى الدعة وعدم الاحساس بالمسؤولية الملقة على عاتق كل عضو من أعضاء هذه الأمة ، ونتيجة الانقسامات والاختلافات التي عصفت بالأمة تهيأت أرضية مناسبة لنمو وانتشار الأفكار والحركات الضالة والهدامة من داخل البيت الإسلامي ، والتي لعبت دوراً كبيراً في تخلف وتأخر المسلمين ومهدت الطريق سالكة لأعدائهم الكفرة حتى تمكنوا من استعمارهم واستضعافهم والسيطرة عليهم ، فساموهم الذل والهوان وجعلوهم في موقع الخاسر الذي لا حول ولا قوة له ، فأخذ



المسلم ينظر إلى نفسه نظرة احتقار وازدراء بدلاً من أن يعود إلى ذاته ويراجع تاريخه ليعرف العلل والأسباب التي أدت إلى هذه الحالة انجذب ببريق الأفكار المستوردة والقوالب الجاهزة التي أعدت خصيصاً للمسلمين .

قال مايكل هدسون في كتابه «السياسات العربية والبحث عن الشرعية» : «إنه ليست هناك أمة في العالم تملك من عناصر التوحد ما تملكه الأمة العربية الإسلامية ومع ذلك فإن ماعاناه المسلمون من تمزق وانقسام منذ قرنين وحتى اليوم لا يُقاس به غير ما لاقتّه بعض الشعوب الصغيرة التي عانت ولا تزال لوقوعها بين دولٍ كبرى ... ويكاد يجعل المسائل مستعصية على الفهم ذلك للانحسار المستمر لثقافة الأمة الإسلامية ودورها وصورتها عن نفسها في التأريخ والحضارة والسياسة والعلاقة بالعالم»^(١).

الفرقة البهائية

هي واحدة من الحركات الضالة والطرق الهدامة التي استطاعت أن تلعب دوراً مؤثراً في إنكاء نار الفتنة والفرقة داخل الأمة الإسلامية . ولعل الخصوصية التي كانت تتمتع بها منطقة نشوء ونمو هذه الحركة بالإضافة إلى الوضع السياسي السائد لتلك الفترة الزمنية ، كان له الأثر في نشوء ملابسات وتداخلات عقائدية ومذهبية وسياسية أدت إلى استفحالها ولو لفترة زمنية محدودة جداً من عمر الأمة الإسلامية . والفرقة البهائية هي امتداد للحركة البابية التي نشأت في القرن الثالث

(١) عن مجلة الاجتهاد : موضوع اشكاليات التوحد والانقسام في المجال العربي الاسلامي، العدد ١٩ : ٥ السنة الخامسة .

عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي - في مدينة شیراز على يد مؤسسها الميرزا علي محمد الشيرازي الذي أطلق على نفسه (الباب) المولود في شیراز في الأول من محرم ١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م من عائلة معروفة وكان قد كفله خاله الذي يعمل في التجارة بعد وفاة أبيه ، فسلك مسلك خاله ، واشتغل بالتجارة منذ أن شبَّ وأخذ ينتقل بين البلدان بحكم عمله ، وعندما كان يصل إلى كربلاء يحضر مجالس الدرس والبحث لبعض العلماء ، وخلال ذلك صار يداوم على حضور درس أحدهم في كربلاء وهو كاظم الرشتي الذي كان يتمتع بحضور ونشاطٍ علمي وسياسي كبير آنذاك وكان قد ذهب بآرائه مذهب الشيخية الذي أسسه الشيخ أحمد الإحسائي والذي أطلق عليه أيضاً «مذهب الكشفية»^(١) ، فكان يبشّر مريديه بقرب ظهور المهدي الموعود ويذكر أوصافه ، وكان من أوصاف المهدي التي ردها الرشتي ما تصوّره علي بن محمد الشيرازي بأنه ينطبق عليه - حسب ما سولت له نفسه - فاعتقد أنه هو صاحب الزمان الذي طال على الناس انتظاره ، وعاد إلى شیراز وهو يعتقد تماماً أنه صاحب رسالة كبرى . في هذه الأثناء ونتيجة انبهار البعض بأفكار الكشفية واستفحال أثرها السلبي على عقول البعض الآخر ، فإن عدداً من

(١) الكشفية : وتعرف أيضاً بالشيخية نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن زين العابدين الاحسائي وإليه ينتسب متبعوها فيسمون بالشيخية أي أتباع الشيخ المذكور، كما يسمون بالكشفية نسبة إلى الكشف والالهام ودعوى رؤية الأئمة (ع) الذي يدعيه هو ويدعيه له أتباعه، وهي طريقة تتعارض مع العقل واصل العقيدة والقواعد الشرعية في مدرسة أهل البيت (ع) ظهرت في تلك الأعصار ويقوم مبناها على التحقيق في ظواهر الشريعة وإدعاء الكشف كما دعاه جماعة من مشايخ الصوفية وهولوا ومؤهوا به وتكلموا بكلمات مبهمة وشطحوا شطحات خارجة عما يعرفه الناس ويفهمونه ، وهذا التعمق في ظواهر الشريعة ما لم يستند إلى نص قطعي من صاحب الشريعة أو برهان جلي قد يؤدي إلى محق الدين، لأن كل انسان يفسّر الباطن بحسب شهوة نفسه ويجعل ذلك حجة على غيره ويقول هذا من الباطن الذي لاتفهمه...» .

مريدي السيد كاظم الرشتي قد اعتقدوا أن المهدي قد ظهر ، فتركوا كربلاء وانتشروا في الأرض بحثاً عنه فوصل بعضهم إلى شيراز والتقى بعلي بن محمد سنة ١٨٤٤م / ١٣٦٠ هـ، وكان الأخير قد أعلن دعوته وظهر بمقام المهدي والقائمة وبأنه الباب . وقد خاطب هذا المدعي أول شخص آمن به الذي يدعى الملا حسين بشروية من خراسان قائلاً «يا من هو أول من آمن بي حقاً، انني أنا باب الله وأنت باب الباب ولا بد من أن يؤمن بي ثمانى عشرة نفساً من تلقاء أنفسهم ويعترفون برسالتى وسينشدني كل منهم على انفراد بدون أن يدعوهم أحد أو يُنبّههم إلى ذلك . وعندما يتم عددهم يجب انتخاب أحدهم لمرافقتي إلى الحج إلى مكة والمدينة وهناك أبلغ الرسالة الالهية إلى شريف مكة ثم أرجع إلى الكوفة وفي مسجد تلك المدينة أظهر الأمر ... وسأعين لكل من الثمان عشرة نفساً رسالته ومهمته وسأعرفهم كيفية تبليغ كلمة الله وأحياء النفوس»^(١).

وكلمة الباب في نظر أتباع هذه الفرقة تعني الموصِل إلى جنة الايمان وانه أي الباب هادي العباد إلى العقيدة الحقّة ، وانه صاحب دين جديد، وهناك من أتباعه من فسّر هذا اللفظ بمعنى آخر وقال : إن الباب ليس إلا الوسطة بين حجة الله الموعود وبين الناس^(٢) ، وانه المبشر بظهور المهدي ، وليس المهدي نفسه ، وأياً كان الأمر فقد دعا الباب الناس إلى ترك معتقداتهم والايمان به^(٣).

وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين «قصد الميرزا علي محمد

(١) زرندي ، محمد نبيل ، مطالع الأنوار، تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الاولى للأمر البهائي : ٥٠ .

(٢) ميرزا جاني كاشاني. كتاب نقطة الكاف . في مقدمة ادوارد براون : ٢٠ ، طبع مطبعة بريل ، ليدن هولندا ١٩١٠ م .

(٣) الدكتور نوار ، عبدالعزيز سليمان : الشعوب الاسلامية : ٢٤٦ ط بيروت .

الحج ثم زار مسجد الكوفة وبدأ له بعد ذلك تأسيس دين جديد يخلف الإسلام في بلاده ، وهناك وضع كتابين أحدهما في تفسير سورة يوسف والآخر في وصف رحلته فذهب في تفسيره مذهباً جديداً في النظر واستنتج من آيات تلك السورة اصولاً لم يستنتجها أحد قبله ، فطار ذكره بين الناس واحترار به الخلق ، فكان يخطب الناس في المساجد ويوجّه أشد الملامة والتأنيب إلى قادة الدين ... وإن ذاك سمى نفسه بالباب مشيراً بذلك إلى الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل إلى حضرة الخالق عزوجل ، فأطلق عليه أشياعه لقباً جديداً وهو (حضرة العلي) وفي هذا الوقت أعلن الباب انه (النقطة) أي منبثق الحق وروح الله وتظهر قدرته وجلالته وتنازل عن لقب الباب لأحد أشياعه المدعو حسين بشروية من أهل خراسان وهو الذي طبع البابية بطابع عملي قلبه إلى حزب سياسي شديد الخطورة»^(١).

لقد بدأ الباب متذبذباً في إدعاءاته منذ اللحظة الاولى التي جاء بها بهذا الأمر وقد صبغ دعوته بصبغة دينية روحانية وأعلن في ابتداء دعوته أنه جاء ممهداً لظهور المهدي الموعود ، وبيّن ذلك في التفسير الذي وضعه لسورة يوسف في أكثر من موضع ، فقال «قل ان الله فاطر السموات والأرض من عنده حجتة القائم المنتظر وانه هو الحق واني أنا عبد من عباده قد أسخر الملك لدولته فأسلموا لأمر الله»^(٢)، وقال في موضع آخر «ياعباد الله اسمعوا نداء الحجة حول الباب ان الله ربي قد أوصى إليّ إنّنا قد انزلنا هذا الكتاب على عبدنا ليكون على العالمين على الحق بالحق

(١) وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ٦: ٢.

(٢) نجفي، سيد محمد باقر، كتاب بهائيان باللغة الفارسية: ١٦٢، عن كتاب «أحسن القصص» لعلي بن محمد الشيرازي في تفسير سورة يوسف، من مخطوطات المكتبة الرضوية.

نذيراً وبشيراً»^(١). وطبقاً لتعاليم الكشفية فإنه استنتج بأن المهدي الموعود لا يشترط أن يكون هو الامام الثاني عشر ابن الامام الحسن العسكري عليه السلام ، لهذا فإنه استرسل في غيه وادعى بأنه هو المهدي الموعود الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وصرح بذلك في الجلسة التي عقدت بحضور كبار العلماء من مجتهدي ذلك الوقت في منطقة انزلي بايجان وولي عهد الشاه ناصر الدين ميرزا لمحاكمته ، فحينما سأله أحد العلماء الحاضرين «من تكون وما هو ادعاؤك وما هي الرسالة التي أتيت بها» ؟ أجاب ثلاثاً (اني أنا الموعود وأنا الذي دعوتهم مدة ألف سنة وتقومون (تقفون) عند اسمي وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره . الحق أقول لكم ان طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب)^(٢).

وقد ادعى في احيان اخرى أنه يدعو إلى دين جديد وأنه يوحى إليه وأنه نبي جديد جاء بشريعة تنسخ شريعة الإسلام السابقة . ويتضح ذلك عند الاطلاع على عقائد البابية كما جاء في كتاب البيان الذي وضعه الباب بنفسه باللغة العربية ومدى تناقضها الصريح مع العقائد الإسلامية الحقة واختلافهما مع الاصول التي بنيت عليها الشريعة .

وفي هذه المرحلة حاول الباب أن يجعل دعوته سرية وكأنه كان يترسم خطى الرسول الأكرم ﷺ لينشر دعوته بأسلوب مشابه للأسلوب الذي اتبعه ﷺ وكان يتعبد في خلوته ويدعي أنه يوحى إليه بكلمات معجزات ، فخرج على الناس بكتابه الذي سمّاه (البيان) والذي أراده أن يكون قرآناً جديداً ، ولكنه كان حافلاً بالأخطاء اللغوية وله

(١) م. ن : ١٦٤ .

(٢) نندني، محمد نبيل، مطالع الأنوار، تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي : ٢٤٩ .

اسلوب ركيك ولحنه الأعجمي لا يمكن أن يحصى لكثرتة ومعانيه قليلة . وعندما سُئِلَ عن سبب ذلك أجاب : «فإن الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها بأن قيّدت بسلاسل الاعراب وحيث أن بعثتنا جاءت رحمةً للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فأطلقت من قيدها تذهب إلى حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط»^(١) . وهكذا استمر في غيّه واختلاقه المبررات لنشر دعوته المضلة فأفسد المعتقدات وبث الدعاوى الباطلة مستفيداً من عبارات بعض من سبقه من ادعاء العلم الذين شطّوا عن الطريق السوي وابتدعوا طرقاً بعيدة عن الدين مثل السيد كاظم الرشتي^(٢) المذكور . فكان مدعاة لإضلال جمع من العوام وانحراف واندخاع آخرين ممن تأثروا بسخافاتة وشطحاته فاعتبروها تجديداً في التشريع والاعتقاد والتفقه .

نشوء البهائية :

وقد عرفت هذه الحركة بعد هذا بالبهائية وكل من ينتمي إليها يقال له بهائي كما هو معلوم وهذه التسمية نسبة إلى حسين علي النوري الذي لقّب نفسه ببهاء الله والذي كان المحرك الثاني للدعوة بعد الباب وقد تزامنت دعوته ونشاطه مع حركة الباب سنة ١٢٦٠ هـ . حينما وصله أول كتاب منه عن طريق أحد الأتباع الرئيسيين للباب وهو الملا حسين

(١) البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ، ٥ : ٢٦ .

(٢) والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة وهو الذي أطلق على علي محمد الشيرازي المعروف بالباب الذي يدّعي دعاوى فاسدة اسم «الباب» وكذا سمى (بنت الحاج ملا صالح القزويني قرّة العين، وهي أحد أقطاب البابية البارزين) وإن لم يعلم رضاه بما ادعاه الباب وقرّة العين بعد ذلك . عن أعيان الشيعة ٩ : ٥٨٩ .

البشري (بشرية) وينقل انه عندما استلم الكتاب من الرسول ، وقرأ ما به بصوت مرتفع إلتفت إلى أخيه وقال له : يا موسى^(١) ! ماذا تقول أليس كل من يعتقد بالقرآن ويعترف بمنبعه السماوي لا يسعه أن يتردد ولو لحظة في أن هذه الكلمات قد تجلّت بنفس القوة المحيية للأرواح ، وإلا فإنه يخطيء في حكمه ويضلّ عن صراط العدل^(٢) ؟.

وعندما سمع الملاً حسين البشري ما نقله الرسول عن قراءة الكتاب من قبل حسين علي النوري (بهاء الله) ومدى تأثره به ، قال للرسول : «لا تخبر أحداً بما سمعت وشاهدت فاجعل ذلك سرّاً مكتوماً في صدرك ولا تفشي اسمه لأن الذين يحسدونه على مقامه سيقومون للإضرار به، واطلب من الله التقدير في مناجاتك أن يحفظه فبواسطته يُرفع المستضعفون ويغنى الفقراء ويعزّ المساكين وسيبقى سرّ الأمر محجوباً الآن عن انظارنا فعلياً أن نرفع نداء هذا اليوم الجديد وندعو جميع الأمم والأقوام إلى هذه الرسالة الربانية وسوف يُفدي الكثيرون من هذه المدينة أرواحهم في هذا السبيل . ومن هذه الدماء ترتوي شجرة الله وتنمو حتى تستظل في ظلها جميع الخلائق»^(٣).

لقد أشرنا قبل قليل إلى أن الباب في المراحل الأولى لدعوته كان يصرّح بأنه جاء مبشراً بالموعود المنتظر وقد استفاد من هذه الدعوى حسين النوري وادعى بأنه هو المعني بذلك وعليه أن يظهر برسالته . وكان أول ما قام به (بهاء الله) هو نشر تعاليم الباب في موطنه الأصلي (نور) في اقليم مازندران ، وقد أشاع أتباعه بعض الاشاعات في الأيام الأولى لتحركه أرادوا من خلالها الالتقاء في أذهان الناس بأنه هو المهدي

(١) وكان يلقب بالكليم وهو أخ بهاء الله ومن المدافعين عنه حتى آخر حياته .

(٢) زرندي ، نبلي أعظم ، التاريخ النبلي : ٨٥ .

(٣) نبلي أعظم ، التاريخ النبلي : ٨٥ .

الموعد . ومما اشاعوه وهولوا له : «ان أحد المجتهدين المشهورين في ذلك الوقت والذي كان في اوج شهرته وعظمته وهو (المجتهد الشهير الميرزا محمد تقي النوري) والتي وصلت عظمته إلى درجة أن الذين يجلسون عند اقدامه كانوا يعتبرون أنفسهم من مفسري الشرع ومعلمي الإسلام ، قد أخبر تلاميذه عن رؤيتين رآهما كان لهما في نظره أهمية كبيرة ، قال عن الأولى : كنت كأني واقف في وسط مجمع من الناس يشيرون إلى منزل يقولون أن صاحب الزمان سَكَنَهُ فأسرعت وأنا مستبشر بذلك للوصول إلى حضرته ، ولما وصلت إلى المنزل مُنعتُ عن الدخول وقيل لي أن القائم مشغول في المحادثة مع شخص آخر ولا يمكن الوصول إليه ، واستنتجت من هيئة الحراس الذين رأيتهم بجوار باب المنزل أن ذلك الشخص هو بهاء الله . وأما في الثانية فقد قال : وجدت نفسي كأني في محل وصولي صناديق عديدة قيل لي انها تتعلق ببهاء الله ولما فتحتها وجدتها مملوءة كتباً وكانت الكتابة والحروف تلمع كجواهر غالية وضوؤها يأخذ الأبصار وقد أدهشني لمعانها على شأن أيقضني من النوم فجأة»^(١).

في مثل هذه الأجواء المشحونة بالاشاعات والأقاويل استمر (البهاء) يدعو إلى رسالته الجديدة مستخدماً اساليب ووسائل ملتوية وخادعة استطاع من خلالها أن يجذب بعض الناس فتأثروا به وأخذوا يرددون ماجاء به ، وكانت كلماته مستمدة من كتابات الباب ورسائله إلى أتباعه وأصحابه . وقد وصف أحد المؤرخين الغربيين العبارات التي كان يرددها البهاء بشيء من الاعجاب والاستحسان مما ينبئ عن الرضا لجليل الخدمات التي أسدتها هذه الدعوة للغرب الكافر ، حيث قال : «كانت

(١) زرندي، محمد نبيل ، مطالع الأنوار ، تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي : ٨٩ .

عباراته (البهاء) كالسيل المتدفق ، فأوجبت سلاسة عباراته ووضوح بياناته أن يجلس أعظم العلماء تحت أقدامه»^(١).

استمر البهاء يدعو إلى مذهبه تدريجياً ويجمع حوله الاتباع دون أن يعارض بشكل صريح للإسلام ، وكان يبث سمومه بشكل غير مباشر خوفاً من رد الفعل ، حتى سنة ١٢٦٤ هـ حيث دعا بصراحة إلى نسخ الأحكام السابقة (الإسلامية) وأتى بأحكام مبتدعة لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هي من شرائع الدعوة الجديدة ، وكان ذلك في مؤتمر دعا له البهاء أفراد الحركة البهائية المعتمدين وكان عددهم ٨١ شخصاً حضروا في منطقة بدشت وسمي المؤتمر بمؤتمر بدشت ، وحسب الظاهر كانت بدشت قرية من قرى شاهرود ، وقد استمر هذا الاجتماع عدة أيام ، وفيه سمى حسين علي النوري نفسه بالبهاء وسمى الآخرين بأسماء جديدة فمثلاً سمى «قرة العين»^(٢) بالطاهرة وسمى أحد الأعضاء الرئيسيين لهذه الحركة بالقدوس وهكذا البقية . وللوقوف على حقيقة الأمر ننقل هنا عبارات أحد أقطاب البهائية يصف فيها ذلك اليوم الذي عقدوا فيه اجتماعهم حيث يقول : «وفي كل يوم من أيام ذلك الاجتماع المشهود كان يُلقى تقليدٌ من التقاليد المعروفة وبذلك خرقت الحُجب الناشئة من تقديس الأحكام الشرعية (الإسلامية) وأزيلت الأصنام التي كان يعبدها الناس عبادة عمياء ولم يكن أحد يعرف مصدر هذا التجديد الجريء أو يعين الشخص الذي كان يدير دفة الأمور بكل مهارة ، ذلك الذي منح كل

(١) د جيني ، كتاب اتفاق الأمم والأديان : ١٢٠ .

(٢) وهي أول امرأة آمنت بالباب ودعت إلى دعوته وكانت من تلامذة السيد كاظم الرشتي الذي أتى بذكره وكان اسمها «زرين تاج» وكانت من الأقطاب المهمة لهذه الحركة والبالغ عددهم ١٩ فرداً وكل واحد من هؤلاء يُطلق عليه حرف ، وكانت الطاهرة (قرة العين) أحد هذه الحروف وأفراد هذه المجموعة قد عينتهم الباب علي محمد الشيرازي في بداية دعوته واطلق عليهم (حروف الحي) لذلك فإن الرقم ١٩ له قدسية خاصة عندهم .

شخص من المجتمعين في تلك القرية اسماً جديداً، وكان كل فرد يعتقد في واحد حسبما يظن ولم يدرك منهم إلا القليل بأن بهاء الله هو الذي كان مصدر جميع هذه التغييرات ذات الأثر البعيد وأنه هو الذي حددها بدون خوف ولا وجل»^(١).

واللحقيقة التاريخية يجب أن نشير إلى أن الكثير ممن تبع هذه الدعوة لم يكونوا قد وقفوا على حقيقة الأمر في أن هذه الدعوة تدعو إلى هدم الدين وصرف المسلمين وذلك للأسلوب المراوغ والخادع الذي أتبعه البهاء وأصحابه، فاصطدم الكثير منهم بعد بدشت بالحالة الجديدة والتصريحات المرتدة، فعرفوا حقيقة الدعوة وانهم كانوا مخدوعين بالأفكار والآراء الجديدة والتي لم يتصوروا بأنها ستتناقض مع دينهم ومعتقداتهم السابقة، ويصف أحد المؤرخين الحالة التي انتابت الجمع في بدشت فيقول «فاضطربت أركانهم واستولت على أرواحهم الرعب والغضب والدهشة»^(٢). وكان للمرأة الضالة (قرة العين) دور كبير في تغيير الأحكام [القديمة] حيث سعت بنفسها إلى إبراز هذا الأمر ودخلت إلى محل الاجتماع بدون حجاب وأمام أعين جميع الحاضرين وخطبت في الحاضرين ومما قالته «أيها الناس إن أحكام الشريعة الأولى أعني المحمدية قد تُسخت، وإن أحكام الشريعة الثانية لم تصل إلينا فنحن الآن في زمن لا تكليف فيه بشيء»^(٣). فأخذت الناس الدهشة ووقف الكل حائرين أمام هذا المنظر غير المنتظر وكانوا يظنون أن رؤيتها غير محبة من أكبر المحال وبأن النظر إلى خيالها وظلها غير جائز، «فخبأ البعض وجوههم بأيديهم ووضع آخرون رؤوسهم تحت عباءاتهم حتى

(١) زرندي محمد نبيل، مطالع الأنوار عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي: ٢٣٤.

(٢) م. ن: ٢٣٤.

(٣) البستاني، المعلم بطرس، دائرة المعارف ٥: ٢٨.

لا ينظروا وجه الطاهرة (قرة العين)، فانه إذا كان النظر إلى وجه الأجنبية محرماً فكيف النظر إلى وجه الطاهرة ... وانتهى الاحتفال بهياج لا يوصف ووقعت الشتائم على امرأة لا حياء عندها وظن البعض أنها جُنّت، وقال آخرون: إنها لوقاحة ولم يوافق على عملها سوى القليل»^(١) ويصف مؤرخهم البهائي حالة الأتباع في ذلك اليوم فيقول «وهزهم هذا الظهور الفجائي بدرجة أن أحدهم المدعو عبدالخالق الاصفهاني قطع حنجرته بيده وفرّ هارباً من وجه المرأة الطاهرة وهو مغطى بدمه ويصرخ بهيجان، وفعل غيره من أقرانهم مثله، وتركوا اعتقادهم ونكسوا على أعقابهم وبقي عدد كبير واقفاً أمامها [قرة العين] بدون حراك متحيرين في أمرهم وبقي «القدوس» - أحد أقطاب البهائية - في مكانه قابضاً على سيفه المسلول وعلى وجهه علائم الغضب الشديد وكأنه ينتظر فرصة ليضرب الطاهرة الضربة القاضية»^(٢). هذه مقتطفات من ردود الفعل التي حدثت نتيجة توضيح هوية الدعوة الجديدة حتى من قبل الذين يعتبرون من الأركان الرئيسية للحركة البهائية مثل «القدوس» وقد احتفل بهذه المناسبة جمع من بقي في هذا الاجتماع واعتبروا هذا اليوم «يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي فيه تفكّ قيود الماضي».

وكان ذلك اليوم التاريخي والأيام التي تلتها قد أثّرت في أخلاق وعادات من حضر الاجتماع فتغيرت طريقة العبادة تغييراً فجائياً كلياً وطرحت العبادات القديمة [الإسلامية] جانباً، وكان بعضهم لا يوافق على حصول مثل هذا التغيير الأساسي وظنّوا أنه عين الكفر وامتنعوا أن

(١) من كتاب علي محمد الباب لنيقولا س: ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) زرندي محمد نبيل، مطالع الأنوار، تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي: ٢٣٤.

وأبو الفضل كلبايكاني، ميرزا، في كتاب كشف الغطاء: ١٨٧.

ينسخوا ما يعتبرونه من أعظم أحكام الإسلام . وقيل : بأن الغرض من هذا الاجتماع أنه كان لوضع حدّ بين الإسلام والأمر الجديد وكذلك لتصحيح خطأ شائع كان الكثيرون يعتقدون به وهو أن القائم الجديد انما جاء ليتمّم الأحكام الإسلامية ، في حين أن التعاليم الجديدة نسخت التعاليم الإسلامية ، وحسب اعتقاد البهائية «فإن العالم ابتدأ يدخل في دورة جديدة دنيوية وعلمية فمن الضروري لها وجود قوانين وأحكام جديدة»^(١).

بالإضافة إلى ردود الفعل هذه وعودة الكثير من المغرّر بهم إلى الإسلام فقد كان للعلماء والمراجع في حينها دورٌ كبير في اجهاض خطط ومحاولات دعاة هذه الحركة في المناطق المهمة التي انتشرت فيها واعتبروها مراكز لهم و[لدينهم الجديد] مثل مازندران وتبريز وكربلاء ، فأصدروا الفتاوى بكفر الميرزا على محمد الباب ومن تبعه وطالبوا بإجراء حد المرتدّ عليه وعلى من يتبعه بعد القاء الحجة عليهم ، وبعد مناقشات ومباحثات لارجاعهم عن غيهم رجع الكثير منهم وآبوا إلى الحق حتى أن بعض المدن التي كان لعلماء أهل البيت (عليهم السلام) فيها دورٌ كبير بتوعية وتوجيه الناس لم تلق أي تجاوب يذكر مع هذه الحركة ، فمثلاً أرسل إلى قم من قبل الباب الملائ حسين بشروية [أحد الأقطاب الرئيسيين] للفرقة لتبليغ الدعوة الجديدة ولكنه لم يلق استجابة من أهلها تذكر ، وذكر صاحب تاريخهم يقول في هذا الشأن : «ولما وصل إلى بلدة قم وجد أهلها غير مستعدين لندائه ولم ينبُت البذر الذي بذره فيها»^(٢). أما في اصفهان فقد قرر العلماء وحُماة الدين أن الدعوة هذه هدمٌ لأساس

(١) الدكتور جيني ، من كتاب اتحاد الأديان والأقوام : ١٠١ .

(٢) زرندى ، محمد نبيل ، مطالع الأنوار ، تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي : ٨٠ .

الدين واختراق لمعاقل الإسلام فعزموا على عقد اجتماع فيما بينهم ، وفيه صدّروا فتوى وبإمضاء جميع العلماء وحكموا فيها على الباب بالإعدام ، وكان عدد العلماء الذين حكموا على الباب بأنه كان مرتدّاً يستحق الإعدام يقرب من سبعين عالماً . وفي مدينة قزوین وقف أحد علمائها المعروفين وهو الشيخ الملا محمد تقي براغانی موقفاً حازماً من هذه الدعوة المنحرفة وأصدر الفتاوى وخطب على المنابر موضعاً ضلال هذه الفرقة وانحرافها عن الإسلام ، وأبطل الدعاوى التي كانت تستند عليها وكفّر أصحابها من قبيل نظريات وأفكار السيد كاظم الرشتي فاضمر له البابيون شراً وتآمروا على قتله ، وكانت «قرة العين» العقل المخطط والمعرض لارتكاب هذه الجريمة ، ومع وجود رابطة وقربة بين الشيخ الملا محمد تقي البراغانی وقرة العين حيث إنه عمّها فإنها لم تتورع عن قتله فسخرت مجموعة من أتباعها ورسمت خطة لقتله في أحد أيام سنة ١٢٦٤ هـ. ونفذ أتباعها الجريمة عندما كان الشيخ قائماً يصلي في محراب المسجد ، وكان شيخاً طاعناً في السن ، وقد وصف أحد المؤرخين هذه الحادثة حيث قال : «كان من عادة المرحوم البراغانی أن يذهب كل ليلة إلى المسجد وفي هذه الليلة ذهب كعادته وفيما كان منشغلاً بصلاة الليل وفي السجدة التي كان مشغولاً فيها بقراءة المناجاة السجادية المشهورة (الخمسة عشرة) هجم عليه مجموعة من تلك الفرقة (البابية) والذين كانوا قد اتخذوا كميناً لهم في المسجد قطعوه في رأسه ورقبته ثماني طعنات أصيب على أثرها بجروح ولكبر سنه لم تمهله هذه الطعنات وبعد يومين انتقل إلى رحمة الله»^(١).

(١) سيد محمد باقر نجفي، كتاب (بهايان) باللغة الفارسية : ٥٤٠ ، مترجماً عن كتاب «ريحانة الأدب» لمحمد علي مدرّس ١ : ٢٤٧ بالعربية، ط ٢ طهران انتشارات خيام .

وقد سببت هذه الجريمة موجة من الاستياء والغضب في قزوين لم تهدأ وخرج الناس عند سماعهم الخبر كالأموج المتلاطمة بمسيرات لم يسبق لها مثيل ينادون بالجهاد ضد هذه الفرقة وهم ينادون «الغوث الغوث ، الجهاد الجهاد» فرأت السلطة ان الوضع سيفلتا من يدها فأصدرت الأوامر بالتدخل والقبض على القتلة ، وفي النهاية تم ذلك لكن «قرة العين» المنفذ الأول استطاعت أن تهرب إلى طهران وأن تلجأ إلى بيت بهاء الله^(١). ولشدة تعلق أهل قزوين بهذا العالم الزاهد وحبهم له فقد أطلقوا عليه لقب الشهيد الثالث^(٢).

وفي مازندران تصدّى أحد العلماء المشهورين والمعروف بـ «سعيد العلماء» للدعوة الهدامة الجديدة ، وشارك شخصياً في استئصالها من هذه المدينة وقد جمع الناس في أحد الأيام التي أغار بها البهائيون على المدينة ، ومن جملة خطابه في المسجد الجامع ما قاله : «تقظوا لأن أعداءنا متربصون ومترصّدون لإنهاء ونقض كل ما نعتبره مقدساً وطاهراً في الإسلام . وإذا لم نقدر على مقاومتهم فلا يذرون أحداً يفلت من بطشهم أو قبضة يدهم ، وقد جاء رئيسهم - بهاء الله - إلى مجلس درسي ذات يوم فلم أعره أي اهتمام ولم أقدم له الاحترام الذي كان يتوقعه فقام غاضباً ... فما الذي يا ترى يفعله الآن هذا المتمرّد الذي يتقدم ومعه طائفة من المتوحشين ، فيجب على سكان «بارفروش» - منطقة في مازندران - رجالاً ونساءً وشباناً وشيوخاً أن يتسلّحوا ضد هؤلاء المنحرفين عن الإسلام المحتقرين له وأن يقاوموا حملتهم بكل ما اوتوا من قوة . وعليكم باكرأ في الصباح أن تخرجوا جميعاً لاستئصال

(١) م . ن : ٥٤٢ - ٥٤٣ منقول عن كتاب مفتاح باب الأبواب ، لميرزا محمد مهدي زعيم الدولة : ١٣٣

ط ٢٠

(٢) من كتاب ناسخ التواريخ ، محمد باقر بهيودي ٢ : ٢١٩ ط طهران ، ١٣٨٥ هـ .

شأنتهم ومحوهم». فلبّت الجموع المحتشدة نداءه وأثرت على سكان المدينة أقواله فقاموا لإعلاء كلمة الدين وطاعة لولاة أمرهم وقاوموا الهجوم الذي شنه البهائيون على المدينة، ونتيجة لهذه الفتوى فقد أرسلت الحكومة عوناً لمقابلة المهاجمين وتم القضاء على هذه الفتنة في هذه المدينة بعد عدة أيام. وصدر حكم الإعدام في مدينة تبريز ضد الباب علي محمد الشيرازي، وقد نُفذ فيه الحكم في سنة ١٢٦٦ هـ ١٨٥٠ م في ٢٨ شعبان، وامضاه جملة من المجتهدين في تبريز منهم الملا محمد المامقاني والحاج ملا محمود الملقب بنظام العلماء وميرزا علي أصغر شيخ الإسلام^(١).

وبعد اعدام الباب استقل الميرزا حسين علي النوري بالأمر وأخذ يدعو إلى نفسه ونشط في نشر ادعاءات جديدة فاقت ما كان يدعوا له الباب ونتيجة للضغط الشعبي العام، وضغط مراجع الدين على المسؤولين فقد قررت الحكومة محاكمته، ولأنه كان من اسرة عريقة كانت مقربة للحكام والسلاطين منذ السابق فقد حوكم بمحضر عدد من الوزراء وبحضور السفير الروسي، وقد وقف السفير الروسي إلى جانب حسين علي النوري، وكان لهذين العاملين أي كون الأخير من اسرة مقربة من السلطان ولوقوف السفير الروسي إلى جانبه أثر في إنقاذ رقبته من المشنقة إذ أكتفي بنفيه خارج البلاد فاخترار العراق منفي له ولمن تبعه. وأنه لأمرٌ ذات مغزى أن يدافع السفير الروسي عن حسين النوري وأن يكون هو وأتباعه من المشمولين بالحماية الروسية^(٢). وما كاد بهاء الله يحصل على حريته، حتى تسلم أمر الحكومة انه عليه في

(١) مقالة سائح حول البابية والبهائية : ١٩ .

(٢) عبدالعزيز نوار، الشعوب الاسلامية : ٣٥٠ .

ظرف شهر أن يغادر طهران هو وأسرته إلى خارج حدود إيران ، وبمجرد علم السفير الروسي بإجراء الحكومة هذا عرض عليه أن يأخذه تحت حمايته وطلب منه الذهاب إلى روسيا ولكنه أختار بدلاً عن ذلك السفر إلى العراق ، فكان خروجه هو وأفراد أسرته وبينهم [الغصن الأعظم] ابنه الملقب بـ (عبدالبهاء) وميرزا موسى كلیم [أخوه] محروسين بعدد من الحرس الملكي وموظف في السفارة الروسية ، وسافروا إلى بغداد في الأول من ربيع الثاني سنة ١٢٦٩ هـ - ١٨٥٣ م^(١).

وفي العراق دبّ النزاع بين زعماء هذه الحركة ، وكان النوري يأمل في أن يتولى القيادة وأن يدير أمر الحركة ، ولكنه صادف مقاومة شديدة من جانب الزعماء الآخرين المنافسين له وكادوا أن يفتكوا به ، ففضل أن يغادرهم إلى مكان قصي ، وذهب إلى مكان يسمى (سركلو) في كردستان أمضى فيه فترة من الزمن يقال : إنه وضع خلالها كتابه المسمى (إيقان) ، وبعد ذلك قرر العودة إلى بغداد ليضع حداً للنزاع بينه وبين زعماء الحركة الآخرين ، فادّعى بأنه هو المهدي الحقيقي ، ونسخ الدعوة التي نادى بها الباب وأعلن بأن الباب كان يهيهى الطريق أمام شخص أعظم منه وأن مؤلفات وكتابات الباب إنما أوحى هو بها إليه فكان الباب متفذاً لارادة البهاء ، وحتى يبقى هو بعيداً عن أيدي الناقمين حتى يتم رسالته^(٢).

حاول البهاء أن ينشط في العراق فتصدى له علماء الدين في النجف

(١) زرندى، محمد، مطالع الأنوار، تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي : ٥٢٢ .

(٢) اسلمنت : بهاء الله والعصر الجديد : ٢٦

E . G Brown : The Episodo of the Bad Cawbnidge 1891
Brown: Babis of parsia Royal Geag . Soc of houdon rol .
xxs . p 931 .

وكربلاد وضغطوا على السلطات العثمانية في ذلك الوقت لأن العراق كان تحت الحكم العثماني ، وحتى لا تُستغل قوة المذهب الشيعي في العراق ويرتفع صيت علماء أهل البيت (عليه السلام) ، صدرت الأوامر من الباب العالي إلى والي بغداد بأن يشرف بنفسه على ترحيل حسين النوري وأتباعه إلى الاستانة^(١).

ولقد كانت دعوة البهاء أوسع نطاقاً من ادّعاءات الباب فبعد مغادرته العراق أخذ يكتب إلى رؤساء الدول الكبرى داعياً إلى الايمان به وكأنه أراد أن يترسّم خطى أصحاب الرسالات . في رسائله إلى كل من ساه ايران وإلى السلطان العثماني وكان يستخدم اسلوباً قرآنياً في مظهره ولكنه كان ركيك العبارة ، وقد تجاوز في بعض عباراته صفة النبوة إذ استخدم عبارات تنم عن ادعائه الالوهية فيقول مثلاً : «إنه لا يرى في هيكله إلا هيكل الله»^(٢).

وبينما البهاء يبذر بذور دعوته وعقائده الجديدة في الاستانة تصدى له اخوه يحيى وكان من أقطاب الحركة ويعرف باسم صبح الأزل وأدعى أنه هو المهدي وإن البهاء هو الامام الظاهر وأنه هو الامام الباطن الحقيقي وشنّع على البهاء بأنه غدر به واستولى على صفات لا حق له فيها ، انقسم أتباع الحركة بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك ، واستمر هذا النزاع بين الأخوين فترة من الزمن فشلت الدعوة البابية والبهائية في أن تحصل على تأييد واسع النطاق في العراق وفي الشرق الإسلامي بصفة عامة . ونورد هنا ما ذكره المعلم بطرس البستاني في دائرة معارفه حول الفشل الذي لفته الحركة بعد اخراج أتباعها من بغداد ونقلهم إلى الاستانة ، فيقول : «تنفس صبح أزل - يحيى أخو بهاء الله - واسفر على الناس قائماً بأمر الخلافة

(١) الدكتور عبدالعزيز نوار ، الشعوب الاسلامية : ٣٥٣ .

(٢) م . ن : ٣٥٤ .

داعياً إلى دين استأذنه السيد علي - الباب - فحسده أخوه وأنكره وأدعى أنه دجال فوق الشقاق بينهما وافترق التابعون فئتين ، فئة اقتدت بصبح أزل وأخرى ببهاء ، والاولى تسمى أزلية والأخرى بهائية والبابية اسم لهما عام ، وبعد مدة احسّت الدولة العثمانية منهم سوء المقاصد وأوجست منهم شراً فنفت صبح أزل إلى جزيرة قبرص فمات فيها ونفت بهاء إلى عكا وهو الآن فيها مع جمع من أتباعه^(١).

نبذة موجزة عن بعض عقائد وتشريعات الفرقة البهائية :

عقائد البهائية موجودة في كتبهم وأخصها كتاب البيان الذي وضعه الباب باللغة العربية وكتاب ايقان الذي وضعه البهاء بعد خلافته للباب ، نذكر ما ورد فيها باختصار :

فعقيدتهم في خالق الكون بأنه إله واحد أزلّي كما يعتقد المسلمون ، ولكن هذا التوحيد يختلف عن التوحيد في الإسلام كل الاختلاف في أصله ومعناه ، فالخالق في العقيدة الإسلامية ذات بأوسع معاني هذه الكلمة له استقلاليته عن الكون ، ولكن الخالق في العقيدة البابية متوحد بمعنى أن ليس له شريك يشاركه في القدرة ولكن ليس له استقلالية عن الكون والخلق ، وعليه فإن الخلق في مذهب البهائية هو مظهر الله ذاته فهو يخلق لأنه لا يدرك حياً مؤثراً إلا بالخلق ، وأن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال ، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً وحديثاً وهم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه وآخرهم وأكملهم هو حسين المازندراني الذي نصب نفسه (بهاء الله) ، وبناءً على ذلك فقد اعتبر نفسه مظهراً لله الأكمل وهو الموعود ومجيئه الساعة الكبرى وقيامه القيامة ورسالته البعث

(١) البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ٥ : ٢٧ .

والانتماء إليه الجنة ومخالفته هي النار^(١). أما في الإسلام فإن الخلق صادر عن أمر الله تعالى وتقديره ، فهو يخلق لأنه أراد أن يخلق ، وقد جاء في البيان بأن مجموع الكائنات هو الله نفسه «الحقُّ يا مخلوقاتي انك أنا» فيرى الرائي من هذا أن مذهبهم هو مذهب وحدة الوجود بعينه . أما النبوة في نظرهم فبما أنهم يعتقدون بأن الناس والكون نفسه والطبيعة هي مظهر الله ذاته فالنبي والحال هذه هو مظهر أكمل لله تعالى ويكون دائم الاتصال بالأصل الالهي الذي نشأ منه ، وعندهم أن الرسل الأولين إنما بعثوا لينبها الطبيعة الانسانية النائمة ، فوظيفتهم تمهيدية محضة ، فلما تنبّهت الانسانية وأدركت ذاتها وجدت ما بين يديها من الوحي غير كافٍ لإقامة حياتها فاقترضت الحال أن يقف الرسل بعضهم بعضاً فجاء عيسى بعد موسى وارسل محمد ﷺ بعد المسيح حاملاً للناس شرعاً جديداً ، وان الديانات السابقة والأنبياء السابقين كانت مهمتهم التبشير بالبهاء وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهى - لهذا فقد كان أتباع البهاء يدعونه ربنا - وعلى هذا فهم يعترفون بالرسالات السابقة في حدود التبشير برسالة البهاء^(٢) . وهم يعتقدون بأنه بظهور الباب دخل الوحي في دور جديد فلم يُقرر بأن زمن الوحي انقضى بل مدّ ناموس الارتقاء الديني إلى المستقبل ، ولا يُجرم بأن البابية هي آخر ما سيعطاه الانسان من الوحي الالهي ، بل سيكون بعدها إنزال آخر الوحي ، وحسب هذا فمن الممكن أن تكون هناك عدة نبوات وأكثر من نبي بعد خاتم الأنبياء «محمد ﷺ» وهم ينكرون اعجاز القرآن الكريم وفي ذلك يقول أحدهم وهو أبو الفضل الجرفادقاني : عند أكثر علماء الإسلام فصاحة القرآن حجة بالغة ، وبلاغة كلامه معجزة دافعة ، ولكننا فندنا هذا الرأي في كتب

(١) من كتاب مقارنة الأديان ١ : ٢٦٢ - ٢٦٣ الدكتور احمد شلبي .

(٢) د شلبي أحمد ، كتاب مقارنة الأديان ١ : ٣٦٢ .

عديدة بما لم يبق شك فيه لأرباب البصائر والنظر^(١).

وهم يعتقدون في نهايات الأشياء بأن الأتقياء والأخيار يرجعون إلى الله ويعيشون في كمالاته وسعاداته ، وأما الأشرار فيفنون لأن الفناء هو النهاية الطبيعية لكل شر ، والطبيعة ذاتها لا تشدُّ عن هذه القاعدة ، فلا حساب ولا كتاب ولا ثواب ولا عقاب . فإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا في وحدته التي صدروا عنها فيتلاشى إذ ذاك كل شيء . وتوجد عقائد أخرى عندهم أشبه بالأساطير والخزعبلات والخرافات لا نريد أن نخوض فيها حرصاً على عدم الاطالة والاختصار .

أما فيما يخص الأحكام والعبادات ، فعندهم أن الصلاة يُكتفى منها بمرة واحدة كل شهر كما ورد في «البيان» كتابهم المقدس وفي كتاب آخر لهم فأنها يكتفى فيها بمرة واحدة كل يوم ، وهي ركعتان فقط وقت الصباح . ولم تعترف ديانتهم بالنجاسة المعنوية التي يرفعها الوضوء فلم تعطه إلا جهة الفائدة العائدة منه على النظافة والتجمل ، أما قبلتهم فقد اتخذوا مسجداً كبيراً في شيراز وجعلوه كعبة تُولَّى الوجوه إليها في الصلاة وتفسد الصلاة بالانحراف عنها^(٢) . وعندهم جعل الشهر ١٩ يوماً لأن هذا العدد عندهم مقدس والصوم على ذلك تسعة عشر يوماً في أحد أشهر سنتهم ، ومن الملفت للنظر أنهم يحتفلون في أول المحرم من كل عام بفرح زائد بمولد الباب ، والمعروف أن الأيام العشرة الأولى من المحرم عند الشيعة أيام حزن وألم^(٣) .

ومن أحكامهم أنه يجب تخريب جميع البقاع المقدسة كمكة وبيت المقدس وقبور الأنبياء والأولياء عند حصول أول سلطة لأحد ممن تبع

(١) أبو الفضل الجرفادقاني ، الحجج البهية : ١١٥ مطبعة السعادة سنة ١٩٢٥ م .

(٢) البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف : ٢٧ .

(٣) نوار ، الدكتور عبدالعزيز ، الشعوب الإسلامية : ٢٥٢ .

دينهم^(١).

وفي كتاب البيان فقد أمر الباب أتباعه بلبس الألبسة الفاخرة والتحلّي بالحريّر والذهب والأحجار الكريمة والحُلّي ، فقال : «البسوا أثواب الحريّر في أيام أعراسكم وأن سمحت لكم نساؤكم فلا تلبسوا سوى الحريّر»^(٢) وفي مكان آخر من البيان يدعو إلى حلق اللحي فيقول «احلقوا شعر وجوهكم فإنكم تصيرون أجمل مما أنتم عليه»^(٣).

وبالنسبة للمرأة فإن ديانتهم رفعت عنها الحجاب ، فقال الباب في (البيان) «كل بابي مسموح له أن يرى جميع النساء وأن يتحدّثهن وأن يكون مرئياً منهن»^(٤)، وأباح للمرأة أن تُبدي زينتها وأن تتجمل كما تشاء وحرّم الطلاق أخرج تحريم^(٥).

ويقال : إنه يجوز نكاح الأخت عندهم^(٦) . وقد نسبهم السيد جمال الدين الأسد آبادي إلى الاباحية وهذا من لوازم مذهبهم حيث أن كل من خالفهم في معتقدهم فدمه وماله هدر^(٧).

الفرقة البهائية في أحضان الاستكبار والصهيونية العالمية :

تتميز الطبيعة الاستكبارية بأنها تعمل على تسخير كل ما يمكن من امكاناتها وطاقاتها لغرض استغلال أي حالة شاذة أو حركة متطرفة لتضع منها بؤرة تستطيع من خلالها مدّ جسور التدخّل متى شاءت وذلك

(١) البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ٥ : ٢٨ .

(٢) وجدي ، محمد فريد ، عن دائرة معارف القرن العشرين ٢ : ١٥ .

(٣) م . ن . ٢ : ٢ .

(٤) م . ن . ٢ : ١٥ .

(٥) البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ٥ : ٢٨ .

(٦) م . ن .

(٧) م . ن .

في سبيل خدمة مصالحها وإحكام سيطرتها ، بالخصوص ما يتعلق بما يسمى بدول العالم الثالث وأخصها العالم الإسلامي ، وهذا لا يعدو التأثيرات السلبية التي خلفتها الحركة البهائية على الأمة الإسلامية واحتضانها من قبل الاستكبار في العالم . والاستعانة بها في سبيل شق عصا المسلمين من خلال نشر البدع والأفكار المنحرفة وبالتالي انشغالهم عن المؤامرات والخطط التي تحيكها لهم الدوائر الاستكبارية ، ومنذ أن أصبح واضحاً لدى الاستكبار مدى تأثير علماء الإسلام وبالخصوص علماء أهل البيت عليهم السلام والقيادات الشيعية ، صار لزاماً أن لا تترك هذه الفرصة دون الاستفادة منها ، لأن البهائية كانت بمثابة ارتداد صريح عن الإسلام وإن كانت مراحل الدعوة الأولى لا تدعو إلى ذلك بشكل مباشر إلا أنها بعد ذلك أصبحت ديانة مستقلة ، مما لم يترك بداً أمام علماء أهل البيت عليهم السلام من أن يقفوا موقفاً حازماً منها . وأول من أراد أن يجني الفوائد من تحرك الدعوة البهائية هو روسيا حيث وطّدت علاقاتها مع قادة الحركة منذ البدء عن طريق سفاراتها في إيران والعراق ، وتعاظفت معهم ومدّت الجسور من خلال أحد أتباعها المدعو منوچهرخان ، وكان أرمنياً وقد كان يشغل منصب حاكم اصفهان أيام بروز الباب واعلان دعوته وقد لعب دوراً في تحريض الباب على علماء الدين ، وخلال فترة تصدّي العلماء لدعوة الباب لم يدّخر جهداً في الدفاع عنه أمام الاتهامات الموجهة إليه وأمام ملاحقة السلطات له في ذلك الوقت حيث كان في حمايته عندما حلّ في اصفهان ^(١).

هذا وقد دفعت السفارة الروسية بعض أتباعها من اليهود الروس

(١) نجفي ، محمد باقر، كتاب بهائيان بالفارسية : ٦١٦ ، عن كتاب تاريخ رجال ايران في القرون (١٢، ١٣، ١٤) ٤ : ١٦٢ .

الماسونيين لانقاذه من رصاصات الاعدام ولكنهم لم ينجحوا في مساعيهم .

واستمرت هذه الحماية على مستويات أوسع وأرفع حيث تولّت السفارة الروسية وعلى مستوى السفير الروسي حماية البابيين كل ما أمكنها ذلك وكلما سنحت الفرصة ، ان من المنعطفات الخطيرة في تاريخ الدعوة البهائية هو محاكمة الميرزا حسين علي النوري (البهاء) لاتهامه بضلوعه في مؤامرة قتل ناصر الدين شاه ، حيث لولا وقوف السفير الروسي إلى جانبه والدفاع عنه لكان نصيبه الاعدام - حيث أن السفير الروسي شهد ببراءة البهاء^(١) - كما حصل لجماعته الذين حكموا بنفس التهمة ونُفذ فيهم الحكم . وهذا الموقف الروسي ماهو إلا تقدير للخدمات التي أسداها حسين علي النوري وأتباعه وتنفيذ المخطط الذي كانوا وضعوه له في الاستيلاء على الزعامة البابية وضرب الدين الإسلامي والقضاء على وحدة المسلمين بما كان يتمتع به من خبث ومكر ودهاء، وقد كتب رسالة إلى الامبراطور الروسي نيكولافيج الكسندر الثاني شاكرًا جاء فيها «قد نصرني أحد سفرائك إذ كنت في سجن الطاء (طهران) تحت السلاسل والاغلال ، بذلك كتب الله لك مقاماً لم يحط به علم أحد إلا هو وإياك أن تبدل هذا المقام العظيم»^(٢) .

لقد كانت للسفارة الروسية وقنصلياتها في المناطق الرئيسية التي شهدت هيجاناً من جزاء الفوضى التي أحدثتها البابية دورٌ في زيادة تأزم الأوضاع وتفاقمها . يقول العلامة محمد حسين كاشف الغطاء : «كنا قبل سنوات عثرنا على كتيب صغير بالفارسية لأحد الأفاضل الذين عاصروا

(١) اسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد : ٢٤ .

(٢) نجفي، سيد محمد باقر، بهائيان بالفارسية : ٥٢٥ .

الباب وشاهدوا كل تلك الحوادث مباشرة مع تحليل دقيق ، وملخص ما ذكره : أن رجلاً من روسيا أتى طهران بعد أن انتزع الروس مملكة القوقاز من الدولة الايرانية وأرادوا اشغالها عن التفكير في استرجاع ما غصب منها ، فتعلم الفارسية وأتقنها ثم أظهر التدين بالاسلام وتزيا بزِّي أهل العلم بلحية كبيرة وعمامة كبرى وعباءة وسبحة ولازم صلاة الجماعة ودرس شيئاً من المبادئ واشتهر باسم الشيخ (عيسى) ثم جاء في عواصم ايران كأصفهان وشيراز فوجد فيها ضالته ، فاجتمع بالباب وكان غلاماً جميلاً ، وبتوسط خاله خلا به مرات عديدة ، والظاهر أنه هو الذي كان حلقة وصل بين البابيين والحكومة القيصريّة الروسية ، حيث زودتهم بالاسلحة فقاتلوا بها المسلمين ، ولقد كان يحرض الناس على الثورة ، يظهر كقائد عسكري ، ويعلم البابيين فنون الحرب والهجوم على الجيش الفارسي^(١) ، وقد كشفت التقارير الموجودة في السفارة الروسية عن هذا الشيء فقد جاء في أحد التقارير التي ارسلها السفير الروسي في ايران «دولكوروكي» إلى وزير الخارجية الروسية آنذاك «انسكروا» سنة ١٨٥٠م والمرقم (٤٨) ما يلي «جيد جداً إن بدأت الخلافات والصراع بين الفرقة البابية وعلماء الإسلام تزداد شدة ، وقد اتهمت البابية علماء الإسلام بالانحراف»^(٢).

ومن هذا يتبين أن الحكومة الروسية اتخذت من الميرزا علي الباب - مؤسس الحركة البابية - صنيعة لها وذلك للاخلال بالأمن في بلاد ايران والبلاد الإسلامية المجاورة واشتغال المسلمين بحرب داخلية في ما بينهم ، حتى يخلو لهم الجو لتنفيذ مؤامراتهم وللتمهيد لاحتلال

(١) د. يمانى، محمد، البابية : ٢٧ طبع دار القبة الثقافية الإسلامية .

(٢) نجفى، محمد باقر، بهائيان باللغة الفارسية، عن الثورة البابية في ايران، سنة ١٨٤٨ - ١٨٥٢م الصفحة ٦١٩.

أراضي إسلامية عزيزة . يقول الدكتور محمد مهدي خان : «إن الحكومة الروسية رأت لتنفيذ أغراضها في إيران تقوية القوم [البابية] فأخذت تساعدهم في بلادها وأعطت لهم حرية كاملة في اظهار دينهم فبنوا لأنفسهم معبدتين أحدهما في باكو والثاني في عشق آباد»^(١).

«ولقد سمحت الحكومة الروسية للفرقة البابية ببناء معبد لها في مدينة عشق آباد للوقوف بوجه الحركة الإسلامية كما ساعدتها في طبع ونشر آثارها ، وما إلى ذلك من المساعدات الأخرى . ونتيجة لحماية الروس لأعضاء هذه الفرقة فقد أرسل ميرزا حسين علي رسالة ثناء للقيصر الروسي يذكر فيها خدماته لأسياده الروس ويشكرهم على حمايتهم للبابية»^(٢).

وعندما رأت بريطانيا أن روسيا تعمل على الاستفادة من الحركة البهائية في سبيل خدمة مصالحها في المنطقة الإسلامية - إيران والعراق - فإنها لم تتوان عن استغلال الفرصة للاستفادة من الوقت وهذا ما تمليه طبيعة الصراع بين الدول الاستعمارية في سبيل بسط النفوذ والسيطرة . وكان لقاء القنصل الانجليزي في بغداد الكولونيل سير آر نولد باروكيل بالبهاء من المؤشرات الهامة لهذه العلاقة حيث انه رغب الأخير في الالتجاء إلى بريطانيا وطلب العون والحماية من الملكة فكتوريا ، وحتى أنه وعده بتهيئة الفرصة باللقاء بالملكة^(٣) ، سيما وأن البهاء كان يمر بأزمة وضيق في العراق بعد رحيله عن إيران وذلك بسبب الصراعات داخل الحركة وكذلك الموقف السلبي الذي قوبل به من قبل النجف وكربلاء اتجاه الدعوة وعلان الحرب عليه وعلى أتباعه ، ومن الجدير أن

(١) حقيقة البابية والبهائية ، محسن عبدالحميد : ٩٩ - ١٠١ .

(٢) البهائية في خدمة الاستعمار (من منشورات منظمة الاعلام الاسلامي) .

(٣) نجفي، محمد باقر ، بهائيان باللغة الفارسية : ٦٤٨ .

نذكر أن علاقة البهائية ببريطانيا تعود إلى مرحلة متأخرة من قيام هذه الحركة التي نعمت تارة بعطف روسيا وتارة أخرى بعطف الدولة العثمانية خصوصاً بعد أن تخلت روسيا عن الدعم لهذه الحركة بعد قيام الثورة البلشفية ، وقد تلقفت بريطانيا هذه الحركة ورعتها وقدمت لها الحماية والدعم المالي واستعملتها لخدمة مصالحها على نطاق واسع حتى أن بعض البهائيين قدموا خدمات جليلة لاستخبارات الجيش البريطاني مما سهل له خلال الحرب العالمية الأولى السيطرة على فلسطين والأردن بصورة خاصة وبقية البلدان الإسلامية بشكل عام . واستمرت هذه العلاقة لصالح بريطانيا ولم يتورع العديد من رموز البهائية المعروفين عن العمل كجواسيس للانجليز خصوصاً أيام الحرب ، وعلى هذا فإن مما لا شك فيه ان حسين علي النوري (البهاء) وابنه عباس أفندي قد أفادا الانجليز فائدة كبيرة في الاطاحة بالخلافة العثمانية وساعدوا الانجليز في الاستيلاء على البلاد العربية (الإسلامية) وفلسطين على الوجه الأخص .

وقد كانت الخدمات الجليلة التي أسداها عبد البهاء (عباس أفندي) - خليفة البهاء - لهم [للانجليز] مدعاة لمنحه ميدالية البطولة الانجليزية [Knight hood] حيث أنه كان يزودهم بالتقارير والمعلومات عن فلسطين ومصر وتركيا وايران^(١) . وكان عبدالبهاء هذا قد فاق أباه مكرراً ودهاءاً ، وأضاف المزيد من الانحرافات والضلالات إلى التعاليم البهائية الهدامة ، ومن جملة ضلالاته أنه أقرّ بنبوة عيسى بن مريم عليه السلام لله عزوجل ونادى بالحقيقة المسيحية وقال انها ليست من سلالة آدم ولكنها بنت الله وغير ذلك من الخزعبلات والأوهام .

(١) نجفي، محمد باقر، بهائيان بالفارسية : ٦٧١ .

ومن المأثر عن عبدالبهاء هذا انه كان يردد الدعاء الآتي «اللهم أيد الامبراطور الأعظم جورج الخامس عاهل انجلترا بتوفيقاتك الرحمانية وادم ظله الظليل على هذا الأقليم بعونك وصوتك وحمايتك انك أنت المقتدر...» وعند موته لعنه الله شارك في تشييع جنازته المندوب السامي البريطاني في فلسطين هيررت صموئيل الذي كان من أركان المنظمة الصهيونية ومموليها^(١).

ومن خلال بريطانيا ودورها في الحرب الأولى برزت اسرائيل إلى الوجود وتعهدت بريطانيا بحمايتها وتقويتها ، فاستغلت وجود رأس البهائية في فلسطين فعملت على تقوية الروابط والعلاقات بين رؤوس الحركة البهائية والصهاينة اليهود لا سيما وان التعاليم التي جاءت بها البهائية كانت تدعو بشكل صريح إلى انشاء وطن لليهود كما جاء في الكتاب الأخير الذي ألفه البهاء قبل موته والذي سماه (الاقديس)^(٢) . وقد حاول البهاء في تعاليمه أن يربط بين مصير اليهود وعودتهم إلى الأرض المقدسة وبين بروزه وانتشار دعوته ، فمتى ما ظهر المجد المزعوم في هيكل الميرزا حسين النوري ، يتجمع اليهود ويعودون إلى الأرض المقدسة ، وهذا هو بيت القصيد ولأجله كانت نصرة اليهود العالمية لهذه الحركة منذ أيام الباب الأولى إلى الآن . بالاضافة إلى هذا فان اليهود حاولوا بكل ما لديهم من وسيلة لتثبيت مركز الميرزا حسين (البهاء) ، وبلغ الأمر أنهم استخلصوا من دقائق عبارات العهد القديم وتنبؤات

(١) السمان، محمد ، الاقليات بين العروبة والاسلام : ١٢٤ .

(٢) الاقديس : هو الكتاب الثالث من كتب النوري وقد ألفه قبل هلاكه بوقت قصير بناءً على الحاج من مؤيديه الذين اعتقدوا انه إله وطلبوا منه أن يبين لهم فيه كيف يعبدونه، وخطر ما جاء في هذا الكتاب ادعائه بأنه إله واقتراره هذه الالهية واتيانه بأحكام وتعاليم وشرائع يلقي بها احكام وتعاليم وشرائع القرآن الكريم ويتبنى الدعوة إلى انشاء وطن قومي لليهود. «عن كتاب الاقليات بين العروبة والاسلام ، محمد السماك» .

أسفاره ما ينبغي بظهور بهاء الله ، وابنه عبدالبهاء (عباس افندي) وزعموا أن كل آية تشيد بمجد يهودا تعني ظهور مخلص العالم في شخص (البهاء) ، كما نسبوا جزءاً كبيراً من الاشارات والتعليمات التي في الأسفار إلى جبل الكرمل الذي تجلى منه نور الله واضاء الكون وحدوده في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي - الفترة التي نشأت فيها البابية والبهائية - ، فضلاً عن أنهم لم ينسوا أن يستخرجوا مما يحتويه سفر دانيال من الرؤى ما ينبغي عن قيام الحركة التي أوجدها الباب وأن يلتمسوا بتأويلها ويدل على وقت حدوثها .

ورداً للجميل الذي قدمه الصهاينة واليهود للحركة البهائية كان رؤوس الحركة لا يدخرون جهداً في خدمة الصهيونية العالمية فقد قضى الميرزا حسين النوري حياته في الدعوة للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين وبث الدعايات والأقاويل للايحاء بأن فلسطين لا تنفك أبداً عن كونها الوطن الموعود لليهود . قال في كتابه الذي زعم أنه وحي ينزل عليه من السماء : «هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم ... هذا يوم فيه أسرع كليم الله شوقاً للقاءه وصاح الصهيون قد أتى الوعد ، وظهر ماهو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب» . ويقول ابنه عبدالبهاء في الدعوة الماكرة لهذا التجمع الصهيوني العالمي : «وفي زمان ذلك الغصن الممتاز وفي تلك الدورة سيجتمع بنو اسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة» ثم يقول في موطن آخر «فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ، ويمتلكون الاراضي والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين جميعاً وطناً لهم» ولم تكن هذه نبوءة صدقت بعد ذلك بقدر

ما كانت ترجمة لآمال وأطماع اليهود في احتلال فلسطين منذ زمن سحيق . وقد أشار جامع الأزهر عندما أصدر البيان الذي اعتبر فيه هذه الحركة مرتدة عن الإسلام إلى العلاقة الحميمة بين البهائية واليهود حيث جاء ما نصه «ولقد تزلف البهائيون إلى اليهود الصهاينة ومالؤوهم على العرب والمسلمين وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطناً قومياً لهم»^(١).

بالإضافة إلى هذا الدعم والتعاون المشترك بين البهائية واليهود فهناك تعاون من نوع آخر لا يقل خطورة عن ما اسلفنا حيث أن البهائيين في فلسطين المحتلة كانوا يزودون الصهاينة بالتقارير والمعلومات التفصيلية عن تحركات المسلمين ضد الاحتلال الصهيوني ، وقد أعلنت الحركة البهائية عن حسن نواياها على لسان رئيسها شوقي افندي [ولي أمر الله] خليفة عبدالبهاء اتجاه الوجود الاسرائيلي في فلسطين حيث ارسل رسالة إلى السير (اميل سندراسكورم) رئيس اللجنة الخاصة للأمم المتحدة في قضية فلسطين بعد الاحتلال الاسرائيلي المشؤوم تحدث فيها عن الديانة البهائية بشكل مفصل وعن تعاونها مع بريطانيا والصهيونية العالمية وترحيبها بالاحتلال الصهيوني ، وأشار أنه لا فرق هناك إذا كان الحاكم في فلسطين يهودياً صهيونياً أو مسلماً ، وقد شكر الحكومة الصهيونية على اتاحتها الفرص المناسبة لنمو وتطور [الديانة البهائية] وفسح المجال أمامها لنشر عقائدها والتبليغ لآرائها وأفكارها عن طريق الوسائل الاعلامية المختلفة^(٢).

وبعد تشكيل دولة اسرائيل التقى شوقي افندي رئيس الفرقة البهائية

(١) د. يمانى ، محمد ، اليابية : ٢٢ - ٢٥ .

(٢) عن مجلة (بهائي نيوز سبتمبر ١٩٤٧م ، وكتاب بهائيان بالفارسية : ٦٨٩ .

مع [رئيس الجمهورية الاسرائيلية] في ٢٩ / ابريل / ١٩٩٤م لقاءً رسمياً ، وكانت المباحثات التي جرت بين الطرفين موفقة ، وقد نقل هذا اللقاء كروس آيواس سكرتير المجلس البهائي العالمي برسالة ارسلها إلى المحفل الوطني البهائي في ٣ مايس ١٩٥٤م شرح فيها ما جرى مفصلاً في اللقاء الذي جرى بين الطرفين^(١).

ونقل هنا بعض ما جاء في الخطاب الرسمي الذي وجهه شوقي افندي إلى البهائيين ، والذي شرح فيه رأي الفرقة البهائية بتشكيل دولة اسرائيل حيث قال : «ان تأسيس دولة اسرائيل جاء مصداقاً للوعد الالهي الذي واعد به ابناء الخليل وورثة الكليم في هذه الأرض المقدسة التي ستشهد حسن العلاقات والروابط المتينة مع المركز العالمي للبهائية...»^(٢) ، هذا واعتبرت هذه الفرقة مؤخراً مدينة عكا بفلسطين المحتلة القبلية التي يتوجه صوبها جميع البهائيين في العالم ، لذلك فإن النشرات التي تصدرها هذه الفرقة تمجد دائماً بإسرائيل وحققها المزعوم في فلسطين وتخصص سنوياً أموالاً تُجمع من البهائيين في مختلف دول العالم وترسل إلى اسرائيل بحجة أن مركز وقبلة الديانة البهائية فيها^(٣).

نشاطات الفرقة البهائية بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران

لقد نشطت الفرقة البهائية في العقود الأخيرة من هذا القرن بشكل ملحوظ لا يمكن غض النظر عنه في الكثير من دول العالم ، وأخذت بالظهور رافعةً شعارات وعناوين شتى ، مثل السلام العالمي ، التعايش

(١) مجلة اخبار امري باللغة الفارسية العدد ٣ اصدار المحفل الوطني البهائي في ايران.

(٢) من مكاتبات ولي أمر الله (ابريل ١٩٤٥ - ١٩٥٢ عن كتاب بهائيان باللغة الفارسية : ٦٩٦.

(٣) مجلة اخبار دبي (ابريل ١٩٧٥م) : ٣٠ ، في موضوع تحت عنوان : البهائية حركة صهيونية تعمل في البلاد العربية.

السلمي بين اتباع الأديان والمذاهب المختلفة في العالم ، توحيد الله ، وحدة النوع البشري ، وحدة المذاهب ، الدفاع عن حقوق المرأة والأطفال والأقليات ، متظاهرة بأنها تتماشى مع قرارات وآراء منظمة الأمم المتحدة ، وقد كان للبهائيين مخططات كثيرة لأجل اختراق هذه المنظمة واحتلال مراكز حساسة فيها وبالتالي السيطرة على مصدر القرارات فيها ، وإن الهدف الأصلي من رفع هذه الشعارات الجذابة هو كسب أنصار من دول العالم المختلفة وجذبهم باتجاه الأفكار والمعتقدات البهائية مما يؤدي إلى اظهار الفرقة بأنها تمتلك أكبر عدد من الأتباع والمريدين في العالم . وعلى هذا فقد ادعى زعماء هذه الفرقة بأن أكثر من خمسة ملايين من أتباعهم يتواجدون في دول العالم المختلفة مثل البرازيل ، والأرجنتين ، والولايات المتحدة الاميركية ، والمانيا ، والمجر ، وتركيا ، وتشاد ، وزامبيا ، وناميبيا ، واميركا الجنوبية ، والهند ، واستراليا ، وأن كتبهم ومطبوعاتهم منتشرة بمختلف اللغات الحية وبمتناول يد جميع المنتمين والأتباع لهذه الفرقة ، كما أن جميع شؤون البهائيين في العالم تدار من قبل مركز رئيسي يمثل أعلى سلطة يطلق عليه «بيت العدل الأعظم» يقع في مدينة حيفا في فلسطين المحتلة ، وهذا المركز يصدر القوانين والتعليمات إلى بقية التشكيلات البهائية المتمثلة بالمحافل الوطنية في كل دولة يتواجد فيها البهائيون ، وكل محفل يقع تحت اشراف تسعة أفراد يديرون شؤونه ويجرون ما يصلهم من أوامر وتعليمات من «بيت العدل» .

إن من المسائل المهمة والمصيرية التي تهتم بها البهائية هي مسألة الاعلام والتبليغ لنشر معتقداتها وآرائها حيث أنها تبذل جهوداً كبيرة في هذا المجال ، وعن طريق مختلف الوسائل الاعلامية مثل القنوات

التلفزيونية ومحطات البث الاذاعي ومؤسسات الطباعة والنشر واقامة معارض مختلفة من قبل الكُتاب . كذلك معارض الصور والبوستر والأعمال الفنية الأخرى ، وعقد مؤتمرات وندوات ولقاءات مختلفة لبحث الموضوعات والأحداث المتنوعة ، كذلك عن طريق الارتباط المباشر بالناس عبر انشاء جمعيات الصداقة والمراكز الثقافية وتأسيس مراكز محو الأمية والمراكز الطبية بالخصوص في القرى ، وعند انعقاد المؤتمر العالمي الثاني للبهائية في مدينة نيويورك أفتتح برسالة رئيس الجمهورية آنذاك جورج بوش التي جاء فيها تأكيد على الوقوف إلى جانب البهائيين ودعمهم وتوفير سبل نشر معتقداتهم ، وقد أكد زعماء البهائية في المؤتمر على تنشيط حركة التبليغ وخاصة في المناطق المحرومة والناحية والبعيدة عن سبل المعرفة وذلك لكي يتسنى لهم تمرير مخططاتهم الخبيثة وأفكارهم المنحرفة ، وبالفعل فإن ٨٠ ٪ من نشاطهم يتوزع بين قارة آسيا وأفريقيا وأميركا الجنوبية ويتمركز في الهند وناميبيا والبرازيل ، وكذلك الدول المستقلة حديثاً في آسيا الوسطى . ورغم تحديد المناطق المحرومة والناحية لنشر معتقداتهم فإنهم لم يغفلوا العناصر المتعلمة والمتقفة لما لهم من أثر في المجتمعات المتحضرة . إلا أن من الحقائق المسلّم بها أن انتصار الثورة الإسلامية في ايران قد سدّ الكثير من الأبواب أمام المدّ البهائي وأزاح الستار عن كثير من الالتباسات والشبهات عن الإسلام الأصيل وفضح المخططات العدائية التي تقوم بها الفرقة البهائية ، لذلك فإن هذه الفرقة قد وحدت نشاطاتها وكتّفت جهودها لغرض الوقوف أمام الصحوة الإسلامية وعودة الوعي الديني للشعوب ، ويمكن تلخيص آخر النشاطات والفعاليات التي قام بها البهائيون في العالم بما يلي :

تأسيس عدة محافل بهائية :

أعلن المركز العالمي للبهائية المعروف بـ «بيت العدل» عن تأسيس سبعة محافل جديدة في عدة نقاط من العالم ، منها خمسة محافل في آسيا «كمبودية وقازاخستان ، ومغولستان ، وطاجاكستان ، وقرقيزستان» ومحفلان آخران في اوربا «سلوفانيا ، وكرواتيا» . وفي أواخر السنة الميلادية ١٩٩٣م أعلن هذا المركز عن نيّته تأسيس محفل بهائي في اوكرانيا وآخر في روسيا البيضاء وكذلك محفل باسم المحفل الوطني في آذربيجان بالإضافة إلى محفل في روسيا وكرجستان وارمنستان» .

النشاط البهائي في دول آسيا الوسطى :

من الجدير بالذكر أن البهائية بدأت تقف على أقدامها في دول آسيا الوسطى في الآونة الأخيرة وبرز تحركها بشكل ملحوظ في هذه المنطقة الحساسة وذلك عن طريق عقد المؤتمرات والاحتفالات ، وقد ذكر في هذا السياق أنه قبل مدة قصيرة عقد في صالة اكااديمية العلوم في قازاخستان مؤتمر شارك فيه عدد كبير من أتباع البهائية وقد تخلّلت المؤتمر أدعية ومراسم خاصة شارك فيه أفراد قدموا من مناطق أخرى من الجمهوريات المستقلة حديثاً في آسيا الوسطى . وقد سبق هذا المؤتمر انعقاد مؤتمر آخر في طاشقند عاصمة اوزبكستان يحمل نفس الأهداف ، ومن جهة أخرى وبمناسبة مرور ١٠٠ عام على تأسيس هذه الفرقة في تركمنستان أقيم احتفال ضخم في عشق آباد عاصمة تركمنستان والتي تعتبر من المراكز المهمة حيث يوجد هناك مركز للبهائية بأسم المحفل الوطني البهائي يشرف على معظم المحافل

الأخرى الموجودة في آسيا الوسطى ، وكان ضمن الحاضرين مسؤول الأمور الدينية في تركمنستان ، وقد ادلى أحد الأعضاء البارزين للبهائية بحديث في هذا الاحتفال جاء فيه «إن بهاء الله قد تنبأ لتركمنستان بمستقل مشرق لأن المعبد الأول الذي بُني للبهائية قبل حدود ١٠٠ سنة كان في هذه الدولة^(١) كما اعترف بالبهائية كمذهب مستقل بشكل رسمي. وقد أبدى المحتفلون شكرهم للمسؤولين في عشق آباد للحرية التي يتمتع بها البهائيون في ممارسة شعائهم وطقوسهم. ومن الجدير بالذكر أن النشاط البهائي في دول آسيا الوسطى اتسع بشكل مبرمج ومركّز ، وذلك للتأثير على شعوب هذه المنطقة والحيلولة دون استجابتها لتأثيرات الثورة الإسلامية في إيران ، سيما وأن تلك الشعوب تكن حُباً ووداً للجمهورية الإسلامية ولشعبها وذلك لوجود الكثير من القواسم المشتركة بين إيران وبين بعض تلك الدول المستقلة حديثاً. خصوصاً وأن الظروف مناسبة وملائمة لتقوية تلك العلاقات بين الشعب الإيراني المسلم وشعوب دول آسيا الوسطى ، لذلك فكان لابد من أن تقوم البهائية بحملة تبليغية ونشاطٍ مركّز للتأثير على شعوب هذه المنطقة قدر الامكان باتجاه اضعاف الروابط القائمة وبالتالي الحد من المد الإسلامي للثورة الإسلامية في إيران وانحسار تأثيرها على الشعوب المسلمة في المنطقة.

النشاطات البهائية في ماليزيا :

تتميز جمهورية ماليزيا بتعدد المذاهب والأديان ، والإسلام فيها له أهمية خاصة يتعامل معه الماليزيون بكل احترام واجلال ، ونظراً لحرية

(١) نجفي، محمد باقر، بهائيان باللغة الفارسية: ٦٢٥.

الاعتقاد في هذا البلد فقد نمت بعض الفرق الضالة والمنحرفة وشاعت واكتسبت الشرعية في ظل القانون الماليزي ، ومن هذه الفرق البهائية التي أعتُرف بها رسمياً كأحد المذاهب المشروعة ، واستغلت هذه الفرقة الفرصة وأخذت بتنظيم تشكيلاتها بشكل مترابط مستخدمة الاغراءات المالية والعاطفية كأدوات فعّالة من شأنها زيادة تماسك اعضائها وكسب أتباع جُدد ، وقد بسطت نفوذها داخل هذا البلد من طريق الوسائل الاعلامية الرسمية وغير الرسمية ، واستطاعت أن تدعو إلى أفكارها الهدامة بين صفوف المسلمين بالرغم من أنها ممنوعة من التبليغ والدعاية بين أوساط المسلمين . ومن الجدير بالذكر أن الفرقة البهائية أعلنت مذهباً معترفاً به في سنة ١٩٩٢م في هذه الدولة ، على أن عدد أتباعه يبلغ (الخمس مائة مليون) - حسب ادعائهم - ينتشرون في ٣٠٠ بلد .

إن الإسلام انتشر بين القبائل الصينية والهندية والماليزية ، وازداد أتباعه زيادة كبيرة إلا أن ذلك لم يرق إلى المستوى المطلوب وذلك لقلّة المبليّغين والدعاة الاسلاميين مما ادى إلى ان تستغل البهائية هذا الفراغ فوسعت من نشاطها ليس فقط بين المسلمين ، بل بين البوذيين والهندوس وبقية الأديان والمذاهب الأخرى .

الاعلام البهائي في تلفزيون استراليا :

استمراراً للإعلام البهائي الواسع على المستوى العالمي فقد اتخذ هذا الإعلام شكلاً جديداً في تلفزيون استراليا . ففي كل ليلة يُعرض اعلان يختص بالبهائية حيث تظهر على الشاشة صورة لشجرة كبيرة يتزامن معها اذاعة عبارات تقول «تتعدد الفروع لكن الشجرة واحدة» وبعد ذلك تظهر أسماء عدد من الأنبياء واحداً تلو الآخر متزامنة مع ترديد العبارة

«الأنبياء كثيرون أما الرسالة فواحدة» وبعد هذا مباشرة وبدون توقف تظهر عبارة «مذهب البهائية» وهذا الاعلان يتكرر كل ليلة من على شاشة التلفزيون . وقد اسس مؤخراً في استراليا معبد من أكبر المعابد البهائية في العالم .

اجراء انتخابات داخلية للبهائيين في الباكستان :

عُقد في يوم الجمعة المصادف ١١ / ٢ / ١٩٩٤م وفي مكان يُعرف باسم (بهائي هاوس) أو (حضيرة القدس) في مدينة الزهور اجتماعٌ فوري لإجراء الانتخابات الداخلية للبهائيين ، وقد اجريت الانتخابات بمشاركة ما يقارب من ٨٠ فرداً من البهائيين ، وقد أُجريت مثل هذه الانتخابات في ٢٠ بلدة أخرى بالباكستان مثل «سركوها» دير غازي خان، وجنك صدر ، وسيالكوت ، وملتان ، وكراجي ، وراولبندي ، وبعض المدن الصغيرة الأخرى) . وقد وزعت بعد الانتخابات اصدارات تحمل عنوان (التجلي والترقي) باللغة الأردية تضم مقتطفات من أحاديث البهاء وشوقي افندي .

البهائية في الأردن وفلسطين المحتلة :

يرجع تاريخ البهائية في الأردن وفلسطين المحتلة إلى ما يقرب من ١٠٠ سنة أي منذ نفي الميرزا حسين النوري إلى مدينة عكا في فلسطين أيام الدولة العثمانية . ونلاحظ أن معظم أفراد البهائية الموجودين سواء في فلسطين المحتلة أو الأردن ، هم من تجار الذهب وأصحاب الشركات ورؤوس الأموال والمرتبطين بالشركات الغربية وتحت حمايتها ، لذلك فالبهائية في هذه المنطقة تعتبر من حيث الامكانيات والموارد المادية ذات

أهمية خاصة بالإضافة لوجود المركز الرئيسي للفرقة ، وقد عُقد في السنين الماضية في الأردن مؤتمر للدفاع عن حقوق البهائيين في المنطقة. وفي كل سنة يشارك وفدٌ من بهائيي فلسطين المحتلة والأردن في المؤتمر السنوي للبهائية الذي يقام في اميركا ، وعند العودة تُنشر المقررات ومجريات المؤتمر في أحد الاصدارات الداخلية وتكون تحت تصرف البهائيين للاطلاع على القرارات الصادرة .

هذا وإن الحرية التي يتحرك بها هؤلاء في فلسطين المحتلة أوسع مما في الأردن وذلك لأن اسرائيل تحاول أن تُظهر نفسها بمظهر التحرر والاعتدال ، ومنح الفرق المتطرفة ، بالخصوص التي تناصب العداء للاسلام ، الحرية في ممارسة نشاطاتها وفعاليتها ، لذلك نلاحظ بث برامج كثيرة ومتنوعة عبر شاشة التلفزيون تتضمن ندوات ومحاضرات وبرامج ثقافية وسياسية واجتماعية تتعلق بالفرقة البهائية وحتى المراسم والشعائر المذهبية تُعرض في مناسبات مختلفة بالخصوص في مدينتي حيفا وعكا .

وبالنظر للمساعي التي تُبذل من قبل اميركا لفرض الطول السلمية بين العرب واسرائيل الغاصبة وجرّ الأردن للمشاركة في هذا السلام ، فقد تركزت الحملات الإعلامية والتبليغية للغرب في هذا الاتجاه ، وأخذت تطرح مسائل حول الحريات الثقافية والسياسية والدينية والمذهبية في هذه المنطقة ، مما حدا بالبهائيين بأن يقوموا ببعض التحركات والنشاطات الاجتماعية وتكثيف التبليغ لنشر دعوتهم المنحرفة بين المسلمين في الأردن ، ولكن بشكل محدود بالنظر لعدم السماح رسمياً لهم بممارسة ذلك .

عثمان بن سعيد الحمري « السفير الأول »

✽ مسين الشاري

تمهيد :

قدّر الله سبحانه وتعالى لهذه الغيبة «الصغرى» قبل وقوع الغيبة الكبرى ، ليستأنس الشيعة من أتباعه بمعرفة الإمام المهدي (عج) وليسمعوا آراءه وفتاواه في الدين ، وليطلّعوا على تواقيعه الشريفة فتترسخ عقيدتهم في القلوب ، بعد أن يتأكدوا من وجوده ، ويعرفوا ما تكون عليه غيبته الكبرى وعهد الانتظار المرّ .



وهي مقدمة لغيبة طويلة موحشة ، يتعرض فيها الموالاة له للابتلاء والتمحيص والاختبار ، وهو ما لا تتركّن إليه النفوس إذا لم تتدرّب عليه تدريباً عملياً مقنعاً من فمه الشريف ، وإذا لم تتمرس عليه قبل الغيبة

الكبرى باعتقاد وجوده الشريف غرساً عميقاً راسخاً.

وتشير الروايات التي وصفت حياة الإمام المهدي (عج)، خلال فترة الغيبة الصغرى، إلى أنه ﷺ كان يلتقي سفراء الأربعة، ووكلاءه المنتشرين هنا وهناك، وأحياناً كان ﷺ يلتقي ببعض الخواص من شيعته ويحلّ مشاكلهم، على الرغم من أن السلطات الحاكمة كانت تتحرّاه بأقصى مراتب الدقة، وتراقب سفراءه، ووكلاءه، وتلاحقهم أحياناً بواسطة أجهزتها وجواسيسها، وقد هاجمت داره ﷺ أكثر من مرة بهدف القبض عليه.

وبعد فشل محاولات المعتمد العباسي التي بذلها للقبض على الإمام (عج) بتحريض من عمّه جعفر بن الإمام علي الهادي ﷺ المعروف «بجعفر الكذاب» وبعد فشل هذه المحاولة، جرّب المعتضد العباسي الذي جاء إلى الحكم بعد تسع عشرة سنة مرّت من حياة الإمام المهدي (عج) فحاول أكثر من مرة - كما يبدو - من بعض المرويّات أن يقبض عليه في داره، فكان يرسل الجيش تلو الآخر فيحاصر الدار ويفتشها تفتيشاً دقيقاً، وكان الله سبحانه يحول بينه وبين مراده، تكريماً منه تعالى لمن اصطفاهم من عباده، واجتباهم إليه من خلقه.

بالرغم من كل ذلك، فقد كان الإمام المهدي (عج) يجتمع بخاصّته وشيعته، ويحلّ مشاكلهم حسب ما يراه صالحاً لهم، وأغلب الذين كانوا يجتمعون إليه كما تحدثت الروايات كانوا يصابون بما يشبه الذهول والغفلة حين اجتماعهم به لهيمنة عظمة الإمامة، فيغيب عن أذهانهم كونه الإمام (عج) ولا يلتفتون إلى أنّه هو صاحبهم إلّا بعد أن يفارقهم، وأحياناً كان (عج) هو الذي يعرفهم بنفسه لمصلحة تقتضي ذلك.

وعليه فإن الإمام (عج) خلال الفترة الأولى من حياته المقدسة التي

انتهت ب وفاة السفير الرابع الشيخ السمرى سنة ٣٢٩ هـ كان له من العمر نحو «٧٥» عاماً ، قضى منها مع أبيه نحو خمس سنين ، ونحو سبعين عاماً بعد أبيه عليه السلام .

وخلال هذه الفترة لم يكن الإمام (عج) منقطعاً عن الناس انقطاعاً كاملاً ، بل كان يتصل بالخواص من شيعته ، السفراء عند الضرورات الملحة وبعيداً عن عيون الناس خوفاً من جواسيس وعيون الحاكمين الذين أعجزهم أمره بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

السفير الأول : عثمان بن سعيد بن عمرو أبو عمرو العُمري الأسدي السَّمَّان . نُسب إلى جدّه فقيل له : العُمري - بفتح العين وسكون الميم - ويقال له : الزيات (١) .

وهو من أولاد عمار بن ياسر على ما أورده صاحب مرآة المعارف (٢) نقلاً عن «نزهة أهل الحرمين في تاريخ تعميرات المشهدين» أي النجف وكربلاء ، المخطوط للسيد حسن الصدر .

أول سفراء الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام ، والوكيل العام لأبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، ومن قبله كان وكيلاً لأبيه الإمام أبي الحسن الثالث .

في ابتداء أمره وقف بواباً في خدمة الإمام الهادي عليه السلام يوم كان غلاماً في الحادية عشرة من عمره (٣) ، وقبل هذا خدم الإمام محمد الجواد عليه السلام (٤) ، ولعل ذلك كان أواخر حياة الإمام ، أي يوم كان عثمان دون سن العاشرة .

(١) رجال الطوسي : ٣٨٩ رقم ٥٧٤ ط . تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي .

(٢) مرآة المعارف ، حرز الدين ٢ : ٦١ .

(٣) رجال الطوسي : ٣٨٩ رقم ٥٧٤ ط . تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي .

(٤) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤١٢ باب إمامة أبي جعفر بن علي التقي عليه السلام ط . بيروت المحفظة ١٤١٢ هـ .

وما في وسائل الشيعة^(١) من عبارة أنه : «من أصحاب أبي جعفر الثاني عليه السلام خدمه وله إحدى عشرة سنة^(٢) ، وهو ثقة جليل القدر» وهم منشؤه من رجال العلامة الحلي^(٣) الذي تتطابق عبارته مع عبارة الشيخ الطوسي في رجاله^(٤) والذي ذكر المترجم فيه ضمن أصحاب أبي الحسن الثالث الإمام الهادي عليه السلام ، وقال في نص عبارته : «ويقال له : الزيات ، خدمه عليه السلام وله إحدى عشرة سنة ، وله إليه عهد معروف» .

وعلى هذا نستقرب سنة ولادته تخميناً - بناءً على روايتي خدمته للإمامين الجواد والهادي عليهما السلام - حوالي سنة ٢١٠ هـ قد تزيد أو تقل سنة أو سنتين أو نحو ذلك ، والله العالم .

وبقي العمري في خدمة الإمام الهادي عليه السلام طوال حياته ، ثم انتقل إلى خدمة ابنه الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، فكان وكيله العام في تدبير الأمور والشؤون الدينية للطائفة من قبض الحقوق واستلام الوجوه الشرعية ، والصدقات ، واستلام الكتب وإيصالها وغير ذلك ، بل يظهر أنه كان الوكيل العام لخزانة الإمام عليه السلام ، أي بمثابة وزير الشؤون المالية ، إذ كان هناك وكلاء آخرون في الولايات والنواحي ، كل يعمل حسب توكيله في منطقته ، ولو أرادوا إرسال الأموال إلى الإمام عليه السلام فإنهم يرسلونها إلى أبي عمرو السمان ، فهو واسطتهم الوحيدة مع الإمام عليه السلام ،

(١) وسائل الشيعة ٢٠ : ٢٥٢ رقم ٧٤١ خاتمة الكتاب ، ط . بيروت القديم ، يقابلها ٢ : ٤١٩ الفائدة الثانية عشرة ، ط . تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث . ولم يعلقوا عليه بشيء .

(٢) أسقط الحر العاملي من هنا عبارة (وله إليه عهد معروف) وهي موجودة في رجال العلامة ، ولعلها لم تكن في نسخة الحر العاملي .

(٣) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : ٢٢٠ الباب ١٨ من الفصل ١٨ من القسم الأول رقم ٧٢٩ الفائدة الثانية عشرة ط . تحقيق نشر الفقاهة - قم ١٤١٧ هـ - ولم يخصه بشيء من التعليق والإشارة .

(٤) رجال الطوسي : ٣٨٩ رقم ٥٧٤١ .

وهذا ما جاء في توقيع أي رسالة أو كتاب خرج من الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام إلى اسحاق بن اسماعيل النيسابوري ، وهو كتاب طويل فيه شرح وتفصيل ، أورده الكشي في رجاله ، والذي يهمنا منه ما جاء في آخره من قوله عليه السلام : «والحمد لله فما بعد الحق إلا الضلال ، فلا تخرجن من البلدة حتى تلقى العمري رضي الله عنه برضاي عنه ، وتسلم عليه ، وتعرفه ويعرفك ، فإنه الطاهر الأمين العفيف القريب منا وإلينا ، فكل ما يُحمل إلينا من شيء من النواحي فإليه يصير آخر أمره ؛ ليوصل ذلك إلينا ، والحمد لله كثيراً» ثم يختتم الإمام رسالته بالسلام على اسحاق وعلى الشيعة ، ويدعو للجميع ويصلي على محمد وآل محمد^(١).

كان المترجم عالماً فقيهاً جليلاً محترماً عند الفريقين ، أميناً على أمور الدين والدنيا ، موضع ثقة المسلمين في دار الإسلام^(٢) . وكان من جلاله القدر وقرب المنزلة من الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام بحيث كان حديث الشيعة في وقته ، فقد روى شيخ الطائفة بسنده عن أحمد بن اسحاق (بن عبدالله) بن سعد القمي (الأشعري) قال : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام ، فقلت : يا سيدي أنا أغيب وأشهد^(٣) ، ولا يتهياً لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت ، فقول من نقبل ؟ وأمر من نتمثل ؟

فقال لي صلوات الله عليه : «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعني بقوله ، وما أذاه إليكم فعني يؤذيه» .

فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن

(١) اختيار معرفة الرجال : ٥٨٠ ، ح ١٠٨٨ .

(٢) مرآة المعارف ٢ : ٦٢ .

(٣) الظاهر هنا يقصد شهوده الموسم أي الحج ، فإنه قد لا يتمكن من الوصول إلى الإمام لظروف أمنية حسب الظاهر .

العسكري عليه السلام ذات يوم ، فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه ، فقال لي : « هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضي وثقتي في الحيا والممات ، فما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه »^(١) .

وهناك توثيقات عديدة صدرت من الإمامين العسكريين عليه السلام بحق المترجم كلّها تصفه بالوثاقة والأمانة والعدالة ، لا نطيل بها ترجمته هنا مع أنها من مقتضيات الترجمة^(٢) .

كما أنّ صاحب الأمر (عج) قد أثنى عليه ومدحه كثيراً عندما عزّى ولده أبا جعفر بوفاته ، وقد أورد الشيخ الطوسي عليه السلام فصلاً من رسالة التعزية تلك حيث جاء فيها : « إنّنا لله وإنّا إليه راجعون تسليماً لأمره ، ورضى بقضائه ، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليه السلام ، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ، ساعياً فيما يقربه إلى الله عزّ وجل وإليهم ، نصر الله وجهه ، وأقال عثرته »^(٣) .

وهو بعد هذا أحد الشهود الذين رأوا الإمام الحجة المهدي بن الحسن عليه السلام بُعيد ولادته ، وقبل وفاة أبيه العسكري عليه السلام ، جاء ذلك في خبر طويل اعتبره الشيخ الطوسي من مشهورات الأخبار ، عن جماعة من الشيعة وعدّ منهم بعض الأسماء منها : محمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح ، وأورد جملاً منه ، ونحن نورد بعضاً من تلك الجمل اختصاراً ، فالغاية هي بيان وثاقة المترجم ، ومدى اعتماد الأنمة عليه السلام عليه في حفظ أسرارهم . ففي الخبر أن جمعاً من الشيعة حددته الرواية بأربعين رجلاً وكان فيه المترجم اجتمعوا إلى أبي محمد

(١) الغيبة ، الطوسي : ٢٥٤ ، ح ٢١٥ .

(٢) للمزيد راجع : غيبة الطوسي : ٣٥٥ - ٣٥٧ ، ح ٣١٦ - ٣١٩ ، بحار الأنوار / المجلسي ٥١ : ٢٤٤ - ٢٤٧ .

(٣) الغيبة : ٣٦١ ، ح ٢٢٣ .

الحسن بن علي عليه السلام فقام من بينهم عثمان بن سعيد ليسأله عن الخلف من بعده فأجلسه الإمام عليه السلام ، ثم بعد مدة رأى الإمام عليه السلام الجو مناسباً لإجابة العُمري عن سؤاله . فجاء بغلام كأنه قطع (فلقة) قمر - كما تصفه الرواية - أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام ، فقال : «هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله : وانتهاوا إلى أمره ، واقبلوا قوله ، فهو خليفة إمامكم ، والأمر إليه» ^(١) .

وتعرف شدة جلالة قدره ومنزلته أنه هو الذي تولّى جثمان الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام بعد وفاته ، فقد روى الشيخ الطوسي عن أحمد بن علي بن نوح ، أبو العباس السيرافي ، عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب ابن بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العُمري قدّس الله روحه وأرضاه ، عن شيوخه ، أنه لما مات الحسن بن علي عليه السلام حضر غسله عثمان بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه ، وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره ، مأموراً بذلك للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلا بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها ^(٢) . وفي هذا القول إشارة إلى غيبة الإمام الحجة عليه السلام ، وعدم تمكّنه من تفسيل والده ، لكن معلوم أن الإمام المهدي عليه السلام الذي تولّى الصلاة على أبيه بحضور الملائكة ودفع عمّه جعفر الذي أراد الصلاة عليه باعتباره على حدّ زعمه وريثه الوحيد ، يمكنه أن يحضر في المنزل ويباشر هو غسل والده بمساعدة عثمان بن سعيد العُمري . ومن خلال التدقيق في لسان الرواية يتّضح أن

(١) الغيبة : ٢٥٧ ، ح ٣١٩ ، كمال الدين وتمام النعمة ، الصدوق ٢ : ٤٣٥ ، ح ٢ باب من شاهد القائم ورآه وكلمه ، وراجع أيضاً إثبات الهداة ، الحر العاملي ٣ : ٤١٥ ، ح ٥٦ ففيه صدر الرواية ، وأما ذيلها ففيه أيضاً ٢ : ٥١١ ، ح ٣٣٧ .

(٢) الغيبة : ٢٥٦ ، ح ٣١٨ .

عبارة الشيخ الطوسي بأن العُمري كان مأموراً بذلك ، لعلّه ناظر إلى أمر التكفين والتحنيط والدفن . وليس الغسل في ضمنها ، فالمقطع الأول يشير بوضوح إلى أنه حضر غسله ، يعني أنه كان يصب الماء والإمام المهدي عليه السلام يباشر الغسل ، ثم عطف بالواو جملة ثانية بأنه تولّى أمره أي قام العُمري هو مباشرة في تكفين الإمام وتحنيطه ودفنه مأموراً بذلك . ولا تحسبنا أول من التفت إلى هذا الأمر ، فقد سبقنا إلى هذا بيان الحجة السيد الشهيد محمد بن محمد صادق الصدر المولود سنة ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م والمستشهد على أيدي أوغاد النظام الدكتاتوري في العراق في (النجف الأشرف ٤ ذي القعدة سنة ١٤١٩ هـ) في كتابه تاريخ الغيبة الصغرى^(١).

ومن بعض الروايات يمكن التوصل إلى أن العُمري كان من أوائل الذين علموا بولادة الإمام المهدي عليه السلام ، بل ولعلّه من أوائل الذين رأوه أيضاً . فقد بعث إليه الإمام الحسن العسكري عليه السلام حين ولد له ابنه محمد ، وأمره أن يشتري له خبزاً ولحماً ويفرّقه على فقراء الهاشميين احتفاءً بالمولود المبارك ، ثم يأمره بأن يعقّ عنه بكذا وكذا شاة^(٢) . ويبدو أن الإمام أبا محمد أراه أصحابه في اليوم الثالث من ولادته^(٣).

أمّا سنة وفاة المترجم فإنّها غير معروفة أيضاً على وجه التحديد ، لكن السيد الشهيد محمد الصدر عليه السلام استقرب وفاته بحدود سنة (٢٦٥ هـ) وعليه فقد حدّد مدّة سفارته بخمس سنوات على وجه التقريب^(٤).

أما ما ذكره السيد محمد مهدي بن محمد الموسوي الخوانساري

(١) تاريخ الغيبة الصغرى : ٣٩٩ ط. الثانية ١٤٠٠ هـ.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق ٤٣١ : ٢ ، ح ٦ باب ٤٢ ماروي في ميلاد القائم (عج) .

(٣) المصدر السابق : ح ٨ .

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى : ٤٠٤ .

الأصفهاني الكاظمي في كتابه : «أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة» والذي هو تتميم لكتاب عم أبيه السيد محمد باقر الخوانساري الموسوم بـ «روضات الجنّات» ، من أن وفاة العمري في حدود سنة (٢٥٧ هـ)^(١) ، ولم يذكر مصدر نقله ، فهو قول مستبعد ولا أظن أنه يقبل به لو عرف أن وفاة العمري بهذا التاريخ أو نحوه تكون في حياة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، وهذا معناه نفي السفارة عن العمري للإمام المهدي عليه السلام . فالسفارة مبدؤها بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام سنة (٢٦٠ هـ) ، والعمري كان حيّاً لدى وفاة الإمام العسكري عليه السلام ، وهو الذي حضر غسله ، وهو الذي تولّى بنفسه تكفينه ودفنه ، ثم إن الإمام المهدي المنتظر (عج) قد عزّى ولده بوفاته وأثنى عليه الثناء الجميل ، كما مرّت الإشارة إليه . وهذا لا يكون مع وجود الإمام العسكري عليه السلام البتّة ، لأنه معلوم بداهة أن لا يكون إمامان في آن واحد إلا أن يكون أحدهما صامتاً ، وعليه فلا يمكن قبول التاريخ الذي أورده الأصفهاني عليه السلام .

أقول : لعلّ الأرجح أن تكون وفاته بعد هذا التاريخ ، أي بُعيد وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة (٢٦٠ هـ) بقليل ، أو قد تكون وفاته في أواخر تلك السنة ، وذلك بناءً على قول الشيخ الطوسي عليه السلام أن سفارة محمد بن عثمان كانت نحواً من خمسين سنة^(٢) . أي أنها تعدّت الأربعين سنة بقليل ، وقاربت الخمسين ، لأننا إذا قلنا بوفاة العمري سنة (٢٦٥ هـ) فإن سفارة ابنه أبي جعفر ستكون (٤٠) عاماً وهو رقم يبتعد كثيراً عن الخمسين . أما فيما لو قلنا بوفاة الأب سنة (٦٠ أو ٦١ أو ٢٦٢ هـ) فإن

(١) أحسن الوديعة، الاصفهاني ٢: ٢٢٨ .

(٢) الغيبة للطوسي : ٣٦٦ .

سفارة الابن ستقترب من الخمسين سنة أكثر ، وتكون فعلاً نحو الخمسين . وعليه فإنَّ سفارة عثمان بن سعيد ستكون في نحو التقريب بين السنة أو دونها وبين السنتين أو فوقها بقليل ، والله العالم بحقيقة الحال .

إن هذا الغموض في وفاته ومدة سفارته على وجه التحديد والقطع يعزى إلى السرية وشدة التكتّم على وجود الإمام المهدي (عج) ، وبالتالي على وجود سفير له يتّصل به بين الفينة والفينة يدير شؤونه ، ويعرّفه أحوال شيعته ، ويأخذ منه التعليمات اللازمة لأشكال التحرك ، وأمور الدين والدنيا ، في وقت كان الأمر عند السلطان أن أبا محمد عليه السلام مضى ولم يخلف ولداً ، وقُسّم ميراثه ، وأخذ من لا حق له^(١) .

فإذا كان هذا هو الجو العام الذي قدمنا ، فكيف يجرؤ ويقول أنا وكيل الإمام المختفي عن الأنظار وسفيره بينكم وبينه ؟ كلا .. فلم يكن الأمر بهذه البساطة والسهولة فالسفير لم يكن يعرفه ويعلم بحاله إلاّ ثلّة خاصة من كبار الشيعة وعلمائهم ، أي هو أيضاً كان له وكلاء مخصوصون في المناطق تصل إليه الأسئلة والحقوق وكان هؤلاء فقط يعرفون أن السفير يتّصل بالإمام عليه السلام ويأخذ الاشارات منه وجوابات المسائل ثم يوصلها إليهم وهم يوصلون الجواب خطأ أو مشافهة إليه ليوصلها بدوره إلى الإمام عليه السلام .

فالسطة لو علمت بالسفير طلبته وألقت عليه القبض ، ولحققت معه في مكان وجود الإمام وطاردته وطلبته تحت كل حجر ومدر ؛ لأنه معلوم لديهم أن الثاني عشر من الأئمة عليه السلام هو الذي سيزيل ملكهم ويستأصلهم من الأرض ؛ لينشر في ربوعها العدل بعد أن امتلأت بظلم معاوية وابنه

(١) الغيبة للطوسي : ٢٦٠ .

يزيد ومن تلاه من بني أمية والحجاج وابن اربطاة والسقّاح والرشيدي هارون ومن تلاه من بني العباس ، هم كانوا يعلمون ذلك ، وكانوا يرقبون مولده ، ولكن إرادة الله شاءت أن تصرف أنظارهم عن ولادته ونشأته في أحضان أبيه إلى أن كبر وترعرع غلاماً يافعاً حتى ذهب أبوه إلى لقاء ربه فاستلم مهام الإمامة وهو صبي صغير كجده الإمام الجواد عليه السلام .

وهكذا كانت السفارة له عليه السلام محاطة بالسرية والكتمان الشديدين خوفاً على حياة الإمام عليه السلام ، فتسلمها العمري بكل هدوء ودون إلفات نظر ، وكذا سلمها لابنه بنفس الهدوء والسرية ورحل من هذه الدنيا عليه السلام إلى جوار ربه وأتمته الأطهار الميامين دون ضجيج إعلامي ، أو احتفاء جماهيري في التشييع والعزاء ، فلا غرو إذا لم يعرف أحد تاريخ وفاته . أو يكونوا قد عرفوه لكنهم أخفوه خوفاً - من إذاعته - على ولده الذي تولّى السفارة من بعده ، فالمشكلة نفسها ، مشكلة الطلب ، كانت ما تزال قائمة ، والوضع السياسي كان يومذاك جداً خطيراً .

فالأصحاب في تلك الأيام لم يكونوا ليهتموا بالتاريخ كثيراً ، وتثبيت الأحداث بالسنين والشهور والأيام ، بقدر اهتمامهم بحفظ سلامة الإمام عليه السلام ، ثم سفرائه من أن تنالهم يد السلطة الحاكمة أو تعلم بحقيقة حالهم ، وحتى قبره عليه السلام فإنه في تلك الأيام لم يكن يُعرف على الحقيقة منذ وفاته بعد منتصف القرن الثالث وحتى أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس حيث صرّح الشيخ الطوسي عليه السلام بأنه عند دخوله إلى بغداد سنة (٤٠٨ هـ) كان يزوره مشاهرة ، ومعنى هذا أنه قبل ذلك ، وفي تلك الأيام الخوالي ، كان يُزار سراً أو قد لا يُزار خوفاً من السلطان وعيونه المتلصصة أثر شيعة أهل البيت عليهم السلام .

وبعد أن روى شيخ الطائفة عليه السلام أن قبر عثمان بن سعيد في الجانب

الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان ، في أوّل الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب يمنه الداخل إليه ، والقبر في نفس قبلة المسجد .

وأخيراً حكى لنا الشيخ مشاهداته الميدانية للمكان والقبر ، وأعطانا وصفاً لأوّل عمارة لقبر أول سفراء الإمام المهدي (عج) منذ دفنه وحتى سنة نيّف وثلاثين وأربعمائة ، ثم أول تعمير وصيانة لمرقده الشريف بعد ما يقرب من مئة وثمانين عاماً ، فقال : رأيت قبره في الموضع الذي ذكره - أي أبو نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب^(١) ابن بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ، فهو الذي حدّد مكان القبر - وكان بُني في وجهه حائط وبه محراب المسجد ، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيق مظلم ، فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرة ، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد ، وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيّف وثلاثين وأربعمائة .

ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى بزا - أي إلى الخارج - وعمل عليه صندوقاً وهو تحت سقف يدخل إليه من أراده ويزوره ، ويتبرك جيران المحلة بزيارته ، ويقولون : هو رجل صالح ، وربما قالوا : هو ابن داية^(٢) الحسين عليه السلام ولا يعرفون حقيقة الحال فيه ، وهو إلى يومنا هذا - وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة - على ما هو عليه^(٣) . من ذلك نعرف مدى التكنّم والحيطة والسريّة التي كانت تحيط بموضوع الإمام المهدي عليه السلام واختفائه عن الأنظار ، وكذلك سفرائه خاصّة الأول منهم ؛ لأنّ السلطة آنذاك كانت تتحسّس وجود شيء ما وراء رحيل

(١) قال النجاشي في الرجال ٢ : ٤٠٨ رقم ١١٨٦ : هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب ، أبو نصر المعروف بابن برنّيه .

(٢) الداية (فارسية) وتعني : القابلة .

(٣) الغيبة : ٢٥٨ .

الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ؛ لكنها ما كانت تظفر بشيء تمسك به .

ولا نعلم بعد ذلك عمارة له أو وصفاً لمرقده حتى جاء البحّاث الشيخ محمد حرز الدين (ت / ١٣٦٥ هـ) فقال : «زرنه في العهد العثماني بالعراق سنة ١٣٠٥ هـ ، وكان على قبره صندوق قديم ثمين يُعهد صنعه إلى الرئيس أبي منصور محمد بن الفرّج ، وكان عليه قبة ، وله حرم مجلّل»^(١) . وبعد هذا التاريخ نقل السيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني في «أحسن الوديعه» أن قبره خلف دائرة البريد بما يلي سوق الميدان ، وقد جدّدت عمارته في هذه السنة شيعة بغداد ، ورغم أنه لم يذكر أي سنة لذلك ، لكن مراده واضح ، فالسنة التي عناها التي هو فيها أي وقت كتابة عباراته تلك ، ومن الرجوع إلى تاريخ خاتمة الكتاب ، والموضوع الذي كتبه هو في أواخر الكتاب أيضاً ، يتبيّن أنه أراد سنة (١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م) . والذي يؤيد هذا الاستدلال ما صرّح به ولد الشيخ حرز الدين الذي حقّق كتاب والده «مراقد المعارف» ، قال : بأنّه زار قبره سنة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) والتقط صورة لقبّته الصغيرة التي على القبر ، ثم قال : «وكان قد كُتب على واجهة بابه من سوق الميدان : (هذا مسجد نائب الإمام عليه السلام عثمان بن سعيد العمري العسكري بتاريخ ١٣٤٨ هـ)»^(٢) .

أهم مصادر ترجمته :

أعيان الشيعة ، الغيبة للطوسي ، رجال الطوسي ، خلاصة أقوال المعروف برجال العلّامة الحليّ ، رجال ابن داود ، نقد الرجال للتفريشي ، وجميع كتب الرجال إضافة إلى المصادر التي ذكرناها في الهوامش .

(١) مراقد المعارف ، حرز الدين ٢ : ٦٢ .

(٢) المصدر السابق : ٦٢ .

الكتمان والسرية في الاسلام

❁ مهدي عبد المهدي

قال أمير المؤمنين : «الظفر بالحزم ، والحزم بإزالة الرأي ، والرأي بتحصين الأسرار»^(١).



الكتمان والسرية مفهومان متقاربان في المعنى ، بينهما عموم وخصوص من وجه .

فالكتمان : يقابل الأبداء ، وهو أخفاء أمر في الضمير والقلب ، قال تعالى : ﴿ وَأَعْلَمَ مَا تَبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٢).

والسر : يقابل الإعلان ، وهو ما كان غير محسوس بالحواس الظاهرية ، ويستعمل السر في مفهوم الكتمان أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴾^(٣) ، فاستعمل السر في مقابل الإعلان ، وقال : ﴿ فَأَسْرَهَا

(١) نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ١٧٧ .

(٢) البقرة : ٢٣ .

(٣) النحل : ١٩ .

يوسف في نفسه ولم يبدها^(١) ، نعبّر عن الكتمان وهو الذي يقابل الإبداء بالإسرار في النفس ، كما يقال : فلان يكتُم سره ، أي يخفيه في نفسه وقلبه ، وهو مبالغة في السرية بنحو لا يخرج من نفسه إلى غيره ، بينما السر قد يفضى إلى الغير ويبقى سراً عن الآخرين ، قال تعالى : ﴿تَسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾^(٢) ، وقد فسر بأن معناه : يظهرون ، فإن الإسرار إلى الغير إظهار لمن يفضى إليه بالسر مع إخفائه عن غيره .

فالكتمان : إخفاء الأمر في الضمير والقلب والنفس وعدم إبدائه للغير مطلقاً وبأي نحو من الأنحاء .

والسر : إخفاء الأمر عن بعض وإظهاره لبعض من يجب إظهاره له .
فالمكتوم سر لم تبده لأحد ، وكل سر هو مكتوم مادام كذلك ، وإذا أسررت به غيرك صاراً سراً ولم يعد مكتوماً ، والسر إذا تجاوز من يجب إسراره به صار إفشاءً ، وإذا تعدى ذلك أصبح إعلاماً وإجهاراً وإذاعة ، يقال ذلك في الماديات والمعنويات والأفكار والمعلومات وغير ذلك .
في عمل المؤمن أمور :

منها ما يدخل في دائرة الكتمان محفوظة في قلوب أهلها ، لا تخرج منهم لغيرهم أياً كان هذا الغير .

ومنها ما يكون حكمها السرية يطلع عليها من يجب له ذلك فقط دون غيره .

ومنها ما يكون في دائرة الإفشاء ، وهو تسريب المعلومة للغير بقصد من غير الأجهار بها والأعلان عنها ، وهو ما يستخدم كثيراً في الحرب النفسية .

ومنها ما يدخل في دائرة الإعلام والتبليغ .

(١) يوسف : ٧٧ .

(٢) الممتحنة : ١ .

وسيقصر الحديث هنا عن الكتمان والسرية ، ولإفشاء والإعلام محل آخر .

الكتمان والسرية أساس في وقاية العمل الاسلامي من الأخطار ، وقاعدة الانطلاق في إجراءات الأمن الوقائي الأخرى . يقوم عليها نظام الحيلة والحذر في الوقاية الأمنية ، كما يتقوم بها كل أجراء أمني يحفظ العمل ويقيه من الأخطار الأمنية التي تهدده بالقوة وبالفعل .

الأصل في أسرار العمل الاسلامي الكتمان ، ثم يكون منها في حكم السرية وفق أصول وأحكام تحدد حدود السرية في كل مورد على حده ، والذي أصبح من المكتوم سرّاً ؛ لا يخرج بالكامل عن أحكام الكتمان ، وإنما يبقى مكتوماً عند طرفه الأخير لا يجوز له الإسرار به لغيره ، وإن كان قد غدا عند طرفه الأول سرّاً يخضع لأحكام السرية .

فكل سر حكمه الكتمان محفوظ في قلب من أفضي إليه ، وعند طرفه المفضي سر لا يفضي به إلا من يجب له ذلك وفق القواعد والأحكام ، فما يبلغ لمؤمن من أسرار العمل حكمها عنده الكتمان لا يجوز أن يبيده لأحد مطلقاً وبأي نحو ، وإذا ما تقرر أن يطلع بذلك مؤمناً غيره ، فسيكون حكمها السرية لا يطلع عليها إلا من تقرر له ذلك ، بينما يكون حكمها عند المؤمن الأخير الكتمان ، فكل سر من أسرار العمل هو من وجه حكمه الكتمان ، وإلا لم يعد سرّاً ، وكل أسرار العمل حكمها الكتمان إلا ما تخرجه القواعد والأحكام فتكون سرّاً من وجه ، وفي دائرة الكتمان من وجه آخر ، وإلا لن يكتم السر في العمل ، فكما أن الكتمان على ما ذكرنا : هو حفظ الأسرار في قلوب أهلها لا يبدونها للخارج ، فإن السرية كتمان في الدائرة المحددة لها تحفظ الأسرار في داخلها لا تخرج منها ، وبكلمة أخرى : أن القلب وعاء السر في الكتمان لا يخرج منه ، وأن الدائرة المقررة للسرية قلب تكتم فيه الأسرار لا تخرج منه .

كتمان الأسرار من صفات المؤمن :

البواعث في كتمان الأسرار أمّا :

أولاً : ذاتية تنشأ في ذات الانسان فيكون الكتمان فيه صفة ومملكة راسخة وثابتة فيه .

ثانياً : خارجية تؤثر في الانسان فيكتم الأسرار مادامت قائمة وتزول صفة الكتمان منه بزوالها .

أولاً : البواعث الذاتية

وأصلها في المؤمن إيمانه بالله تعالى ورسوله ﷺ واليوم الآخر ، وتتلخص في :

١ - التخلق بأخلاق الله تعالى ، والذي هو حقيقة الايمان ، ففي الحديث عن الامام الرضا عليه السلام قال :

« لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال : سنة من ربه ، وسنة من نبيه وسنة من وليه ، فالسنة من ربه كتمان سره ، قال الله عز وجل : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من أرتضى من رسول ﴾ » (١) .

إن إذاعة السر تنافي إيمان المؤمن وتقوده إلى الشرك أو الكفر أعاذنا الله ، كما جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال : «مذيع السر شاك ، وقائله عند غير أهله كافر...» (٢) وعنه عليه السلام أيضاً قال : «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان» (٣) .

٢ - الولاية والولاء ، وشرطها كتمان السر ، ومتابعة الأئمة عليهم السلام في ذلك ، فعن الامام الصادق عليه السلام قال :

(١) البحار ٧٥ : ٦٨ رواية ٢ باب ٤٥ .

(٢) البحار ٧٥ : ٨٨ رواية ٤٢ باب ٤٥ .

(٣) الكافي ٢ : ٢٧٠ . ٣ .

«ليس هذا الأمر معرفته وولايته فقط حتى تستره عن من ليس من أهله وبحسبكم أن تقولوا ما قلنا ، وتصمتوا عما صمتنا ...»^(١) .

وعنه عليه السلام قال : «من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحد حقنا» وقد عد عليه السلام كتمان السر جهاداً كما في قوله : «كتمان سرنا جهاد في سبيل الله»^(٢) .
وقد حرص الأئمة عليهم السلام على تربية شيعتهم على كتمان السر ؛ حتى أن الامام زين العابدين عليه السلام يقول فيما روي عنه :

«وددت والله أنني اقتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي : النزق وقلة الكتمان»^(٣) ، وفي حديث للامام الباقر عليه السلام يقول :

«والله أن أحب أصحابي إليّ : أورعهم ، وأفقههم ، وأكتمهم لحديثنا»^(٤) .

٣- الرجاء والخوف ، رجاء الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة بكتمان أسرار العمل ، وخوف العذاب والسقوط في الدنيا والآخرة ، من أفشاء الأسرار وعدم الكتمان ، وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يصرح بهذا ويؤكدده ، وفيما يلي بعض منها :

أ- الكتمان عز وعدمه ذلة :

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال لسليمان بن خالد : «يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله»^(٥) .

وعنه عليه السلام قال : «إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق ، فمن هتكه علينا أذله الله»^(٦) .

ب- في الكتمان نجاح الأعمال وفي عدمه الفشل :

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

(١) المستدرک ١٢ : ٢٧٧ رواية ١٤٠٨٩ باب ٣٠ .

(٢) البحار ٢ : ٦٤ رواية ١ باب ١٣ .

(٣) البحار ٧٥ : ٦٩ رواية ٦ باب ٤٥ .

(٤) الكافي ٢ : ٢٧٠ / ٢ .

(٥) الكافي ٢ : ٢٢٢ / ٣ .

(٦) البحار ٢ : ٧١ رواية ٣٢ باب ١٣ .

«أنجح الأمور ما أحاط به الكتمان»^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال :

«أمر الناس بخصلتين فضيعوهما فصاروا منهما على غير شيء : الصبر

والكتمان»^(٢).

وعنه عليه السلام قال :

«إفشاء السر سقوط»^(٣).

وعن الامام الهادي عليه السلام قال :

«إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»^(٤).

ج- السلامة والسعادة في الكتمان وفي عدمه الثبوت :

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

«سرك سرورك إن كتمته ، وإن أذعته ؛ كان ثبورك»^(٥).

وعنه عليه السلام قال :

«الصمت حكم ، والسكوت سلامة ، والكتمان طرف من السعادة»^(٦).

د- في إفشاء السر تفويت الفرص .

ومن وصايا الامام الصادق عليه السلام لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول :

«يا ابن النعمان إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم ، لأنه سر الله ، فلا تعجلوا فو

الله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فأذعنتموه ، فأخره الله ، والله ما لكم سر إلا وعدوكم

أعلم به منكم ...»^(٧).

(١) غرر الحكم : ٣٢٨٤.

(٢) وسائل الشيعة ١٦ : ٢٣٦ رواية ١٤٤٩ باب ٣٢.

(٣) تحف العقول : ٣١٥.

(٤) وسائل الشيعة ٢ : ٤٠٨ رواية ٢٤٨٨ باب ٣.

(٥) غرر الحكم : ٥٦١٦.

(٦) تحف العقول : ٢٢٣.

(٧) تحف العقول : ٣١٠.

هـ- عواقب عدم الكتمان في الآخرة :

فقد ينتهي عدم الكتمان بصاحبه إلى الوقوف موقف القاتل للأنبياء والأئمة عليهم السلام والمؤمنين يوم القيامة .

فعن الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ... ﴾ قال :

«والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيا فهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا ...» (١) .

وعنه عليه السلام قال :

«ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ ولكن قتلنا قتل عمدا» (٢) .

عن الامام الباقر عليه السلام قال :

«يحشر العبد يوم القيامة وما ندئ دماً فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له : هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يا رب انك تعلم انك قبضتني وما سفكت دماً ؟ فيقول : بلى سمعت من فلان رواية كذا وكذا ، فرويتها عليه فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه» (٣) .

ثانياً : البواعث الخارجية في كتمان السر

وهي مما لا يعول عليها في العمل لعدم ثباتها ، نشير إليها باختصار لئلا يغتر المؤمنون بالكتمان الناشيء عنها :

١ - الخوف من بطش العدو :

فطالما الخوف من سطوة العدو قائم أو محسوس ، يكون التكتم على الأسرار ، وعلى قدره يشتد إذا اشتد ويضعف إذا ضعف ويزول إذا زال ،

(١) الكافي ٢ : ٢٧١ / ٦ .

(٢) البحار ٢ : ٧٤ رواية ٤٥ باب ١٢ .

(٣) البحار ٧ : ٢٠٢ رواية ٨٥ باب ٨ .

فالكتمان هنا خوف على النفس لا كتمان لأسرار العمل ، فإن أمن على نفسه ؛ لم يكتُم سرّاً .

٢- تأثير المحيط :

فقد يكون المحيط الاجتماعي ضاغطاً لأي سبب من الأسباب ، لا يسمح للحديث بأسرار العمل ، فيكون عندئذٍ كتمان الأسرار بسببه بما يلائمه ، وفي غير ذلك فلا كتمان لسر ، والكتمان في هذا مراعاة للمحيط وليس كتماناً لأسرار العمل .

٣- الرقابة الدائمة :

فقد يلتزم المؤمن بالكتمان والسرية مادام عليه رقيب ورقابة من العمل ، وفي غياب الرقابة ينتفي الالتزام .

إن الكتمان المطلوب في العمل الاسلامي هو الكتمان الذاتي الناشيء من الايمان بالله تعالى واليوم الآخر والشعور بالمسؤولية الشرعية والأخلاقية ، وهو ملكة تتكون في نفس المؤمن وتقوى بالعمل والتدرج في مراتب الايمان .

الأسباب في عدم كتمان الأسرار

يقضي الانسان السر ويفضي ما يجب كتماناه في حالين :

الأول: الوعي والارادة لفعله ، فهو تصرف عن إدراك وتصميم مسبق ، ومعرفة بحقيقة ما يفعل ومآل فعله ولو بنحو الإجمال ، وأسباب ذلك ترجع إلى أحد الأمور التالية :

١- العدواة : فالعداء ، الفكري أو الشخصي ، للعمل أو للقائمين عليه ، وقد يقود إلى تعمد أفشاء أسرار العمل ، بهدف الاضرار به وببرامجه العملية أو الايقاع بأشخاصه ، إما انتقاماً للنفس ، أو منافسة غير مشروعة في داخل العمل ، يعجز الفرد فيه من تحقيق مآربه وطموحاته

الخاصة ، فيلجأ إلى كشف الأسرار .

٢ - المساومة : قرب ضعيف نفس في العمل يستحوذ الشيطان عليه ، فيستغل ما في حوزته من أسرار العمل للمساومة ، وللحصول على امتيازات شخصية من العمل أو من منافسيه أو من أعدائه .

٣ - كسب المعلومات للعمل : فيكشف بعض أسرار العمل لغرض الحصول على معلومات يحسب أنها أهم وتنفع العمل .

٤ - الإنهيار أمام ارهاب وتنكيل الأعداء ، والتشبث بالنجاة عن طريق الإفشاء بأسرار العمل ، أو بعض منها .

٥ - تبرير التساقل في طريق العمل : قد يعجز البعض عن مواصلة أو مواكبة مسيرة العمل الاسلامي ، فيتخلى أو يتخلف ، ولتبرير هذا وتغطية العجز يلجأ إلى التشهير بأسرار العمل بما يحقق له ذلك .

ثانياً : عدم الوعي والارادة ، فقد يحدث بأسرار العمل من لا يجب له ذلك من غير وعي وارادة ، وإنما عن :

١ - بساطة وحسن ظن مطلق بالآخرين .

٢ - التساهل واللامبالاة .

٣ - حب الظهور والشهرة .

٤ - العجب الناشيء عن المعرفة والنجاح بالأعمال .

٥ - ضعف الوعاء وضيق الصدر عن حفظ الأسرار .

٦ - الخجل ممن يسأله عن أسرار العمل .

٧ - الغضب .

٨ - الجدل في قضايا العمل .

٩ - كسب ود الآخرين وصادقتهم .

١٠ - النجوى ، إذ مادة النجوى عادة تبادل الأسرار .

١١ - التطفل ونزعة التدخل في كل شيء ، والحديث عن كل شيء .

- ١٢ - الخفة وعدم الحصافة والاتزان .
- ١٣ - عدم تقدير الضروريات .
- ١٤ - الجهل والجهل المركب .
- ١٥ - الغفلة والنسيان .
- ١٦ - الابتهاج والسرور عند الموفقية والنجاح في الأعمال .
- ١٧ - الحزن والشعور بالأسى والمظلومية .
- ١٨ - الخيانة وعدم الحرص على الأمانة .
- ١٩ - الحماقة .
- ٢٠ - النميمة .
- ٢١ - الثثرة وكثرة الكلام .

الميزان في كتمان السر

الكتمان مطلقاً ليس ممدوحاً أو مذموماً في نفسه ، وإنما يكون كذلك بحسب اختلاف موارده ، فما كان مما يجب الدعوة والتبليغ إليه ؛ لا يجوز كتمانها . والكتمان فيه مذموم أو محرم وما لم يكن كذلك يخضع لأمر على ضوئها يتقرر حكم ودرجة الكتمان فيه ، وهذه الأمور تتلخص في : أولاً : ماهية الأمر .

ثانياً : الظروف الموضوعية المحيطة بالعمل ، سياسية وأمنية .

ثالثاً : المخاطب بالأمر والمفضى به إليه .

رابعاً : المصلحة المسوغة لاطلاعه على الأمر .

خامساً : سياسة العمل وستراتيجهته التنفيذية .

ثم أن الكتمان والسرية تختلف حدودها في خارج العمل عن داخله وبين العاملين ، والذي يدرس الأمور على ضوء ما تقدم ويقرر ما يجب كتمانها خارج العمل ، وما يجب داخله ، وحدود ذلك هو الجهة العليا في

العمل المسؤولة عن ذلك ، والمسؤولية عن حفظ أسرار العمل مسؤولة الجميع ، لا فرق في ذلك بين عامل وآخر .

مبادئ في كتمان الأسرار

وهي غرر حكم مروية عن أئمة الهدى عليهم السلام كل واحد منها يقرر أصلاً في كتمان الأسرار وحفظها ونوردها مع رفع الاسناد والمصدر اختصاراً:

- ١ - الامام علي عليه السلام : «سرك أسيرك فإن أفشيتَه صرت أسيره»^(١) .
و «من كتم سره كانت الخيرة بيده»^(٢) .
- ٢ - الامام علي عليه السلام : «المرء أحفظ لسره»^(٣) .
و «صدر العاقل صندوق سره»^(٤) .
و «ولا حرز لمن لا يسع سره صدره»^(٥) .
- و عن الامام الصادق عليه السلام : «صدرك أوسع لسرك»^(٦) .
- ٣ - الامام علي عليه السلام : «أحفظ سرك ولا تنكح خاطباً سرك»^(٧) . وعن الامام الصادق عليه السلام : «سرك من دمك فلا يجري من غير أوداجك»^(٨) .
- ٤ - الامام علي عليه السلام : «كلما كثر خزان الأسرار كثر ضياعها»^(٩) .
- ٥ - الامام علي عليه السلام : «أبذل لصديقك كل المودة ولا تبذل له كل الطمأنينة»^(١٠) .

(١) غرر الحكم : ٥٦٣٠ .

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ١٦٢ .

(٣) البحار ٧٥ : ٧١ رواية ١٦ باب ٤٥ .

(٤) نهج البلاغة : الحكمة ٦ .

(٥) غرر الحكم : ١٠٦٧٦ .

(٦) البحار ٧٥ : ٧١ - ١٧ .

(٧) غرر الحكم : ٢٣٠٥ .

(٨) البحار ٧٥ : ٧١ / ١٥ .

(٩) غرر الحكم : ٧١٩٧ .

(١٠) البحار ٧٤ : ١٦٥ رواية ٢٩ باب ١٠ .

وعن الامام الصادق عليه السلام : « لا تطلع صديقك من سرك إلا على ما لو أطلعت عليه عدوك لم يضرک فإن الصديق قد يكون عدواً يوماً »^(١).

٦- الامام علي عليه السلام : « لا تودع سرك إلا عند كل ثقة »^(٢).

٧- الامام علي عليه السلام : « من ضعف عن حفظ سرّه : لم يقو على سر غيره »^(٣).

٨- الامام علي عليه السلام : « لا تُسرّ إلى الجاهل شيئاً لا يطيق كتمانهُ »^(٤). و « أنفرد بسرک ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون »^(٥).

٩- الامام علي عليه السلام : « لا تودع سرك من لا أمانة له »^(٦).

١٠- الامام علي عليه السلام : « ثلاث لا يستودعن سرّاً : المرأة ، والنمام ، والأحمق »^(٧).

١١- الامام الصادق عليه السلام : « أربعة يذهبن ضياعاً : ... وسرك تودعه عند من لا حصانة له »^(٨).

١٢- الامام الكاظم عليه السلام من الحبس إلى أحد أصحابه : « لا تفش ما استكتمتک ، وأخبرک أن من أوجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً ينفعه ، لا من دنياه ولا من آخرته »^(٩).

آثار الكتمان في شخصية المؤمن

المؤمن الكتوم الذي يحفظ في صدره أسرار العمل هو مصداق « العبد الثقة » الذي وردت الروايات في مدحه وبيان خصوصيات شخصيته ،

(١) مشكاة الأنوار : ٣٢٣.

(٢) البحار ٧٧ : ٢٣٧ رواية ٣ باب ٨.

(٣) غرر الحكم : ٨٩٤١.

(٤) غرر الحكم : ١٠٢٦٥.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ : ٢٢٧.

(٦) غرر الحكم : ١٠١٦٦.

(٧) غرر الحكم : ٤٦٦٢.

(٨) البحار ٧٥ : ٦٩ / ٤.

(٩) البحار ٢ : ٧٥ رواية ٥٢ باب ١٣.

والتي من آثار الكتمان فيه :

عن رسول الله ﷺ قال :

«طوبى لبعيد نومة : عرفه الله ولم يعرفه الناس ، أولئك مصابيح الهدى وينابيع

العلم ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة ، ليسوا بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين»^(١) .

وقد سئل الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن «النومة» فقال : «الذي لا يدري

الناس ما في نفسه»^(٢) . وقد وصفه الامام الصادق عليه السلام بقوله : «عرف الناس قبل

معرفتهم به» وفي حديث آخر : «يعرف الناس ولا يعرفه الناس»^(٣) .

فأهم آثار الكتمان في شخصية المؤمن تتلخص في :

١- الاخلاص لله تعالى والذوبان في العمل ، فمع الكتمان يضمحل مجال

البروز الشخصي .

٢ - الجدية والشعور بالمسؤولية مع الرصانة والانضباط ، فليسوا

بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين .

٣ - مصابيح هدى وينابيع علم لا يقودهم الكتمان إلى العزلة ونقص

المرونة في التعامل مع الناس .

٤ - ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة ، وفي حديث عن الامام علي عليه السلام «أن

بعدي فتناً مظلمة عمياء متشككة ، لا يبقى فيها إلا النومة»^(٤) فلا يجرحهم الكتمان

والسرية إلى التخوف وضعف روح الاقتحام .

٥ - الكتمان فيهم حكمة وليس مرضاً .

والحمد لله رب العالمين

(١) الكافي ٢: ٢٢٥ / ١١ .

(٢) معاني الأخبار ١: ١١٦ .

(٣) الزهد لحسين بن سعيد ٤: ٣ .

(٤) معاني الأخبار ١: ١٦٦ .

قصيدة : الله

✽ السيد محمد جمال الهاشمي

مبدأ الكون، لك الكون وما فيه يعود
أنت ما أنت وجودٌ منه قد فاض الوجود
تنطوي في رسم معنأك، رسومٌ وحدود
ولألاؤك في العالم أطاق وجود
حيث لولاها لما اخضرَّ من التكوين عود
ولما قام لهذا الفلك السامي عمود
منهلٌ مازال بالرحمة واللفظ يجود
ونظامٌ فيه روح الحق والعدل يسود
أيها السرمد .. من تاه بمعناه الخلود
في سماواتك للفكر نزولٌ ونهود

ولألحانك في الذكرِ اضطرابٌ وهمود
نورك الظاهرُ عن ظاهره النورُ يزود
هو معنى جَلَّ أن يدركه الفكرُ الشرود
أنتك الله .. وما لله غيبٌ وشهود
وثب العلمُ لنجواك فأعياه الجمود
وسما الدينُ لدنياك فعاقته القيود
فنأى آدمُ بالوصل وأدنياه الصدود
والتوى - صالح - بالناقة مذ زاعث (ثمود)
وانزوى - يونس - في اللجج، وملَّ الناس - هود -
ولابراهيمَ في النارِ .. هدوءٌ وصمود
وإلى الطورِ سعى موسى تزجّيه اليهود
ولروح الله في المهدِ بروق ورعود
ولطه في السماوات عروجٌ وصعود
هاهو الماضي وثوبٌ واضطرابٌ وركود
ومن الحاضر لا يُفزعُنِي إلاّ الجحود
ولروحي في شواطيك صدورٌ وورود
فسألفاك، وإن خابت بمسعاها الجدود
لي من روحي وعودٌ سالفات وعهود



قصيدة : مراكب الذكرى

✽ إبراهيم محمد هواد (سوريا)

جاشت وخفق القلب تستبقان	هي رعشة هزت رُبى الوجدان
بُرْد اليقين وشملة الإيمان	جالت على شرف الجوانح ترتدي
وأتى يسوق عرائس الألوان	خلع الربيع على الوجود شبابه
جَنَبَاتُهُ رُجَّتْ بخيل رِهان	ومراكب الذكرى جرت في ملعب
نِ على سماء المجد يأتلفان	هذا الربيع ونور طه كوكبا
وسرت شذى يرويه كل لسان	وقصيدة رفقت بأجنحة الرؤى

✽ ✽ ✽

درب الهدى واستبصرت عينان ؟	ماذا أقول ومركب النفس امتطت
ورنت لنغمته كوى الأذان ؟	ماذا أقول ورن صوت محمد

وتفتحت آفاقُ مَكَّةَ للنشيد
أقول طافت في الضمائر ثورة
غسلت قذى الأضنام عن خدِّ الصفا
فصفا ببيت الله ينبوعُ الهدى
وعلى المدينة هلَّ بدرٌ طالعُ
بسط العدالة في ربوع جزيرة
وانجابَ عن وجه الزمان وجيده
غصنُ النبوة والإمامة في بسا
أمرأكبَ الذكرى طلعت مواكباً
لغة الكلام على اللسان تأثقت
نشر الرفاق بها قصائد عشقهم
أمرأكبَ الذكرى ببحر (المنتدى)
سيري بها في (الأربعاء) وفاخري
سيري بذكر للضياء موشح
سيري على اسم الله ذكراً عاطراً
قد جاء والدنيا ظلام مطبق
وبحكمة الداعي أشار إلى الهدى
وتلا على سمع الزمان نداءه
فترسخت فوق الجزيرة دولة

سد سرى مع الأحلام للشُّبان
طوَّفَ الدموع بمقلة الإنسان ؟
وجَلَّتْ محيَّاتها من الأوثان
وهفت لزمزم مهجة الظَّمان
من سُرقَةِ الجوزاء نبع حنان
حملت شريعته إلى الأكوان
سجفُ الظلام وأوراق الغصنان
تين الحياة وروضها الفينان
هَزَجَ الملوكُ بها مع العبدان
وتألقت تروى ظما الوجدان
فغدت لجيد الدهر عقد جُمان
هلاً امتطيت لآلئ المرجان
الشُّعراء من كعبٍ إلى حَسَّان^(١)
بشذى العطور ونفحة الريحان
للمصطفى المختار من عدنان
فأضاءها بشريعة الرحمان
آياً مرتلةً من القرآن
ترنيمَةً سبحت إلى الشُّطان
وسرت سفينتُهُ أُمَّةً بأمان



(١) الإشارة في هذا البيت والذي قبله إلى منتدى الأربعاء الثقافي الذي تأسس عام (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) في سوريا - السيدة زينب (ع) .

أَمْرَاكِبَ الذِّكْرِى امْخُرِي الْأَمْسَ الْبَعِيدَ
ظَلِّى اسْبَحِي فِي التَّيِّهِ فِي أَحْلَامِ مَجْدٍ
وَتَمَايَلِي مَزْهُوَّةً سَكْرَانَةً
لَا تَسْأَلِي أَيْنَ الْمَطَافِ تَرْنَحِي
لَا تَسْتَفِيقِي يَا مَرَاكِبُ عَنْ رُؤْيَى
سَتْرَيْنَ أُمَّةَ أَحْمَدٍ مِزْقًا وَقَدْ
سَتْرَيْنَهَا عَكَفْتَ عَلَى عِجْلِ الْهَوَى
حَتَّى النِّسَاءُ فَقَدْ جَرَيْنَ حَوَاسِرًا
فَشَتِ الْخِيَانَةَ لِلْجُورِ فَأَيْنَمَا
بَاعُوا مَرَاكِبَ مَجْدِهِمْ وَتَمَرَّغُوا
وَتَجَلَّبَبُوا ثُوبَ الْمَذَلَّةِ وَرَاتَدَوْا
لَكِنَّهُمْ قَدْ زَرَكَشُوا مَا أَلْسُوا
وَعَدُوا مَلُوكًا لِلْبَحَارِ وَصَوَّتُهُمْ
وَكَذَاكَ شَطْرُنْجُ الْمُلُوكِ كَبَتْ بِهِ

تَسْغَافِلِي عَنْ نَكْسَةِ الرُّبَّانِ
غَابِرٍ فِي صَوْلَةِ الْفَرَسَانِ
مَنْ خَمِرٍ مَاضٍ مُزْهِرٍ رِيَّانٍ
بَيْنَ الصَّخُورِ وَظَلْمَةِ الْخَلِجَانِ
مَنْسُوجَةٍ بِمَشَاعِرٍ وَأَمَانِي
لَطَمْتَ نَوَاصِيَهَا يَدُ الْخَذْلَانِ
وَتَعَبَّدْتَ لِرَوَاقِصٍ وَغَوَانِي
بَلْ عَارِيَاتِ الصَّدْرِ وَالسَّيْقَانِ
تَتَلَفَّتَيْنِ فَمَا سَوَى خَوَّانٍ
فِي الطِّينِ يَا لِسَفَالَةِ الْخَوَّانِ
حُلَّ الْهَوَانِ وَجُبَّةَ الْخُسْرَانِ
هُ وَزَيَّنُوا الْهَامَاتِ بِالتَّيْجَانِ
كَالرَّعْدِ يُزْعِبُ أَكْبَرَ الْحَيْتَانِ
حَيْلُ الْعَدَى وَحَبَائِلُ الشَّيْطَانِ



هَٰذِي الْعَوَاصِمَ بِالْمَوَاكِبِ أَقْبَلْتَ
يَا أَيُّهَا الشَّعْرَاءُ غَنُّوا وَاطْرَبُوا
بَلْ وَارْقَصُوا فِي السَّاحِ مَبْطُونًا بِمَا
وَادَّعُوا الْقَرَائِحَ مِنْ عَمِيقِ سُبَاتِهَا
كَيْلُوا الْمَدِيحَ وَعَدَّدُوا أَفْضَالَهُمْ

فَكَأَنَّمَا زُقْتُ إِلَى الْعِرْسَانِ
وَزَنُوا الْقَوَافِي دُونَمَا رَوَّعَانِ
حَشَرُوا بِهِ مِنْ زَامِرٍ وَقِيَانِ
وَتَسَفَّتُوا عَنْ حَبِكَةٍ وَبَيَانِ
فَهِيَ الْكَثِيرَةُ دُونَمَا نَكَرَانِ

هو ذا الزمان فيا مراكب امرحي
سوحى مع الأحلام في بحر الكرى
ماذا علينا لو غفونا فترةً
أتقول تلك خيانة قلها إذن
دعنا نريح ونستريح هنيئاً

حَتَّامَ أزرع في المربع أضلعي
وإلامَ أغرس في الرياض جوانحي
آن الأوان لأن تجفَّ مدامعُ
فلقد سئمت الجري في ميدانه
أأظلُّ أسبح في الضباب وليس لي
زيفُ السلام مع اليهود أمضني
ماذا جرى حتى استكانت أمتي
سلم الذئاب يرنُّ في أسماعكم
حتى القوافي - ويلها - عزفت على
عزفت لأزلام السلام وزيّفت
والقدس ، أين القدس أبطال الحمى
أم قايض الفرسان مسجدها البهي
وجنوب لبنان المقيّد هل تُرى
حاشاشآم العزّ أن تنسى وفي
حاشا وتاج المجد معقودٌ لها
فالشآم - ليس سوى الشآم - شرارة

جَذلاً بروضة شاطئ النسيان
ماذا تفيد نباهة اليقظان
فيها الأمان وراحة الأذهان ؟
بل سَمُّها أحبولة الشيطان ؟
لابدَّ تهدر ثورة البركان

والغير ينهب غلّة البستان ؟
والذئب يرقص في ذرى الأفنان ؟
سحّت تُروّي مسرح الطغيان
أعمى أسوق شرائح العميان
في الكون من اسمٍ ولا عنوان ؟
إذ لم يكن ليسوع في الحُشبان
أين الحميّة يا بني عدنان ؟
فإذا النفوس تجيب في إذعان
وتسر السلام بمنكر الألحان
معنى السلام بذلّة وهوان
أخبا اللهب بأضلع الولهان ؟
بحفنة من أصغر رنّان
ننساه أم ننسى رُبى الجولان ؟
الأحشاء قلبٌ دائم الخفقان
فوق الجباه على مدى الأزمان
كوري اللهب بموقدٍ وسمان

وتثيرها فوق العواصم ثورةً
وتعيد للأرض المقدسة الهدى

قسماً بمن أسرى بخير الخلق في
قسماً بمن أسرى الإله به إلى
القدس لن تبقى لصهيون جمى
القدس قدسي والديار مرابي
هذي الطلائع أقبلت راياتها
هذي الفتوح تبلّجت أنوارها
فإذا الفياق زاحفات والبيا
هو ذا الجنوب صحا على خفق البنو
من كل باذلة على أرض الجنو
أو واهب قلب العدى سهم الردى
أرايتهم كالصبح قد سلّوا على
فعشت عيون المعتدين وزلّوا
مافت في عضد المقاوم غبرة
كم من قذى ركمته هوج عواصف
وكذا الشهادة لو تأسنّ عطرها
فانهض فديتك سيّد الفرسان
تحبوك شائمك من تألّق عزّها
ومراكب الذكرى تخوض بهيئة

جنح الدجى لمدارج الرضوان
قدس القلوب وجنة الغفران
مهما استطالت أذرع العدوان
ودمي فداء القدس والأوطان
تعلو رُبى الآكام والوديان
صبحاً يشير إليه كل بنان
رقّ لامعات فوق كل سنان
وصيحة الفتيات والفثيان
ب دماء قلب طاهر الأردن
وقد ارتدى عزّ الهدى الربّاني
ليل الظلام نواصع الأكفان ؟
وجرّوا إلى الأوكار كالفران
حطّ تشوّه صفحة الصوّان
وأماطه طلّ عن الصّفوان
ما أشرقت شمس على الأكوان
ولتشر آساداً إلى الميدان
تاجاً تأرّج من شذى طهران
بحر الهدى بشراعها النوراني

المحسن

✽ الشيخ عبد الطيف الأسدي

على ضوء ما سبق ذكره وشرحناه مختصراً في الحلقة السابقة عن الإحسان ، وفي تعاليم أئمتنا عليهم السلام يواجهنا مفهوم المحسن لنتعرف عليه حتى تكتمل صورة الإحسان بهذا الوجه الجميل والكيان المستقل الذي يتعامل مع حركة الإحسان وفق تعاليم الاسلام والتربية الهادفة الواعية للأمة لأئمتنا عليهم السلام للإرشاد إليه وحثهم لها عليه . ومن خلال النصوص الشريفة المتعلقة بهذا المعنى يتضح لدينا مفهوم المحسن بأبعاده ومقومات شخصيته وعناصرها المحببة السامية التي لا يفوقها وصف ، ولا يضارعها مثيل ، فخصيصة هذا المحسن قائمة وواضحة ما دام الإحسان مرتبطاً بها ومنطلقاً لها ورمزاً للعباءة والبذل والفضل فيها .

والله تعالى هو خير المحسنين وهو منبع الإحسان في الأرض

والسماء ، ومنه تعالى يبدأ الإحسان وإليه ينتهي ، وعنه يصدر ومنه يفيض على الدنيا ، فالمحسن كما يقول ﷺ : «معان والمسنى مهان» (١) .
«والمحسن حي وإن نقل إلى منازل الأموات» (٢) . «المحسن من عم الناس بالإحسان» (٣) .
«إن المؤمنين المحسنون» (٤) . «كل محسن مستأنس» (٥) .

هذه مجمل الأقوال التي جسدت مفهوم المحسن ومنحته أبعاداً في الجانب الايماني والجانب العملي والجانب العام منه وفي الاطار التعاوني ، وهو في كل هذه الجوانب يشعر المحسن بالأنس لأنه يزاوِل كل هذه النشاطات في أشواطها الانسانية المختلفة حتى استحق هذا اللقب المحبب إلى النفوس الذي يعزّز ثقة المجتمع به وينال رضاهم عنه .
فالمحسنون هم المؤمنون حقاً لأنهم الصفوة الذين يعيشون معيّة الله معهم ، يشعرون بكرامة الله لهم ، فقد رضي الله عنهم بإحسانهم إلى خلقه ، وهم راضون عنه بتفضله عليهم لاستجابتهم أوامره وتحقيق عدالته في الأرض .

إن الله مع المحسنين

القرآن المجيد مصدر العطاء ومنبع الإحسان بل هو الإحسان كله ، فهو كلام الله المنزل على خير بشر مرسل ، فعنه نأخذ معالم ديننا ومنه نستقي مبادئ حياتنا ، وأئمتنا ﷺ هم الوجود التطبيقي لهذا الكتاب العزيز والتنزيل المحكم ، والمحسنون الذين عناهم القرآن هم الأئمة

(١) الامام علي (ع) ، غرر الحكم .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن .

(٥) م . ن .

وَمَنْ سَارَ عَلَى هَدْيِهِمْ ، فَقَدْ أَمَرُونَا أَنْ نَسْلُكَ مَا سَلَكُوا وَنَلْتَزِمَ بِمَا أَمَرُوا ،
فَهُمْ حَمَلَةُ عِلْمِ اللَّهِ ، وَهُمْ مُصَدِرُ عَطَاءِ اللَّهِ ، وَهُمْ الْأَخْيَارُ وَالْأَصْفِيَاءُ ، فَمَنْ
شَدَّ عَنْهُمْ فَقَدْ شَدَّ فِي الْحَيَاةِ وَزَلَّتْ قَدَمُهُ فِيهَا وَزَاغَ قَلْبُهُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَهْوَاهُ
الشَّيْطَانُ فَأَبْعَدَهُ عَنْهُمْ ، وَمَنْ لَزِمَهُمْ فَقَدْ اهْتَدَى وَرَكِبَ سَفِينَتَهُمْ وَيَمَّمُ
وَجْهَهُ صَوْبَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا .

ومعِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْمَحْوَرُّ فِي سُلُوكِ الْإِنْسَانِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْمَلْتَزِمِ
وَالْوَاعِي فِي حَرَكَتِهِ إِلَى رَبِّهِ وَهِيَ مَسَارُهُ إِلَى النِّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْفَوْزِ فِي
الْآخِرَةِ ، وَهِيَ الْمُنْطَلِقُ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مِنْ أَجْلِ رَبِّهِ ، فَإِذَا أَحْسَنَ الْإِنْسَانُ ؛
فَقَدْ كَانَ مَعَ اللَّهِ فِي إِحْسَانِهِ وَلَا رَيْبَ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ ، فَيُوفِقُهُمْ
لِطَاعَتِهِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى رِضَاهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَالتَّقْوَى فِي هَذَا اللَّقَاءِ تَتَجَسَّدُ
حِينَمَا يَصْبِحُ الْإِحْسَانُ لَدَى الْمُحْسِنِينَ هُوَ شُعَارِ عَمَلِهِمْ وَمَنَارُ سُلُوكِهِمْ ،
فَتَسْمُو نَفُوسُهُمْ فِي أَجْوَاءِ طَاعَتِهِمْ لِخَالِقِهِمْ لِيَحْظُوا بِرِضَاهِ فِي الدُّنْيَا
عَنْهُمْ وَلِيَنَالُوا الْقُرْبَ وَالزَّلْفَى لَدَيْهِ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ، فَلَا تَنْحَرِفْ فِطْرَتُهُمْ عَنْ
نِظَامِهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا تَشُدَّ تَصَرُّفَاتُهُمْ عَنْ مَسَارِهَا .

ونصوص هذا المقطع :

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ^(٢) .

وفي الحديث ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ » هَذِهِ الْآيَةُ لَأَلِ
مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلِأَشْيَاعِهِمْ ^(٣) .

وقوله ﷺ : « أَلَا وَإِنِّي مُخْصِصٌ فِي الْقُرْآنِ بِأَسْمَاءٍ احْذَرُوا أَنْ تَغْلِبُوا عَلَيْهَا

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) الامام الباقر، نور الثقلين ٤ : ١٦٨ تفسير علي بن ابراهيم .

فتفضلوا في دينكم ، أنا المحسن يقول الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) .
فحذار أن نغلب على أسماء عظيمة خص الرسول الكريم ﷺ بها
فنضل في ديننا ، ونحرف بذلك عن مسار الفطرة التي فطر الناس عليها ،
فلا تبديل لخلق الله .

ما الإحسان ؟

عن عمر بن يزيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إذا أحسن المؤمن
عمله ، ضاعف الله عمله بكل حسنة سبعمئة ... فقلت له : وما الإحسان ؟ فقال : إذا
صليت فأحسن ركوعك وسجودك ، وإذا صمت : فتوقَّ كلَّ ما فيه فساد صومك ، وكل
عمل تعمله فليكن نقياً من الدنس»^(٢) .

في قوله تعالى : ﴿ ... مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ روي عن
النبي ﷺ سئل عن الإحسان فقال : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه
فإنه يراك»^(٣) .

يتضح من خلال هذين النصين الشريفين معنى الإحسان ، فهو في
إطارهما أن يحسن المرء في صلاته ، ركوعها وسجودها ، وفي صومه
إذا صام أن يكون نقياً من الدنس ، ويشعر بروح العبادة الصادقة النابعة
من موقع الخوف من الله تعالى كأنه يراه ، وأن يتصرف وفق هذه
الضوابط العبادية الواعية التي تكرر مفهوم الطاعة وبأصدق معانيها ،
وحتى يكون أحسن مصداق لحقيقة هذه العبادة في مجال الصلاة
ومجال الصوم فتتضاعف حسناته ، ويحظى بالنقاء من دنس الذنوب
بحسن صلاته ، ويتقي فساد عمله بحسن صومه .

(١) الامام علي (ع)، نور الثقلين ٤ : ١٦٨ معاني الأخبار .

(٢) نور الثقلين ١ : ١٨١ . سنن أبي داود .

(٣) نور الثقلين ١ : ٥٥٣ ، مجمع البيان وكنز العمال ٤٤١٥٤ مثل ما في متن معنى .

المحسن يكرم نفسه

لا ريب أن حياة المحسن بين الناس تزخر بالمعطيات ، وتفيض بالخير من أجل الناس ، فهو في كل تصرفاته يكون محوراً لهذا العطاء في كل ميدان من ميادين الحياة العملية والفكرية والروحية على ضوء المفاهيم التي يركز عليها الإحسان . ويؤكد القرآن الكريم والحديث الشريف على دور المحسنين في بناء حياة الإحسان بين الناس ، فهم وجود متحرك دائماً في كل اتجاه يتحسس مشاعر المحتاجين ويعيش معاناتهم وآلامهم فيمد يد المساعدة في كل وقت نحوهم ، ففي ظل هذا العطاء الوارف الممتد يعيش المعوزون الحد الأدنى إن لم نقل الحياة الحرة الكريمة بفضل هؤلاء المحسنين .

ولكن المحسن مع ذلك يحتاج إلى صيانة النفس مما يضرها ويسئ إليها ، إذ لكل شيء زينة ويقابلها ضدها ، فلا يسرف المحسن في البذل والعطاء ، ولا يفرط في الاتجاه ، فقد يخطئ في التقدير أو يخونه الحظ فيعطي لغير المستحق ، على حساب المستحق ، فيقع في المحذور ، أو يمنّ على غيره في العطاء فيصبح ذلك سبباً في خسران سعيه وقد كان مشكوراً ، لأن الإحسان لا يتحقق ما لم ينسجم مع العقل في موضع الشيء موضعه ومع الفطرة السليمة في طبيعتها وطبيعتها ، لئلا يخرج عن حدود ما أراد الله تعالى .

فإذا فرط المحسن في إحسانه وأخرجه عن حد الاعتدال ، فقد شوه وجه هذا الإحسان لأن الموقع المناسب له هو الخط الوسط الذي ينطبق مع أوامر السماء ، ويسمو به المحسن إلى أفقه ، إذ عليه أن يكون حذراً حينما يؤدي عملاً قولاً كان أو فعلاً لأن أعمال الانسان مقياس لحياته ،

ودليل على معرفته ووعيه ، وتنسحب آثارها سلباً وإيجاباً على واقع حياته .

وقوله تعالى : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ .

يقول عليه السلام : « إنك إن أحسنت فنفسك تكرم ، وإليها تحسن ، إنك إن أسأت فنفسك تمتهن وإياها تغبن »^(١) .

ثمرات الإحسان في الدنيا

نستوحي بعض هذه الثمرات ضمن النصوص الشريفة التي وردت عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم في باب الإحسان الذي بدوره يترك آثاراً طيبة في حياة الانسان ، ويعمق الصلة الروحية بين العبد وربّه ، ويوطد العلاقة بين أبناء الأمة في ظلّ إحسان بعضهم لبعض ، ويوفر المناخ الخصب لبثّ روح الثقة وتثبيت الارادة في نفوس وقلوب البشر حتى تسود الأرض رحمة الله وعطفه وتفيض الحياة بالسعادة والطمأنينة والاستقرار .

وفيما يلي أدرج هذا البعض من ثمرات الإحسان :

١ - ما يدفع الأجل المعلق :

« يعيش الناس بإحسانهم أكثر ممّا يعيشون بأعمارهم ويموتون بذنوبهم أكثر ممّا يموتون بآجالهم »^(٢) .

« بالصدقة تُفسح الآجال »^(٣) .

(١) الامام علي (ع) ، غرر الحكم .

(٢) الامام الصادق (ع) ، بحار الأنوار ٥ : ١٤٠ .

(٣) الامام علي (ع) ، غرر الحكم .

٢- ما يزيد في العمر :

«من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأله في أجله ؛ فليصل رحمه»^(١).

«لا يزيد في العمر إلا البر»^(٢).

«من حسنت نيته زيد في عمره»^(٣).

«من حسن برّه بأهل بيته زيد في عمره»^(٤).

«إن أحببت أن يزيد الله في عمرك فسرّ أبويك»^(٥).

«مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام فإن إتيانه يزيد في الرزق ، ويمد في

العمر ، ويدفع مدافع السوء»^(٦).

ونخلص إلى أن الإحسان يؤدي إلى :

١ - يمنح الناس المحسنين ثقتهم بهم واحترامهم له .

٢ - تقوية العلاقات الحميمة وترسيخها بين المحسنين وبين من

يحسنون إليهم .

٣ - تغطية الأرض بالهدوء والأمن والاستقرار والعدل الاجتماعي .

٤ - تنمية روح الأخوة بين أبناء الأمة في ارساء وحدتها ، وتنامي

قدراتها على العمل والإبداع .

٥ - تحقيق مرضاة الله في الأرض وارساء حضارة الانسان فيها تحت

مظلة نظام الإحسان ومشاريعه الشاملة .

(١) رسول الله (ص)، بحار الأنوار ٧٤ : ٨٩ .

(٢) رسول الله (ص)، بحار الأنوار ٧٤ : ٨٤ .

(٣) الامام الصادق (ع)، بحار الأنوار ٦٩ : ٤٠٨ .

(٤) الامام الصادق (ع)، بحار الأنوار ٧٠ : ٢٠٥ .

(٥) الامام الصادق (ع)، بحار الأنوار ٧٠ : ٨١ .

(٦) الامام الباقر (ع)، بحار الأنوار ١٠١ : ٤ ، عن ابن الأثير في الكامل .

المعروف والصدقة من المشرك وعنه

بما أن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً فهو مفيض الإحسان ، ومصدر العطاء المحض ، فإذا عمل المشرك عملاً وأحسن ذلك العمل كإقراضه الضيف ، وإكرامه الجار ، ووفائه بالذمة ، وإعطائه في النائبة ؛ فقد أحسن في ذلك وشارك الانسانية في مسيرتها الخيرة ، ولكن ذلك لا ينفعه في آخرته ، لأن الله قد جازاه على عمله في الدنيا ، فقد يمد له في عمره ، ويمنحه صحته ، ويهيء له أسباب عيشه جزاء ذلك الذي عمله ، إذ الاسلام دين الرحمة ، دين الانسانية والعطاء ، وهو نظام الحياة الكامل يشجع على عمل الخير ويرشد إليه ، فلا يحرم العاملين من عملهم شيئاً حتى ولو كانوا مشركين أو كافرين ، ولكن هؤلاء لا حظ لهم في الآخرة ولا نصيب لهم فيها ، ولا جزاء يلحقهم سوى خلودهم في النار ، لأن الله قد جازاهم في الدنيا لقاء عملهم أعمال الخير فيها ، فحرموا من خير الآخرة ونعيم رضوان الله .

فعن سليمان بن عامر الضبي قال : «قلت : يا رسول الله ! إن أبي كان يقرى الضيف ويكرم الجار وفي بالذمة ، ويعطي في النائبة فما ينفعه ذلك ؟ قال : مات مشركاً ؟ قلت : نعم ، قال : أما أنها لا تنفعه ولكنها تكون في عقبه : إنهم لن يخزوا أبداً ، ولن يذلوا أبداً ، ولن يفتقروا أبداً» (١) .

وعن عائشة قالت : «قلت : يا رسول الله ! إن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : يا عائشة ! إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» (٢) .

وعن عدي بن حاتم قال : «قال رسول الله ﷺ : إن أباك أراد أمراً فأدركه ،

(١) كنز العمال ، ١٦٤٨٩ .

(٢) كنز العمال ، ١٦٤٩١ .

يعني الذَّكَرُ»^(١).

وقال ﷺ في صدقة الكافر : «الصدقة جُنَّةٌ عظيمة من النار للمؤمن ، ووقاية للكافر من أن يتلف ماله ، تعجل له الخلف ، وتدفع عنه البلايا ، وماله في الآخرة من نصيب»^(٢).

جود الإحسان

كثيرهم الجاحدون لهذا الذَّبع الصافي في حياة الانسان المتدفق بالخير والمحبة والصالح ، لأن الطبيعة التي جبلوا عليها ، وتأصلت في نفوسهم خبثاً وسوءاً تدفعهم لأن يقابلوا ما يسدى لهم من الإحسان بالإساءة إلى من أحسن إليهم إلا مَنْ يوقظه ضميره فيشعره بامتنان غيره عليه فيقابه بلفظة شكر على الأقل ، والجود حالة نفسية مغايرة تعتري الجاحدين وتتحكم بكيانهم فتتأى بهم عن الطريق السيوي ، فلا ينظرون إلى الآخرين إلا من خلال نظرتهم الضيقة السقيمة ، فلا يميزون بين ماهو حق وماهو باطل ، ولا يفرقون بين مَنْ أحسن إليهم وبين مَنْ أساء ، فالكلّ عندهم سواء ، يفتقدون إلى الثقة بأنفسهم فلا يقابلون الإحسان الذي أسدى إليهم بما يمثاله ، وكلما أحسنت إليهم ازدادوا نفوراً وجحوداً ، فقد سدّت منافذ الخير في نفوسهم ، وخلت ضمائرهم ومشاعرهم من كل إحساس يدفعهم لغيروا من نظرتهم ، وينصرفوا إلى التفكير بتبديل سلوكهم ، وليعيشوا مع الانسانية في بساطتها وانفتاحها على معالم النور ومواطن الحق ، فيحسنوا كما أحسن الناس إليهم ، ويتقوا بالآخرين فلا يغمطوا حقّهم ، فينكروا إحسانهم لهم ، فيحدوهم ذلك على قبح الامتنان وكتمان الإحسان .

(١) كنز العمال ، ١٦٤٩٥ .

(٢) كنز العمال ٤٥٠ : ٦ و ٤٥١ . الصدقة : باب ٢٢٤٤ «صدقة الكافر» .

ولذا يقول :

«جود الإحسان يحدو على قبج الإمتنان»^(١).

«جود الإحسان يوجب الحرمان»^(٢).

«مَن كتم الإحسان ، عوقب بالحرمان»^(٣).

الإحسان :

لا يعرف الشيء إلا بضده كما يقال ، فلا ريب إذن أن مَنْ لم يجد للمعاناة مرارتها في صبره عليها ، لم يجد للسعادة حلاوتها إذا وافته بها ، ومن لم يجد للإساءة عنده مضضاً ؛ لم يجد عنده للإحسان موقعاً . وعرفان الجميل لدى الانسان لا يتحقق ما لم يشعر بإحسان الآخرين إليه ، فلا يميز بين ماهو نافع حتى يتطلع إليه فيطلبه ، وبين ماهو ضار حتى يبتعد عنه ، فتكون الأمور أمامه ملتبسة لعدم وضوحها لديه ، فهو يتصرف على غير هدى ، ويسلك سلوكاً منحرفاً وشاذاً ، ويتهرب من الواقع في أكثر الأوقات .

فإذا أساء الانسان ولم يشعر بإساءته ؛ لم يجد لديه للإحسان موقعاً حينما يسدى إليه ، ومن كان قادراً على الإحسان ولم يسده ؛ قطع الله موجود إمكانه . وتخريب الإحسان المنّ به على مَنْ يحسن به إليه .

وهذه مجموعة نصوص تعرضت إلى هذا المعنى أو أشارت إليه :

«ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل : المتأن الذي لا يعطي شيئاً إلا بمئة ، والمسبّل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر»^(٤).

(١) الامام علي (ع) ، غرر الحكم .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن .

(٤) رسول الله (ص) بحار الأنوار ٩٦ : ١٤١ ، ل ١٠٣ : ٩١ ، تفسير العياشي .

«تصدقوا من غير مخيلة فإن المخيلة تبطل الأجر»^(١)

«من لم يجد للإساءة عنده مضضاً؛ لم ير عنده للإحسان موضعاً»^(٢).

«من قطع معهود إحسانه؛ قطع الله موجود إمكانه»^(٣).

«تمام الإحسان ترك المنّ به»^(٤).

«ترك المنّ زينة المعروف»^(٥).

«المنّ يهدم الصنعة»^(٦).

«الجود من كرم الطبيعة، والمنّ مفسد الصنعة»^(٧).

من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتري رحمته الله : «إياك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدّهم فتتبع موعدك بخلقك، فإن المنّ يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحق»^(٨).

«إن كانت لك يدٌ عند انسان، فلا تفسدها بكثرة المنّ والذكر لها، ولكن اتبعها بأفضل منها، فإن ذلك أجمل بك في أخلاقك، وأوجب للثواب في آخرتك»^(٩).

وفي مسك الختام ننهي الموضوع بقوله سبحانه :

﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١٠).

(١) رسول الله (ص) تنبيه الخواطر : ٣٦٠.

(٢) م. ن.

(٣) م. ن.

(٤) م. ن.

(٥) الامام علي (ع)، بحار الأنوار ٧٨ : ٨٠ عن كشف الغمة.

(٦) الامام الصادق (ع)، فروع الكافي ٤ : ٢٢.

(٧) الامام علي (ع)، بحار الأنوار ٧٧ : ٤٢١ عن ارشاد المفيد.

(٨) الامام علي (ع)، بحار الأنوار ٧٥ : ٩٦، تحف العقول، نهج البلاغة كتاب ٥٣.

(٩) الامام الصادق (ع)، بحار الأنوار ٧٨ : ٢٨٣، تحف العقول.

(١٠) البقرة : ٢٦٣ - ٢٦٤.

روايات عمار بن ياسر

✽ الشيخ بهضر الفريب

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن
الحُصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر
الأكبر بن يام بن عنس ، وهو زيد بن مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن
عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أبو
اليقظان العنسي^(١) ويكنى بأبي اليقظان .
كان عمار عليه السلام آدم طوالاً مضطرباً أشهل العينين بعيداً ما بين
المنكبين^(٢) .

وعمار اسم ميمون قال في القاموس : العمار الكثير الصلاة والصوم ،

(١) تاريخ دمشق ٤٣ : ٣٤٨ .

(٢) أعيان الشيعة ٨ : ٣٧٣ .

والقوي الإيمان ، الثابت في أمره ، والطيب الثناء والطيب الروائح ، والمجتمع الأمر ، إلى آخر ما قال . وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب : إستانذن على رسول الله ﷺ يوماً فعرف صوته فقال ﷺ : مرحباً بالطيب ابن الطيب إئذنوا له^(١) .

قال ابن سعد : قدم والد عمار ياسرُ بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة يطلبون أخاً لهم فرجع أخواه وأقام ياسر في مكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أمة له اسمها سُمَيَّة بنت خياط فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة فلما جاء الله بالاسلام : أسلم عمار ﷺ وأبواه وأخوه عبد الله^(٢) .

يعتبر عمار بن ياسر ﷺ من المسلمين الأوائل وهو من بين مَنْ أسلموا بدار الأرقم بن الأرقم ، وقد دعيت تلك الدار بدار الإسلام . وكان له تأثير كبير على اسلام أسرته ، فقد أسلمت هذه الأسرة في أخرج الظروف وأقسى ما مرَّ به تاريخ صدر الإسلام من حيث القلة والضعف والهوان^(٣) .

وتحملت ما تحملت من العذاب والمحن وقد صبَّت عليها قريش جام غضبها ولقنتها من فنون التعذيب ، فكانت تُخرجهم مع ثلَّة من المسلمين الأوائل إذا حميت الظهيرة ويأخذون منهم مأخذاً عظيماً من البلاء يُعذَّبونهم برمضاء مكة ، وكانوا يلبسونهم أدرعاً من حديد ويصهرونهم في الشمس^(٤) .

(١) أعيان الشيعة ٨ : ٣٧٣ .

(٢) سيرة اعلام النبلاء ١ : ٤٠٧ .

(٣) أعيان الشيعة ٨ : ٣٧٣ .

(٤) م . ن .

وبلغ العذاب مبلغاً من هذه الأسرة الكريمة فيمّر عليهم رسول الإنسانية العظيم محمد ﷺ فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» «اللهم لا تُعَذِّبْ أحداً من آل عمار بالنار» «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت» .

واستشهد والدا عمار ﷺ تحت سياط التعذيب وطعن أبو جهل والدة عمار بحربة في قلبها فكانا أول شهيدين في الإسلام ، وقد لوحظت آثار التعذيب والنار واضحة على ظهر عمار ﷺ حتى أواخر حياته^(١) .

لقد كان لهذا الصحابي الجليل دور بارز في الإسلام فشهد بدماء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وهاجر إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة . كان عمار ﷺ مجاهداً شجاعاً مُضحياً مقداماً لا تأخذه في الله لومة لائم قضى حياته كلها في سبيل الله^(٢) .

وقال فيه رسول الله ﷺ : «ثلاثة تشتاق إليهم الجنة : علي وعمار وسلمان»^(٣) .

وقال ﷺ أيضاً : «إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشته»^(٤) .

وقال ﷺ أيضاً : «أبو اليقظان على الفطرة أبو اليقظان على الفطرة أبو اليقظان على الفطرة ، لن يدعها حتى يموت أو يُنسيه الهرم»^(٥) .

وهو أول من بنى مسجداً لله عز وجل في هذه الأمة من الصحابة وكان يحمل في بناء المسجد لبنتين لبنتين ، وقد رآهم النبي ﷺ فقال : ما لهم ولعمار ! يدعوهم للجنة ويدعونه للنار^(٦) .

(١) م . ن .

(٢) م . ن .

(٣) تاريخ دمشق ٤٣ : ٣٨٥ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٣ : ٣٩١ .

(٥) تاريخ دمشق ٤٣ : ٤٠٨ .

(٦) أعيان الشيعة ٨ : ٣٧٣ .

ويعتبر أبو اليقظان عليه السلام من أصحاب الإمام علي عليه السلام ومن الملازمين له منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله ، ومن أصفياه المقربين . وقد كلفه ذلك الكثير من قبل الأمويين إلى أن أستشهد في معركة صفين مع الإمام علي عليه السلام ، وكانت له مواقف مبدئية مع الخليفة الأول ^(١) والثالث حتى كلفته مواقفه مع الخليفة الثالث أن يتعرض للضرب والشتم والإهانة فانفتق له فتق في بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، وقد طلبه معاوية مع مَنْ طلبهم من الإمام علي عليه السلام ليكف عن محاربة الإمام ليقتله ويمثّل به ويصلبه ^(٢) .
وهناك أمور مهمة بقيت شاخصة في حياة هذا الصحابي الجليل القدر والعظيم المنزلة بعد شهادته :

منها: أنه عذب في الله أيما تعذيب حتى أبت روحه الطاهرة الخروج من جسده وهم يُعذّبونه ، فطلبوا منه أن يذكر آلهتم بخير وينال من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فعل ذلك ، وجاء بعده إلى الرسول صلى الله عليه وآله حزيناً باكياً ، فسأله الرسول عن قلبه كيف يجده ؟ أجاب : مطمئناً بالإيمان ، فقال له فإن عادوا فعذ . ونزل به قرآن شرّع بموجبه التقية في الإسلام : «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...» ^(٤) .

ومنها: أن الرسول صلى الله عليه وآله في مواقف عديدة ذكر ما لم يذكره لغيره من الصحابة وهي: إخباره بشهادته ، وقد نقلت ذلك كتب الحديث السنية بأجمعها وكتب أتباع أهل البيت عليهم السلام : «عمار تقتله الفئة الباغية» . فكانت شهادة عمار في صفين لها دور كبير في إزالة الغبار وكشف الحقائق الملتبسة

(١) معجم رجال السيد الخوئي ١٢ : ٢٦٥ .

(٢) أعيان الشيعة ٨ : ٢٧٤ .

(٣) معجم رجال السيد الخوئي ١٢ : ٢٦٦ .

(٤) أعيان الشيعة ٨ : ٣٧٢ .

عن الكثيرين ورجوعهم إلى الإمام علي عليه السلام وإلتحاقهم به^(١).

والأمر الآخر - وهو المهم جداً - أنَّ عمَّاراً عليه السلام على الرغم من سابقته في الإسلام ورفقته للنبي صلى الله عليه وآله إلى وفاته وملازمته للإمام علي عليه السلام وحضوره في المعارك بأجمعها ، ودوره في الإسلام لم تنقل عنه كتب الحديث من الروايات كما نقلت لغيره ممن هو أقل منه شأنًا ، ولم يكن له مما كان لعمَّار من ذلك الشأن ، وعندما تُريد أن تبحث في الكتب عن الروايات التي رواها عمَّار عن النبي صلى الله عليه وآله تجد ذلك واضحاً . وعلى الرغم من ذلك فقد روي لنا :

١ - عن عمَّار بن ياسر قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُسلم عن يمينه وعن يساره حتَّى يرى بياض خدّه : السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله»^(٢).

٢ - عن عمَّار بن ياسر قال : «أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله ، هل أتيت في الجاهلية شيئاً حراماً ؟ قال : لا ، وقد كنتُ معه على ميعادين ، أمّا أحدهما فحال بيني وبينه سامر قومي ، والآخر غلبتني عيني»^(٣).

٣ - عن عمَّار بن ياسر قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنَّ لله ملكاً أعطاه اسماع الخلفاء وهو قائم على قبري إذا متُّ فليس أحدٌ يُصلي عليّ صلاة إلّا قال : يا محمد فلان ابن فلان صلّى عليك فيصلي الربُّ على ذلك الرّجل بكلِّ واحدة عشرًا»^(٤).

٤ - عن عمَّار بن ياسر قال : «كنتُ أنا وعليّ رفيقين في غزوة ذات العُشيرة فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وأقام بها رأينا أناساً من بني مُدلاج

(١) أعيان الشيعة ٨ : ٣٧٣ .

(٢) المسند الجامع ١٣ : ٤٦٦ .

(٣) مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٦ .

(٤) سُبُل الهدى والرشاد ١٢ : ٤٢٧ .

يعملون في عين لهم في نخلٍ فقال عليّ : يا أبا اليقظان ! هل لك أن تأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون ؟ فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشنا النوم فانطلقت أنا وعليّ فاضطجعنا في صورٍ من النخل في دقاء من التراب فنمنا ، فو الله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يُحركنا برجله ، وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذٍ قال رسول الله ﷺ لعليّ : يا أبا تراب ! لم يُرى عليه من التراب قال : ألا أحدتكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا بلى يا رسول الله . قال : أحيمرُ ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا عليّ على هذه يعني قرنه حتى تبلى منه هذه يعني لحيته»^(١) .

٥ - عن عمار بن ياسر قال : «أن النبي ﷺ كنى علياً رضي الله عنه بأبي تراب ، فكانت من أحب كناه إليه»^(٢) .

٦ - عن عمار بن ياسر قال : «قال رسول الله ﷺ : يا علي ! إن الله زينك بزينة لم تزين الخلائق بزينة هي أحب إلى الله منها ، الزهد في الدنيا وجعل الدنيا لا تنال منك شيئاً»^(٣) .

٧ - عن عمار بن ياسر قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ : الله زينك بزينة لم يُزين العباد أحب إليه منها وهي زينة الأبرار : الزهد في الدنيا جعلك لا تملك من الدنيا شيئاً وجعلها لا تنال منك شيئاً ووهب لك حب المساكين»^(٤) .

٨ - عن عمار بن ياسر قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب : إن الله تبارك وتعالى زينك بزينة لم يُزين العباد بزينة مثلاً ، إن الله تعالى حبيب إليك المساكين والدنو منهم وجعلك إماماً ترضى بهم وجعلهم لك أتباعاً يرضون

(١) المسند الجامع ١٣ : ٤٧٦ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٠١ .

(٣) فردوس الأخبار ٥ : ٤٠٩ .

(٤) مجمع الزوائد ٩ : ١٢١ .

بك فتطوبى لمن أحبك وصدق عليك ، وويل لمن أبغضك وكذب عليك ، فأما من أحبك وصدق عليك فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في جنتك وأما من أبغضك وكذب عليك فإنه حق على الله عزوجل أن يوقفهم مواقف الكذابين»^(١) .

٩- عن عمّار بن ياسر قال : «قال رسول الله ﷺ : يا علي ! طوبى لمن أحبك وصدق عليك وويل لمن أبغضك وكذب فيك»^(٢) .

١٠- عن عمّار بن ياسر قال : «سمعت أبا ذر جندب بن جنادة يقول : رأيت رسول الله ﷺ أخذاً بيد علي فيقول : أنت أخي وصفي ووصيي ووزيرى وأميني ، مكانك مني مكان هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، من مات وهو يحبك ختم الله عزوجل له بالأمن والإيمان ومن مات وهو يبغضك لم يكن له نصيب من الإسلام»^(٣) .

١١- عن عمّار بن ياسر -وهو يناظر عمرو بن العاص في صفين- قال : «ألسنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال لعلي : من كنت مولاه ؛ فعليّ مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٤) .

١٢- عن عمّار بن ياسر قال : «قال رسول الله ﷺ : اللهم ! من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي ، وولايتي ولاية الله»^(٥) .

١٣- عن عمّار بن ياسر قال : «قال رسول الله ﷺ : اوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب من تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولي الله عزوجل ، ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله تعالى ومن أبغضه فقد

(١) مجمع الزوائد ٩ : ١٢٢ .

(٢) كنز العمال ١١ : ٦٢٢ .

(٣) ينابيع المودة ، الباب الثاني والأربعون : ١٢٤ .

(٤) كتاب صفين لنصر بن مزاحم : ١٨٦ .

(٥) كنز العمال ١١ : ٦١١ .

أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل»^(١).

١٤ - عن عمار بن ياسر قال : «قال رسول الله ﷺ : يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس ، إنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من الهدى»^(٢).

١٥ - عن عمار بن ياسر قال : «قال رسول الله ﷺ : يا علي استقاتك الفئنة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني»^(٣).

١٦ - عن عمار بن ياسر : أنه قال لسعد بن أبي وقاص : مالك لا تقاتل مع علي ؟ أما سمعت النبي ﷺ يقول ما قال فيه ؟ قال : يخرج قوم من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلهم علي بن أبي طالب ثلاث مرات . قال : إني والله لقد سمعته ولكني أحببت العزلة حتى أجد سيفاً يقتل الكافر ويحسو عن المؤمن»^(٤).

١٧ - عن عمار بن ياسر يقول : «يا أبا موسى أنشدك الله ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول : من كذب علي متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار ؟ وأنا أسألك عن حديث فإن صدقت وإلا بعثت عليك من أصحاب الرسول ﷺ من يُقررك به ، أنشدك الله أليس إنما عناك رسول الله ﷺ أنت نفسك ؟ فقال : إنها ستكون فتنة بين أمتي أنت يا أبا موسى فيها نائماً خير منك قاعداً وقاعداً خير منك قائماً وقائماً خير منك ماشياً فخصك رسول الله ﷺ ولم يعم الناس قال : فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئاً»^(٥).

(١) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ .

(٢) كنز العمال ١١ : ٦١٢ .

(٣) م . ن .

(٤) جامع المسانيد والسنن ٩ : ٣٤٧ .

(٥) جامع المسانيد والسنن ٩ : ٣٤٩ .



نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

الاسلامية في ايران أمضى فيها أسبوع واحد التقى خلالها كبار المسؤولين والقادة وعلى رأسهم سماحة قائد الثورة الاسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) ورئيس الجمهورية السيد محمد خاتمي ورئيس مجلس الشورى الاسلامي الشيخ مهدي كروبي

الجمهورية الاسلامية في ايران

طهران والقدس مدينتان

تلبضان بقلب واحد



في اليوم الأول لانطلاق شرارة الانتفاضة الجديدة في فلسطين المحتلة حلّ رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الفلسطينية السيد (خالد مشعل) ضيفاً عزيزاً على الجمهورية

وغيرهم من كبار المسؤولين .
الزيارة حملت معها أكثر من
مغزى سواء في توقيتها أو في
الفترة التي استغرقتها ، إذ جاءت
متزامنة مع حركة الشارع
الفلسطيني الاحتجاجية على
تدنيس المسجد الأقصى من قبل
الزعيم الصهيوني (اريل شارون)
ومع تصميمه على الانطلاق في
انتفاضة جديدة يلحق فيها
بحجارتة العدو درساً لن ينساه ،
وجاءت في وقت توجهت وفود
فلسطينية أخرى إلى باريس
والقاهرة حيث التقى رئيس
السلطة الفلسطينية ياسر عرفات
مع وزيرة الخارجية الأميركية
مادلين أولبرايت ومع الرئيس
الفرنسي جاك شيراك ومع رئيس
وزراء العدو ايهود باراك ومع
الرئيس المصري حسني مبارك
في اجتماعات أقل ما يمكن أن
توصف بأنها طعنة من الظهر
للانتفاضة العارمة رغم أنه حاول
أن يصر على مواقفه في الدعوة
إلى قيام لجنة دولية لتقصي
الحقائق في الجرائم البشعة التي
ارتكبها جيش الاحتلال ، وهو

موقف لا يسمن ولا يغني من جوع
لأنه يجلس مع من يريد بالشعب
الفلسطيني الشر ، لأنه يجلس مع
باراك الذي كان جيشه - في نفس
الوقت - يصوب فوهات بنادقه
نحو صدور أبناء الشعب
الفلسطيني ويعمل فيهم قتلاً
وجرحاً ، ولأنه يجلس مع
اولبرايت التي لم يتحرك فيها حتى
ضمير الأنوثة والانسانية
لتستنكر ما يتعرض له الشعب
الفلسطيني ولا نشك في أنها
شاهدت اللقطة التي سقط فيها
الطفل محمد الدرة شهيداً في
حضان والده ، وهو مشهد أثار
الحس الانساني حتى في
المجرمين ، وهو (عرفات) يعلم
أنها غير محايدة ومنحازة تماماً
إلى الجانب الاسرائيلي ولا حاجة
لأن يعود إلى ارضيفها ليعرف هذه
الحقيقة إنما تجدد الموقف لما
افشلت اجتماع مجلس الأمن
الدولي الذي عقد أكثر من مرة
لفرض مناقشة الاعتداءات
الصهيونية على الشعب
الفلسطيني الأعزل .
عود على بدء نقول أن السيد

مشعل أحسن الاختيار حينما توجه إلى طهران والدم يغلي في عروق الفلسطينيين غيرة على الأقصى لأنه يعلم أن في طهران غيرة اسلامية كتلك التي تتحرك في أعماق الفلسطيني نفسه ، وفي طهران حمية على المقدسات الاسلامية غير موجودة عند غيرها من الدول حتى تنتسب إلى فلسطين بصلة القربى القومية، وفي طهران مازال نداء الإمام الخميني الراحل عليه السلام يجلجل في الارحاء بأن اسرائيل غدة سرطانية لابد وأن تمحى من الوجود ، وبين طهران والقدس علاقة وثيقة لا يمكن أن تنفصم عراها بعد أن جعلت من فلسطين شعارها الأول وهدفها الأول الذي لا محيد عنه ، وبين طهران والقدس وشائج نسجت خيوطها رابطة الدين على مر تاريخ طويل ، وبين طهران والقدس عقدين زمنيين من التلاحم المشترك والمصير المشترك بحيث ترى طهران كمالها في تحرير أولى القبلتين ، وأن أي جرح في القدس هو جرح في طهران .

مشعل والقادة الفلسطينيون وحتى عرفات نفسه يعرف أن الدعوات الصادرة من طهران لتحرير القدس والتعبئة من أجل هذه المدينة المقدسة ليست من باب المجاملة والمسايسة كما هو حال الكثير ممن ادعى وتبني من الأنظمة العربية وكانت النتيجة : المزيد من الضياع والمزيد من الشتات والمزيد من التنازلات حتى دب اليأس إلى النفوس وأخذ العدو يخترق الأجواء المحيطة ويتمدد لا بصورة احتلال هذه المرة وإنما على هيئة البعثات الدبلوماسية والتجارية والاقتصادية والمستنديات المتنوعة .

في ظل هذا التهافت بقيت روح المقاومة وقادة عند الشعوب ، ولكن تحتاج هذه الروح إلى من يمددها بعوامل القوة ، فكانت طهران هي المرشحة لأداء هذا الدور المشرف ، وفعلاً نهضت بالدور رغم ما تعرضت وتعرض له من ضغوط شديدة من الأطراف الدولية التي تحاول فرض الواقع بالقوة .. نهضت

بالدور قبل أن يتاح لقيادتها أن تستلم زمام الأمور حينما كانت في المنافي توزع الجهد والنشاط في إتجاهين طهران والقدس معاً، إذ كانت بيانات الإمام الخميني وهو في المهجر تهتم بفلسطين بنفس الدرجة التي كانت تهتم بإيران. وهكذا ظلت فلسطين ليست مجرد شعار وإنما روحاً في أعماق إيران الإسلامية قيادية وشعباً، وليست موضوعاً للاستهلاك المحلي كما فعلت الكثير من البلدان الأخرى، وإنما هي على رأس الموضوعات التي دفعت من أجله ثمناً غالياً ومع ذلك فإنها غير مستعدة للتنازل عنه حتى نهاية المطاف.

من هذا المنطلق جاءت دعوة الجهاد التي أطلقها قائد الثورة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) لتضاف إلى مواقفه السابقة المشرفة في خدمة القضية الفلسطينية، وإلى مواقف مؤسس الجمهورية الإسلامية المعروفة ومنها اعلانه الشهير «يوم القدس» الذي جعل الجمعة الأخيرة من شهر رمضان

المبارك من كل عام. ومن هذا المنطلق أيضاً جاءت دعوة الرئيس خاتمي لعقد اجتماع وزاري لدول منظمة المؤتمر الاسلامي لانقاذ ما يمكن انقاذه أولاً، وللعمل على التحرير لاحقاً عبر تحشيد الموقف.

من خلال استغلال الظرف الحساس الذي يعيشه الشعب الفلسطيني وهو ينهض من جديد ومعه حجارته التي لن يتخلى عنها رغم ما يقدمه من تضحيات على مذبح القدس.

* * *

□ فلسطين

القضية الفلسطينية .. تسوية

أم تسوية ؟

شهدت القضية الفلسطينية خلال الشهور الأخيرة محاولات تسريع لانهاؤها واسدال الستار على أكثر نصف قرن هي فترة الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين.

وطوال هذه المدة كان تكريس الاحتلال هو العنوان الكبير الذي تظافرت الجهود الاستكبارية

والدولية لفرضه على الأمة الإسلامية وعلى المنطقة كأمر واقع لا يمكن ازاحته أو التلاعب به. ولم يُغض الطرف عن هذه الغاية حتى حينما ترك بعض القادة الفلسطينيين العمل المسلح وخاضوا في مفاوضات طويلة استهدفت الاستنزاف قبل أن تستهدف ايجاد تسوية عادلة للقضية أو حلّ منصف لها.

وفعلًا نجحت الخطة وتراجعت المطالب الفلسطينية من الدولة الكاملة ذات السيادة إلى مسمّى الدولة التي هي اشبه حتى الآن بالوهم لأنها حتى وإن أعلنت في موعدها المقرر فهي تفتقر إلى السيادة الحقيقية وتفتقر إلى الأمن الحقيقي وإلى الاستقلال وإلى مقومات الدولة الأخرى ، لأنها ستكون ولادة مشوهة نتيجة لسلوك غير طبيعي من ام غير شرعية ، ذلك لأن اسرائيل لا تتنازل عن القدس مطلقاً عبر الأساليب الدبلوماسية التي تتبعها حالياً بعض القيادات الفلسطينية وعبر المفاوضات العقيمة التي بدأت من اوسلو ومديد ولم تنته

بكامب ديفيد ، حيث لوحظ أن تل أبيب لا تعيد شيئاً من الأرض المحتلة إلا بعد أن تقبض الثمن ، وهي لا تعيد القدس حتى وإن كان ثمن ذلك أمنها ، أي حتى لو تعهدت السلطة الفلسطينية بحماية الكيان الصهيوني والدفاع عنه وتوفير الأمن له ، فان هذا الأخير غير مستعد البتة في اعادة القدس لما لهذه المدينة من أهمية قصوى ، وهي الرمز التاريخي والجغرافي والديني الذي يتقل احدئ كفتي الميزان في مقابل كل الأرض المحتلة الأخرى ، وبالتالي فان الغالب هو من يمسك بمفتاح هذه المدينة المقدسة .

نقول هذا ولدينا الاثبات على ذلك في كيفية التعامل الاسرائيلي مع الانسحابات التي تمت حتى الآن من اجزاء من الضفة والقطاع ، فهي تحاول مثلاً وبعد تسويق ومماطلة أن تنسحب في كل مرة من اراضٍ قفر خالية ، ثم تأتي لتكسرس وجودها عبر المستوطنات في المدن والمناطق الاستراتيجية ، ثم انها خططت وقبل مفاوضات الوضع النهائي

لمستقبل مدينة القدس حينما عرضت منح قرية (ابو ديس) القريبة من القدس على السلطة لتجعلها عاصمة دولتها أو لكيانها حسب ما يريد لها ذلك الكيان الصهيوني (فهو لا يريد للدولة أن تقوم حتى وإن كانت بالآوصاف التي ذكرنا من غياب السيادة والأمن).

والأمر الآخر الذي ازاح كل الأوراق وكشف كل الوجوه هو الاعلان الاميركي عن الرغبة في نقل السفارة الاميركية من تل أبيب إلى القدس، هذا الاعلان الذي جاء مباشرة بعد فشل قمة كامب ديفيد، ليصبح (الراعي) لعملية التسوية (ذئباً) فيها يحاول أن يقتنص ما يشاء من (الحمل) الفلسطيني لضعف موقفه، مما كشف بأن الأمر مدبر وإن القدس خطأ أحمر على الفلسطينيين، وأنه سيُصار إلى الضغط على المفاوض الفلسطيني من أكثر من طرف دولي من أجل اقناعه بأقل من القدس أو خسران الصفقة كاملة، ومعلوم ان الجهة التي دخلت في المفاوضات دخلت

وهي ضعيفة لا أرض ولا سلاح ولا سند، وبالتالي فإنها إن أرادت أن تحصل شيء فلا بد من أن تعطي ما هو أكثر، وليس لدى السلطة الفلسطينية ما تعطيه مقابل جزء من القدس وليس كلها ولهذا فهي ممنوعة عليها حتى وإن استمرت المفاوضات دهرأ، خاصة بعد أن كشفت واشنطن وبشكل صريح عن موقفها، ولا ينفع السلطة ورئيسها ياسر عرفات استجداء المواقف عبر جولات دورية في عدد من بلدان المنطقة والعالم، لأن المخلصين يطعنون في نزاهة الرجل بعد أن غطس إلى أنفه في وحل المفاوضات البائسة، والذين على شاكلته هم شركائه في كل خطواته وما وصل إليه وليس لديهم ما يعطونه، أما الأطراف الدولية فلها مصالحها ومعادلاتها الخاصة بها حيث تقدم الدعم بقدر ما يتحقق لها من المصلحة، ومصحتها بالتأكيد ليست عن عرفات.

وإذا كان التشاؤم مسيطراً على الموقف حتى الآن فإن له

اسبابه التي لم تأت من فراغ ، وإنما من سنوات المفاوضات وسلسلة التنازلات التي قدمتها قيادة عرفات على حساب القضية الأساسية ، ولكن هناك أيضاً أكثر من نافذة للتفاوض يمكن الاطلالة من خلالها إلى موقف الشعب الفلسطيني الذي له الكلمة الفصل ، والذي يعلنها في كل جمعة عندما يصلي ابناءؤه في القدس الشريف ، والذي يقف كل يوم ليدافع عن شرفه وكرامته وارضه ودينه بوجه الاطماع الصهيونية مهما تعددت اشكالها ولبوسها : مستوطنين .. متطرفين .. يهود .. متشددين .. الخ .

أجل الكلمة للشعب ولمن بمثله حقيقة من المنظمات والحركات التي اثبتت حتى الآن بأنها حريصة على الدين والارض والوطن والمقدسات .

* * *

□ العراق

الشعب يكتوي بأكثر من نار
تواصل لعبة الشد التي

تمارسها السلطات العراقية مع الأمم المتحدة والمجتمع الدولي من أجل العمل على الغاء العقوبات المفروضة عليها منذ نحو عشر أعوام ذاق خلالها الشعب العراقي الأمرين : جوع مفرط وسيف مسلط .

وتأتي هذه المحاولات في وقت أبدت الكثير من الدول ومنها دولاً لها ثقلها في ساحة القرار الدولي وفي اروقة الأمم المتحدة ضجراً من الوضع القائم لأسباب عديدة غير خافية لعل على رأسها اقتناص الفرصة للفوز بحصة الأسد من مشاريع عراق المستقبل الذي سيحتاج إلى سنوات طويلة قبل أن يعود إلى سابق وضعه وإلى انفاق عشرات المليارات من الدولارات لكي يستعيد شيئاً من عافيته ، ومن الأسباب أيضاً مزايدات صراع الأقطاب الدولية التي تحاول تبتز الآخر من خلال المواقف من بعض رؤوس القضايا التي تشغل العالم ، وإلا أين كانت هذه المواقف طوال عقد من الحصار ؟ وأينها هي الآن من دولٍ أخرى

تحتاج لمواقف مماثلة تنبئ من وطأة عقوبات مماثلة؟! أما الشعب والجوع والمرض والتخلف الذي أصابه فهو ربما آخر ما يفكر به كبار قادة العالم ، هذا إذا أحسن الظن ، وإلا من المستبعد جداً أن يكون الشعب العراقي وآلامه قد ارتقت ليل موسكو أو بكين أو باريس ، أو أن الأمراض التي تفتك بالعراقيين أو إحصائيات الوفيات من الأطفال وما تعرضه شاشات التلفاز عن وضع العراقيين هي التي حركت ضمائر السياسيين للمناداة برفع الحصار عن الشعب العراقي .

أجل ، المواقف الدولية لا تأتي من فراغ ، كما أنها لا تأتي من أحاسيس عاطفية ، بل أن المصلحة هي الدافع لأي موقف من هذا القبيل ، وإذا كان ثمة تعاطف مع العراق لرفع العقوبات عنه فهو لا يخرج عن هذه القاعدة ، وبالطبع فإن هناك نداءات واحتجاجات تقع في مناطق مختلفة من العالم تدعو إلى عدم تجويع الشعب العراقي أكثر مما هو عليه الآن ، وهذه الدعوات لا

تمت إلى المواقف السياسية بصلة وإنما هي عواطف إنسانية تتفجر على شكل مظاهرات يعبر بها الرأي العام عن رفضه لاستخدام عصا التجويع من أجل الضغط على نظام معين لتقديم المزيد من التنازلات .

ورغم أن هذا النمط من التعبير جاء متأخراً أيضاً وبعد أن فتك الوضع المتردي للشعب العراقي بمئات الآلاف من العراقيين ، ورغم أنه كما يؤثر على القرار الدولي الذي يستبطن أهدافاً لا بد أن تتحقق قبل أن يترك الشعب العراقي لحاله . ورغم أنه لا يرقى إلى مستوى نصرته الشعب العراقي في كل محنة التي يعاني منها ، إلا أنه وبالتأكيد أفضل من الصمت المطبق الذي طال عقداً من الزمن أو أكثر ، ذلك أن محن الشعب العراقي كثيرة والجوع إحداها وقد جاءت متأخرة نسبياً عن الأزمات الأخرى التي يعيشها هذا الشعب ، كأزمة الحرية التي يُعبّر عنها بأنها أثنى من رغيف الخبز ، فإذا كان الجوع قد أثر خلال السنوات العشر الأخيرة

على اجساد العراقيين وقضى على اعداد كبيرة منهم، فان القيود التي يرفل بها هذا الشعب منذ عشرات السنوات قد أثرت على ارواح العراقيين وصاغتهم بقلب السجين المقيد الذي أمضى ربحاً طويلاً من العمر في غياهب السجن، بل أن الشعوب قد تستطيع أن تقاوم الجوع لو كان هو المشكلة الوحيدة في حياتها، لكنها تتقهقر حينما تتظاهر المشاكل وتتكالب الولايات، وهذا ما وقع على الشعب العراقي في حاضره، وكان من نتائجه التخلف والفقر وهجرة العقول والطاقات ومختلف شرائح الشعب إلى الخارج ليس بحثاً عن الطعام فحسب وإنما عن مجال لا طلاق العنان للفكر واللسان والقلم.

مسكين هذا الشعب الذي يأكل من جوعه حاكمه ويجلس على مائدته القاصي والداني لكنه لا يستطيع أن يمد يده إلى الطعام لأن هناك من يحمل السيف ليضرب عنق كل من تسوّل له نفسه أن يأكل أكثر مما يلقي إليه

عبر ما يُعرف بصيغة «النفط مقابل الغذاء»!، فالكل يراهن ويزايد ويحصد سوى الشعب: الولايات المتحدة جعلت الموضوع العراقي وعلى طول عشر سنوات أحد برامج شخصياتها المرشحة للرئاسة؛ فرنسا تبحث عن مصالحها في بغداد؛ موسكو لها مصالح قديمة وعلاقات قديمة؛ بكين لها حساباتها مع القوى الدولية الأخرى والقضية العراقية ساحة مفاوضات، واشنطن وموسكو - مرة أخرى - على طاولة مفاوضات الشرق الأوسط وتسوية القضية الفلسطينية، ولا يمكن لها أن تسوئ وبجوارها شعب يقظ، وإذا كانت السلطة المستبدة لا تكفي لوحدها في كبت تطلعات هذا الشعب، فليكن إلى جوارها الجوع وليكن الموت من أجل تمرير المشاريع في المنطقة ورسم خريطتها بالشكل الذي يراى لها لا بما يريد أبنائها.

وإذا كان ثمة خلاف على طريقة التجويع المتبعة ومدى فاعلية استمرارها، فإن الاجماع

هو سيد الموقف في أي مخطط
موجه ضد المنطقة لتسوية
القضية الفلسطينية حتى لو كان
شعب كالشعب العراقي هو
الضحية .

* * *

□ الشيشان

فطيئة الروس .. إلى متى ؟

بعد أكثر من عام على الهجوم
الذي شنته القوات الروسية على
الأقليم المسلم (الشيشان) ،
مازالت موسكو تعاني من تبعات
هذا الغزو وتحمل الخسائر تلو
الخسائر في صفوف قواتها وهو
ما كان متوقعاً منذ أن قررت
القيادة الروسية أن تقحم نفسها
في هذه المعركة الخاسرة .

وإذا حصلت روسيا بالفعل
على الأرض بعد صراع مرير
وطويل وبعد الخسائر التي منيت
وتمنى بها فان ذلك لا يمكن أن
يكتب لها في سجل الانتصارات
خصوصاً وأن المعركة لم تنته
بعد وأن الشعب الشيشاني
مصمم على الجهاد حتى استعادة

كامل أرضه واقامة حكم الله
عليها .

لكن المعروف ان موسكو لم
تستطع حتى الآن احتلال كل
الأرض ، فهناك المناطق الجبلية
التي ينطلق منها المجاهدون
لايقاع ضربات بالقوات الروسية ،
فضلاً عن ان الاحتلال يحد ذاته لا
يعد نصراً خصوصاً إذا كانت
القوات المحتلة تتبع سياسة
الأرض المحروقة وابادة الحرث
والنسل كما فعلت الروس في
الشيشان ، اصف إلى ذلك عنصر
التكافؤ المعدم بين القوتين :
القوة الروسية الجبارة التي تمتلك
مختلف أنواع أسلحة الدمار
والفتك وبين شعب مسالم لا يملك
إلا بعض السلاح البسيط ؛ ففي
معركة غير متكافئة مثل هذه لا
يمكن أن توصف القوة المتفوقة
بأنها منتصرة والضعيفة بأنها
مهزومة ، هذا إذا سلّمنا بأن
الصراع بين موسكو وغروزني
قد انتهئ إلى الأبد وان
الشيشانيين قد القوا السلاح
واستسلموا للأمر الواقع ، بينما
تؤكد الوقائع على الأرض بأن

الأمر ليس كذلك وان الشعب الشيشاني ماضٍ في قراره لتلقين موسكو درساً ثانياً وثالثاً ورابعاً حتى تؤوب إلى رشدتها .

العنصر الآخر الذي لا يمكن التغاضي عنه في الأزمة الشيشانية الطويلة عنصر المشردين الذين هاجروا إلى الأقاليم المجاورة وعلى الخصوص إلى انغوشيا حيث لا زال الكثير منهم ورغم مرور فترة طويلة على التشريد والهجرة يعيش في اوضاع بائسة ومزرية لم تستطع الدولة الروسية أن توفر لهم أدنى متطلبات الحياة الكريمة . هذا العنصر يضاف إلى المؤشرات الأخرى ليدل على ضعف الانتصار الروسي - ان صَحَّ التعبير - في الشيشان حيث لم تستطع موسكو حتى الآن اعادة الحياة إلى سابق طبيعتها بعد أكثر من عام على الهجوم .

والأهم من هذا كله في تقييم الوضع الروسي في الشيشان هو قدرة المقاتلين على الوصول إلى عاصمتهم المحتلة غروزني لضرب القوات الحكومية ، وإذا

كانت قوة المجاهدين قادرة على الوصول إلى العاصمة التي يفترض بها أن تكون محصنة لأنها الرمز في هذه المعركة الطويلة ، فانها قادرة أيضاً على الوصول إلى المدن الأخرى المهمة وإلى أية نقطة في الشيشان لتوجيه ضربة إلى القوات الروسية وبأقل الخسائر في صفوفها . ولاشك في أن موسكو غير جاهلة بهذا الخطر المحدق بها والذي قد ينقض عليها في كل حين ، ولذلك تقوم بقصف دوري مستمر للمناطق الجبلية التي تحتمل وجود المقاتلين الشيشانيين فيها ، ويبدو أن هذه الضربات الوقائية لم تحقق اهدافها في ثني المجاهدين عن القيام بهجماتهم على أية بقعة من أرضهم الشيشان لتحريرها ثانية في غضون أقل من عقد من برائن الروس .

وبالمقابل هذا العجز عن تركيع هذا الشعب المجاهد عمدت موسكو إلى استخدام اسلوب قديم اتخذته ذريعة العام الماضي حينما أن تهاجم الشيشان ، وهو

القيام بتفجيرات في مختلف المناطق الروسية واتهام الشيشانيين بها لتثويهِ صورة هذا الشعب في اذهان الرأي العام وللقيام - ربما - بما هو أبشع مع هذا الشعب ، لتكون هذه الاتهامات تغطية لأي عمل تقوم به القوات الروسية مستقبلاً ضد الشيشان رغم ان المجاهدين نفوا أية علاقة لهم في التفجيرات السابقة التي برّر الجيش الروسي دخوله للشيشان بسببها أو التفجيرات الجديدة .

لكن القيادة الروسية يبدو انها أدركت حجم الخطأ الذي كررته أكثر من مرة مع الشيشان ، لكنها تخطئ إذا فكرت مرة أخرى بعلاج المشكلة بالطرق السابقة واستخدام العنف ضد الشيشانيين ، لأن وجود هذا الشعب عريق ولم تستطع أن تنل منه الفترات الأكثر ظلمة في تاريخ القوقاز حينما حكم الاتحاد السوفيتي السابق بقبضة حديدية، وإذا كانت القيادة الجديدة لا تتذكر جيداً تلك الحقبة، فانها تتذكر - دون شك - السنوات

الستة الأخيرة حينما عاد الشيشانيون مظفرين واسسوا حكومتهم المستقلة ، وإذا كانت هذه القيادة تريد المضي قدماً في خططها السابقة فانها لن تجني إلا المزيد من الدمار والتخلف والضحايا وخسران السمعة بما لا يليق بها كدولة كبرى كانت في يوم ما تقارع الغرب وتقف بوجه امتداده، لأنها تعلم ان للشيشان وجود لا ينتهي وقد ثبت ذلك خلال العام الذي مضى على غزو الشيشان في عهد بوتين والاعوام التي سبقتة في عهود أسلافه .

* * *

□ على هامش أوضاع السوق

النفطية

آمال مفقودة وآلام معقودة

حينما تأسست منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك) في بغداد عام ١٩٦٠م أعلن أن قيام هذه المنظمة جاء كرد من البلدان المنتجة على تخفيض أسعار النفط بعد أن لجأت الشركات إلى تخفيض هذه الأسعار عدة مرات

خلال فترة قصيرة ، مما أدى إلى الحاق خسائر فادحة بالبلدان المنتجة .

وقد استطاعت المنظمة بالفعل من أن تثبت الأسعار وتقف أمام استمرار انهيارها كخطوة أولى في عملها وفي انجازاتها باعتبار أن السعر كان الهدف من التأسيس ، ثم انها عمدت إلى معالجة مجمل القضايا النفطية عبر اجتماعاتها الوزارية الدورية وعبر الاستشارات والمفاوضات المستمرة .

وعلى مدى العقود الأربعة الماضية من التأسيس كان للمنظمة اخفاقات كما كان لها نجاحات على صعيد خدمة المنتج وحتى خدمة المستهلك نفسه وهو الغرب والدول الصناعية التي تدور عجلة اقتصادها وصناعاتها بهذه المادة الحيوية الرخيصة .

المنظمة لم تعقد طوال سنوات تأسيسها وقبل قمتها الأخيرة إلا قمة واحدة التأمت في سنة التأسيس ، وربما لم تجد ثمة حاجة للاجتماع ثانية كل هذه

المدة لأن الأمور كانت تسير على ما يرام وعلى ما فيه رضا للطرفين المنتج والمستهلك ، وإن كنا لا نؤيد هذا الرأي لأن التاريخ القريب ما يزال ماثلاً أمامنا حينما تدنّى سعر البرميل إلى نحو ثمانية دولار وأصبح أزهى من سعر الماء في الوقت الذي يعتبر عصب الحياة في معظم الدول المنتجة وشريانها الذي يمدّها بكل مقومات البقاء والاستمرار ، وكان للجهود الفردية والثنائية والثلاثية دور أكبر مما كان للمنظمة في تعديل الأسعار حينها ، بل كان لابد لها أن تعقد قمتها الثانية في ذلك الوقت بالذات لكي تعالج الموقف بالتي هي أحسن وتنقذ الأسعار وتضع حداً للتهايوي ، لكنها لم تفعل ذلك وهي ربما أجّلتها لما بعد حيث عقدت قمتها في فنزويلا غير أن المشكلة إن الاجتماع جاء بعد ارتفاع الأسعار ، وبعد أن اتفق وزراء النفط على رفع الانتاج بمقدار (٨٠٠) ألف برميل في اليوم دون أن ينجح هذا الحل في لجم ارتفاع الأسعار ، والاجتماع في

مثل هذا الظرف لا يجعل المتابع - وللأسف - يحسن الظن في دوافع هذا الاجتماع ، لا سيما وأن تدخل الجهات الأخرى (الولايات المتحدة على وجه التحديد) أصبح واضحاً للعيان حينما كانت تحت البلدان النفطية التي ترتبط سياساتها بشكل أو بآخر بواشنطن والغرب لضخ المزيد من الانتاج من أجل كسر السوق والعودة بالأسعار إلى مستويات منخفضة وضع لها وزراء الاوبك سقفاً لا يتجاوز الـ (٢٥) أو الـ (٢٨) دولار .

هذه الأصوات وعلى رأسها صوت وزير الطاقة الأميركي ريتشاردسون ارتفعت بحيث بات الوزير النفطي يتلقى الاتصال الهاتفي من واشنطن وهو يعقد اجتماعه في فيينا للبحث في الانتاج ، لكن أي من عوامل الضغط الأميركية والغربية لم تتحرك ولم تحرك ساكناً حينما كانت أصوات المخلصين تبج وهي تدعو إلى خفض الانتاج لأن السعر تدنى إلى عشرة ثم تسعة ثم ثمانية دولارات ، وأصبحت

كلفة الانتاج والتسويق تفوق كلفة البيع ، وكادت المشاريع العمرانية والخطط الخمسية أن تتوقف في البلدان التي تعتمد بصورة أساسية على النفط في بناء اقتصادها ومشاريعها الداخلية وفي ادارة شؤونها في كل مناحيها ومجالاتها من رواتب الموظفين إلى دعم السلع الأساسية لتلبية حاجة الطبقة الضعيفة والمحرومة إلى تشييد المشاريع الكبرى لتأمين مستقبل زاهر للبلاد .. حينما كان المنتجون يثنون من هذا الظرف العسير والخطير في نفس الوقت لم يرف للمستهلك جفن وهو يقضي شتاءً دافئاً بفعل بترول غيره ، فيما تعمل عجلات مصانعه على مدار اليوم لانتاج ما يمكن استهلاكه في البلدان النفطية وغير النفطية .

البلدان النفطية وتلك التابعة لمنظمة اوبك تحديداً تحتاج إلى استقلال في القرار قبل كل شيء لكي تفكر بتحقيق مصالحها أولاً وقبل كل شيء خاصة وأن النفط مادة معرضة للنضوب ، فإذا لم

تستغل هذه المادة على أفضل وجه لخدمة الشعب الذي يمتلكها بما يوفر له ولأجياله اللاحقة الضمانة اللازمة للعيش بكرامة فإن هذه الثروة ستصبح لعنة على أصحابها لأنها كانت وستكون السبب لاستحقاقات تسدها البلدان المنتجة نفسها دون أن تكون المستفيدة من منافعها، وما الحروب التي شهدتها المنطقة وآخرها (حرب النفط) التي وقعت أحداثها إبان الغزو العراقي للكويت وأثناءه إلا واحدة من تلك الاستحقاقات التي دفعت شعوب النفط أثمانها، كما أن التخلف الذي ما يزال سائداً عند هذه الشعوب هو استحقاق آخر فرض عليها لكي لا تصبح في المقدمة وبالتالي تعجز عن استعادة مقومات حضارتها التي جعلتها في يوم من الأيام في طليعة الحضارات.

هذان الاستحقاقان لوحدهما كافيان لكي يحرّكان في ضمير المنتج النفطي (وأقصد به الزعامة السياسية التي تمتلك مفتاح التصرف بهذه المادة الثمينة)

احساساً يجعله ينتفض من أجل الامساك بقوة بهذه الثروة وعدم التفريط بها وضخها في السوق من أجل عيون المستهلك الغربي في حين تعاني بلداننا الكثير من الحرمان والفقر. وإذا كانت معادلات الاقتصاد والسوق هي التي تتحكم في هذه الطريقة من العرض والطلب، والانصياع لهذا الأسلوب من الضغوط، فإن السؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا يكون المنتج ضعيفاً إلى هذه الدرجة في مهب هذه المعادلات بحيث لا بدله أن يستجيب ولا بدله من أن لا يتجاوز السعر الفلاني لأنه يؤثر على الاقتصاد العالمي في حين يقف المستهلك كالتود الشامخ يستهزئ بنا أو - في أحسن التقدير - يغض الطرف عنا حينما تنهار الأسواق، وكأن الغربي هو الانسان فقط الذي يستحق أن يعيش وما سواه لا يهم إن مات أو جاع أو شبع؟!

المعادلة التي تتحكم فينا دون أن نؤثر فيها، ليست عادلة وبالتالي لا بد وأن يصار إلى تغييرها أو - في أحسن الحالات -

تجنب الخضوع لمفرداتها .

مرة أخرى نسأل : لماذا يدفع المواطن في البلد النفطي ثمن وقود شاحنة المواطن الغربي في حين تفرض حكومته عليه ضرائب باهظة ؟ ولماذا يجب أن تنتزع هذه الضرائب من ضلع مواطننا ؟ ولماذا نحن الذين يجب أن نحل مشكلة الوقود في أوروبا ؟ وأزمات الحكومات الغربية ؟

حينما بدأت احتجاجات سائقوا الشاحنات وامتدت في معظم الدول الغربية رفضت حكوماتها التنازل عن الضرائب التي تفرضها على الوقود في بلدانها وأصرت أيما إصرار على ذلك ، بل رفضت أيضاً استخدام مخزونها الاستراتيجية من النفط .. لا أدري لماذا يجب أن نؤمن للغرب استقراره ونعيش نحن (الدول النفطية) في قلق من غدٍ مجهول ومن مستقبل غير مضمون .

التاريخ يسجل هذه المشاهد واللقطات وينقلها بأمانة إلى الأجيال القادمة التي ستحكم على هذه البرهة الزمنية الواقعة في

القرنين العشرين والحادي والعشرين بأمانة أيضاً ، فإما أن يوصمنا بالخيانة للتفريط بالثروة ، أو أنه سيثني علينا لأننا هيئنا له من هذه الثروة سبل العيش الكريم . ومن هنا فإن اللقاء بين زعماء البلدان النفطية ليس مجرد بروتوكول ، وإنما يجب تفعيله لكي يخدم شعوب النفط بالدرجة الأولى ، ثم لا بأس أن يوفر للإنسان أينما كان في الشرق أو الغرب مقومات الرفاهية ، وهذا هو الأمل المعقود على القمة النفطية التي يجب أن تصبح هي قمة الأثرياء وهي قمة البلدان الصناعية خاصة وأنها قررت إعادة النظر في اجتماعاتها لتصبح دورية كل خمس سنوات بدلاً من تترك هكذا بلا تاريخ .

* * *

□ أميركا

**الانتقابات الاميركية .. نظام
المزيين ، بين المرية المزعومة
والديمقراطية المتفلفة**

يُعرف عن الولايات المتحدة ،
أو بعبارة أدق انها تعرّف نفسها

بأنها بلد الحريات والديمقراطية والانتخابات واحترام رأي الأمة ، وانها - ومن منطلق هذا التعريف - اعتبرت هذه المفاهيم مقاساً للأمم والدول الأخرى ، فتدعو تارة إليها وتهدد أخرى وتضرب ثالثة على ذنب عدم الالتزام بالديمقراطية ، ومن هذا الموقف بنت واشنطن تصورات عند الرأي العام حول الديمقراطية المزعومة التي تلتزم هي نفسها في الداخل الأميركي ، وهي ديمقراطية ينكشف زيفها حينما توضع على مشرحة الحقيقة حيث يكتشف الباحث حقائق مذهلة حينما يتوغل في تفاصيل الحياة الأميركية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وحتى الثقافية ، ذلك ما تدل عليه الأرقام التي لسنا الآن بصدد الخوض في جملة هذه التفاصيل ، إنما نختار من بينها مفردة الانتخابات لما لها من وقع ثقيل على مجمل هذه الحياة وتفاصيلها ، اضافة إلى تأثيراتها الخارجية خاصة وأن اميركا تمارس الآن دور «الراعي»

في الكثير من القضايا الدولية الحساسة ، ولكونها تحت في خطابها الخارجي على التزام الديمقراطية والحرية التي تدعيها - كما أشرنا سالفاً - ولكونها أيضاً تحتضن نصب الحرية الذي أصبح لها مجرد رمز لا أكثر . على خط الانتخابات الاميركية تثبت هذه الحقائق :

١ - قد يجهل الكثير فحوى المضمون الديمقراطي لعملية الانتخابات الرئاسية التي تجري في اميركا كل أربعة أعوام خصوصاً وأن الأضواء تسلط في نهاية المطاف على مرشحين ينتميان إلى الحزبين العريقين هما الجمهوري والديمقراطي وأن أحدهما لا بد وأن يحوز على المنصب ، فهل خلا هذا البلد من الأحزاب الأخرى وهو معروف عنه ببلد الحريات أم أن وراء الاكمة ما ورائها ؟

قد يستغرب البعض إذا علم أن واحدة من المشاكل التي تعاني منها الولايات المتحدة وبخاصة الرأي العام هناك هي عملية

انتخاب الرئيس التي تجري مرة كل أربع سنوات ، وان اميركا حاولت تعديل دستورها المتعلق بهذا الموضوع بالذات سبعة مرات دون جدوى ، إذ ان الرأي العام ما يزال يرى بأنه مُهمّش تقريباً في اختيار رئيسه وبالتالي في القرارات التي تتخذ في بلاده ، ولهذا تراه لا يشارك بكثافة في الانتخابات حيث تشير الاحصائيات إلى أن ٣٩٪ فقط من مجموع الناخبين شاركوا في انتخابات عام ١٩٩٦م ، أي أن أكثر من مائة مليون ناخب لم يحضروا صناديق الاقتراع !

الوصول إلى الرئاسة في اميركا يتم عبر طريقين ؛ ولابد للمرشح أن يفوز في الاقتراعيين لدخول البيت الأبيض : الاول ، طريق الانتخاب الشعبي المباشر ، والثاني : بطريق «المجمع الانتخابي» الذي لابد وأن يحصل المرشح على أغلبية اصواته ، وهذا الأخير هو عبارة عن المحصلة الأخيرة لعدد نواب وشيوخ كل ولاية اميركية من

الولايات الخمسين .

وهذا يعني أن لولاية نيويورك - على سبيل المثال - ٤٤ صوتاً انتخابياً ، لأن لها ٤٢ نائباً في مجلس النواب ونائبين اثنين في مجلس الشيوخ بعكس ولايات أخرى لا تتجاوز حصتها من أصوات المجمع ثلاثة أصوات فقط !

وثمة مشكلة قد تطفو هنا وحدثت بالفعل لأكثر من رئيس اميركي وهي : ماذا ستكون النتيجة لو تضاربت اصوات الشعب مع اصوات المجمع ، أي لو انتخب الشعب مرشحاً معيناً ، وانتخب المجمع آخر لرئاسة الدولة ؟

الحظ هنا مع الثاني ، أما آراء الأمة فتذهب إلى سلّة المهملات !! ، ولهذا الأمر دلالات خطيرة تضع الديمقراطية المزعومة أمام علامة استفهام كبيرة خصوصاً وأن التعديلات الدستورية السبعة انصبت على هذه الفقرة دون أن تجد لها حلاً يرضي الجمهور ويقيم الديمقراطية الحقيقية .

٢- أشرنا عابراً إلى أن التنافس ينتهي في خاتمة المطاف عند أحد الحزبين الديمقراطي والجمهوري، فهل هذا يعني غياب أحزاب أخرى على الساحة السياسية الأميركية ؟

من المفترض أن لا يكون كذلك في بلد مثل أميركا، غير أن الواقع ليس هكذا، فالحزبين الرئيسيين اللذين يتناوبان على السلطة هما الديمقراطي والجمهوري دون أن تكون للأحزاب الأخرى قدرة الخوض في الانتخابات، أو انها ستلاقي الفشل لو خاضتها لا لأنها أسوأ من هذين الحزبين، إنما لوجود عوامل أخرى تتدخل لتجعل من التركيبية السياسية في الولايات المتحدة بهذه الهيكلية، خذ على سبيل المثال وجود حزب الخضر ومرشحهم «رالف نادر» الذي تقدم بمستويات لا بأس بها في انتخابات هذا العام، وظهرت استطلاعات الرأي في وقت مبكر، أي قبل الانتخابات بشهور، إلى أنه يتمتع بشعبية تتجاوز نسبة الـ (١٥) بالمائة وأنه يتقدم بسرعة

ضد منافسيه الرئيسيين من الجمهوري والديمقراطي لمواقفه المغايرة، ولكن ما الذي يجعله في أسفل القائمة أو يطرده من ساحة المنافسة السياسية خصوصاً إذا كان يحمل المؤهلات اللازمة للرئاسة ؟

هنا تتدخل العوامل التي أشرنا إليها في تحديد الرئيس، وعلى رأسها الامبراطورية الاعلامية التي لا تتعامل على قدم المساواة مع المرشحين، حيث تتعامل بسوء مع من لا تريد ولا تعطي وقتاً مساوياً لجميعهم في التعريف ببرامجه وطرح مشاريعه، وتقف وراء هذا الاعلام المنحاز أموال الطبقة الثرية والرأسمالية التي تحرك الماكينة الدعائية بما يحقق لها مصالحها مستقبلاً، ولهذا يحتج نادر ويقول :

«لدينا في اميركا فئة ثرية متسلطة بالغة التطور، مقابل ديمقراطية غير متطورة، أي أن الكثير من المصالح الخاصة تستغل المرافق العامة من أجل

الريح» .

وبعد أن يكشف عن الديمقراطية الهزيلة ، يحذر من مستقبل النظام في الولايات المتحدة وفي تحذيره دلالات خطيرة تحتاج إلى مقال منفصل .

٣ - اللوبي الصهيوني اضافة إلى المال الذي اشرنا إليه قبل قليل ما تزال بصماته قوية على مراكز القرار الاميركية وبالتحديد في انتخاب الرئيس ، ولهذا لم تلاحظ لدى برامج كلا المرشحين في الانتخابات الأخيرة البرز غور وجورج بوش الابن اختلافاً رئيسياً في أساسيات القضايا ، كالنظام السياسي وفلسطين وما يسمى بالارهاب وتخصيص ميزانية باهضة للدفاع والعقوبات على الشعب العراقي وامثالها ، إنما انصب الاختلاف على بعض الأمور الهامشية كالأجهاض حيث عارضه بوش واعتبره غور حقاً من حقوق المرأة ، أما القضايا الكبرى فهي خطوط حمراء لا يمكن لا لبوش ولا غور أن

يتجاوزها وإلا لما وصلنا إلى المرحلة ما قبل الأخيرة لتسلم الرئاسة ، وهذه الخطوط وإن كانت استراتيجية بالنسبة للسياسي الاميركي إلا أنها متأتية من تأثيرات اللوبي الصهيوني وليس من المصلحة الحقيقية للشعب الاميركي . وبالتأكيد فإن هناك الكثير من الحريصين على مصلحة الشعب ولكن ثنائي المال واللوبي ينحيم عن الطريق ولا يسمح لهم بالتألق حتى وإن كانوا يتمتعون بشعبية واسعة ونفوذ كبير .

(الرئاسة الاميركية) تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث خصوصاً وانها قد توصلنا إلى نتيجة مفادها ان بعض الدول الافريقية أفضل تطبيقاً للديمقراطية من اميركا نفسها ، وتوصلنا إلى قناعة بأن الدخول إلى البيت الأبيض يشبه إلى حد ما النظام الوراثي الملكي بفارق أن الأول يعتمد إلى وراثة سياسية والثاني يستند على وراثة نسبية .

٢٥٦ رسالة القليلين

٢٥٦ رسالة القليلين

على مدى ثلاثة أيام عقد في مقر الأمم المتحدة في نيويورك قمة الألفية التي وصفت بأنها أكبر تجمع لقادة وزعماء وملوك ورؤساء الدول في العالم حيث ضمت ما لا يقل عن (١٥٠) زعيماً ناقشوا قدرة العالم على صنع السلام في القرن الجديد والدور الذي يمكن أن تؤديه المنظمة الدولية في هذا المضمار بعد أن كان سجل القرن المنصرم حافلاً بالمآسي والحروب والدمار والدماء.

ضخامة الحشد الرئاسي الذي اجتمع في مقر الأمم المتحدة كان الأكبر منذ تاريخ المنظمة الدولية، والأكثر تنوعاً بحيث ضم الخصوم والاصدقاء وقدامى الأعداء، لكن لغة الدبلوماسية فرضت على الجميع احترام المكان الذي كان من المفترض به أن يشع على العالم بأنوار السلام والوئام طيلة نصف القرن الماضي أو أكثر من قيام هذه

الهيئة الدولية؛ ولغة الدبلوماسية فرضت على الجميع احترام الجميع رغم الأحقاد الدفينة التي كانت تعتمل في صدور بعض القادة والزعماء تجاه آخرين لتباين في المواقف، ولغة الدبلوماسية أرغمت القوي على الجلوس مع الضعيف حتى وإن كانت قنابله وصواريخه قد اهديت حمماً إلى شعب الأخير ذلك أن ميدان السياسة هو غير ميدان المعركة، وسقف «الأمم المتحدة» هو غير سماء الدخان الأسود وطائرات الشبح والقنوقم، واللغة هنا تختلف عن اللغة هناك، والكلام هنا لا بد أن يدور حول السلام لا الحرب لأن هذا هو الأساس الذي قامت عليه المنظمة، حتى وإن كان الطريق إلى السلام يمر عبر الحروب أحياناً! لكن الآن - والحديث عن القمة الالفية - لا يمكن للكلام حتى أن يتطرق إلى هذا الجانب أو هذه الطريقة لتحقيق السلام، بل لا بد للغة الدبلوماسية أن تنتصر وأن تتبوأ مكانها في قاعة الاجتماعات

وهوامشها ، لأن من العيب أن
يجتمع العالم برؤسائه ثم ينفذ
دون أن يحقق ولو الحد الأدنى من
التفاهم الظاهري .

الهموم التي حملتها الأمم
المتحدة في قممها الالفية كانت
كبيرة جداً وذات طابع انساني
رغم أن الهموم التي طرحها
المشاركون لم تكن بمستوى
الحدث ، فلقد كانت الكلمات تكراراً
لخطابات سابقة أُلقيت على
مسمع الأمم أضيف إليها ما
استجد من الأحداث .

ان أشخاص «المسرح الكوني»
هم أنفسهم دون تغيير ، أي أن
الهموم حتى وأن عظمت فلا بد من
وجود همم رجال تعمل على
تفكيكها ، فإذا انطلقت هذه الهمم
من منطلقات الخير عم السلام
ربوع العالم ، وإذا كان الشر
منطلقاً فلا ينفع معها ألف قمة
وقمة ، ولا تحرك ساكناً مئات
المجلدات من البيانات المنمقة
التي تدعو إلى السلام وإلى نبذ
العنف و... الخ ، هذا إذا كان تفسير
المفاهيم سليماً ، أما إذا انقلب

التفسير لها وأصبح التفصيل فيها
يخضع للتأويلات والأهواء
فعندئذ تقع الطامة الكبرى ، خذ
على سبيل مثال الارهاب الذي
تريد كل دولة أن تفسره كما تشاء
وتقضي على خصومها بما
يسوغه لها تفسيرها للظاهر ؛
وعلى المستوى الدولي أيضاً
يخضع المفهوم لأكثر من تفسير
وعلى ضوء التفسير الأميركي
مثلاً تنطلق الصواريخ لتصيب
مصنعاً للدواء في السودان دون
أن تؤدي الأمم المتحدة أي دور
في الردع ودون أن يكون لها أي
قاموس - على الأقل - يرجع إليه
عند اختلاف الآراء في تفسير
واحدة من المفردات التي يتوقف
عليها مصير شعب .

دور الأمم المتحدة يُفهم من
خلال فاعليتها في الأحداث
المهمة ، ومن خلال استقلالها ،
ومن خلال حيادها ، ومن خلال
مواقفها ، وليس فقط حشد أكبر
عدد ممكن من القادة والزعماء في
العالم دون أن يكون له تأثير
في مجريات الساحة الدولية ،

وفي تفاصيل حياة الناس في كل مكان.

ولكي تفعل المنظمة هذا الدور المهم عليها أولاً أن تبدأ بنفسها عبر عملية اصلاح نادئ بها الكثير من المظلومين منذ قيامها على خلفية نتائج الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا الذي تغيرت الكثير من معالمه ، وتغير المنطق الذي تحقق للحلفاء بزوال الكثير من مكوناته ، فالمانيا أصبحت واحدة واليابان انضمت إلى المجموعة الدولية ، والكتلة الشرقية قد طواها النسيان ، والاتحاد السوفيتي أصبح في خبر كان ، ثم أن العالم ليس فقط عبارة عن تلك الدول التي دخلت الحرب العالمية الثانية ثم خسر بعضها وانتصر الآخر ، والعالم ليس وحدة اوربا ، فهناك خمس قارات والملايين من البشر ، أن في افريقيا أو آسيا أو غيرها ، ألا تستحق هذه الملايين أن يُنظر إليها بعين المساواة مع الشعوب التي استحوذت على خيارات الأمم المتحدة ، بل الا يحق

لها أن تطالب بدفع ضرر هذه المنظمة ان كان الخير لا يصل منها .

ان ضرورة الاصلاح تنبع من كون أن بعض القرارات الدولية قد تدمر انجازات شعب كامل ، وان بعضها قد يحفز على العدوان تحت ذريعة صد العدوان ، وان بعضها قد يمنع الحق عن أهله لمجرد (فيتو) من هذه الدولة أو تلك إلى خمس لا أكثر .

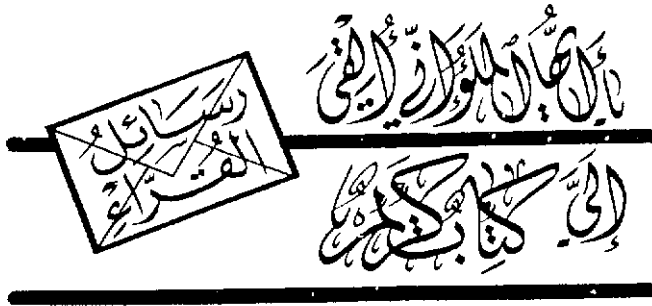
القمة الالفية ارادت أن تتخطى الحواجز الشائكة حول عنق الأمم المتحدة ، وأمينها العام حاول تصميم الفائدة المرجوة من المنظمة ، فانطلق بعيداً عن الهموم الاقليمية ووضع الاصبغ على الجرح ، فامتد على مساحة القارات ، وجاءت القرارات في تسع صفحات و ٣٢ بنداً تطرقت إلى السلام مثلما تطرقت إلى الفقر، وتحدثت عن الديمقراطية كما أشارت إلى التعليم وإلى حق المرأة وإلى خطورة مرض الايدز، وإلى المخدرات ، وجاءت القرارات

متفائلة وطموحة فدعت إلى تخفيض نسبة الفقر إلى النصف بحلول عام (٢٠١٥) وإلى ضمان اتمام مرحلة التعليم الابتدائي للأطفال في العام نفسه وإلى تحقيق تحسن كبير في حياة (١٠٠) مليون شخص على الأقل من سكان الأحياء الفقيرة ، وإلى ضمان وقف انتشار فيروس الإيدز ، وإلى مكافحة جميع أشكال العنف ضد المرأة ، والقضاء على الأفعال العنصرية وكراهية الأجانب المتزايدة في مجتمعات كثيرة .

وفي مجال التسليح دعا المؤتمر الألفي إلى القضاء على اسلحة الدمار الشامل وخاصة الاسلحة النووية ، كما حث بيان القمة على اتخاذ اجراءات متضافرة ضد الارهاب الدولي ، ومكافحة مشكلة المخدرات في العالم .

البيان بتفاصيله طموح كما قلنا وبراق ، ولا بد أن يكون كذلك وإلا من غير المعقول أن يجتمع أكبر عدد من زعماء العالم على مر

التاريخ ثم يكون البيان الصادر عن الاجتماع متهاقاً لا يمس مشاكل الشعوب في الصميم ، والمطلوب عملياً تفعيل هذه القرارات عبر آلية معينة نعتقد انها لا يكتب لها النجاح إذا بقيت العقليات التي تحكم العالم وتبسط قبضتها عليه هي نفسها الحاكمة حالياً وهي نفسها التي طرحت قبل عقد تقريباً مشروعاتها في النظام العالمي الجديد ثم تلاها مشروع العولمة وكلاهما يستبطن هيمنة من قوة واحدة على العالم ، وبالتالي فهي التي تتحكم برقاب المليارات الخمسة من بني البشر فتعطي بقدر ما يوفر لها العطاء من تحكيم مواقعها وتكريس سلطتها على رقاب الأمم ، والحال كهذه يبقى بيان القمة الالفية حبر على ورق لا يكتب له التنفيذ إلا حينما تبرهن منظمة الأمم المتحدة بأنها دولية حقاً ، وبأنها محايدة حقاً وانها تعمل لخدمة بني البشر بعيداً عن أفكار اربعينات وخمسينات القرن العشرين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«رسالة الثقلين» متميزة ببحوثها العلمية

أشكركم كثيراً على ما أرسلتموه لي من اعداد قيمة وممتازة من مجلة المؤمنين مجلة (رسالة الثقلين) التي تمتاز عن غيرها في جوانب عديدة أهمها البحوث العلمية والأخلاقية التي تتناولها هذه المجلة .

ندعو المولى جلت قدرته أن يوفقكم لخدمة الاسلام والمسلمين بحق خير خلقه وعيبة

علمه محمد وآل محمد عليهم السلام .

بصير الخليف

«فنلندا»

«رسالة الثقلين» مجلة المواضيع الاسلامية الهادفة

هذه أول رسالة أبعثها إليكم وذلك بعد أن قرأت أعداد مجلتكم الغالية (رسالة الثقلين) بشوق ولهفة فوجدتها تضم بين أسطرها الأسلوب الاسلامي الحقيقي والمواضيع الهادفة وكم

أستفدت منها لما فيها من معلومات وحقائق نادرة ولذلك وجدت نفسي أكتب لكم لتبعثوا لي من منشوراتكم ومطبوعاتكم وكتبكم القيمة مع المجلات التي تصدرونها وخاصة رسالة الثقلين لما فيها من الأهمية .

واني مسرور جداً لما تكتبون في مجلة رسالة الثقلين من مواضيع حرة في الأحداث التاريخية التي جرت على النبي ﷺ والأئمة الهداة ﷺ وقضايا معاصرة تهمنا ولكي نتخلص من دنس الأعداء الطامعين الذين يرومون غزواً ثقافياً للتخلص منا كمسلمون عامة وأتباع مدرسة أهل البيت ﷺ خاصة .

عباس مهدي عبد علي الربيعي
الجمهورية الإسلامية في إيران

أهني كتاب رسالة الثقلين وأجل
القائمين عليها لما فيها من
بحوث تحقيقية

كيف أعبّر عن العواطف القلبية

والانطباعات الهائلة من فؤادي على ما تسعون إليه من نشر رسالة أهل البيت ﷺ الغر الميامين وبث تراثهم والوعي الاسلامي إلى الآفاق المستجدة في رسالة الثقلين التي هي بحق مجلة اسلامية جامعة .

وان هذه المجلة لما قرأتها كدت أطير فرحاً وسروراً، فجذبت إليها قلبي وخليت خيالي إليها . وإنني أهني الكتاب الذين يساهمون في اعداد البحوث التحقيقية ، كما أجل السادة القائمين على إبراز المجلة في ثوب قشيب ومنظر رائع .

أن كاتب هذه السطور كطالب يحمل بين جنباته الحب والغرام لأهل البيت ﷺ ، وهو يريد المزيد من الاطلاع في التعرف بهم .

فالرجاء أن تتكرموا بارسال المجلة مساندةً وحرصاً منكم على نشر الثقافة الاسلامية . فجزاكم الله خيراً . وإنني ادعو الله أن يوفق العاملين في المجلة إلى

ما فيه الخير والصلاح للعالم الاسلامي ، وأن يمتعهم بنعمة الصحة .

هذا ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . والسلام عليكم ورحمة الله .

أخوكم في الله
عبد الرحيم روزي النوري غواري
باكستان

«رسالة الثقلين» تحتل مكانة

مرموقة في عالم المجلات

ان من الأعمال التي يقوم بها المجلس أجراء البحوث والدراسات العميقة في موضوعات عصرية مختلفة وتسليح العلماء بالأفكار والحجج لمواجهة الغزو الثقافي الذي تشنه الشيوعية والصهيونية ضد الدين الاسلامي ، ونشر الوعي الديني والتعليم الاسلامي . ولأنجاح مثل

هذه الأعمال - وكما تعرفون - ان يكون المشتغلون بها دائمي الارتباط بالصحف والمجلات الاسبوعية والشهرية والتي تصدر بالعربية من بلدان مختلفة ليكونوا مطلعين على كل حركة تجري في العالم من نواحي الدين والسياسة والأدب والاجتماع .

وقد علمنا أن مجلتكم الغراء تحتل مكانة مرموقة في عالم المجلات . فنحن واثقون بأنها تستطيع أن تساهم بدور كبير في تنشيط أعمال مجلس الدراسات والبحوث الاسلامية . فنرجو منكم أن تتخذوا الاجراءات اللازمة لارسال مجلتكم إلينا باستمرار ونحن قادرون - إن شاء الله - على أن نجعل فوائدها مجلتكم عامة بطريق ترجمة مقالاتها ومواردها إلى لغتنا المحلية .

محمد كوتشيرى
أمين مجلس الدراسات والبحوث
الاسلامية (الهند)

رسالة الثقليين مجلة اسلامية جامعة

قسمة الاشتراك

الاسم :
العنوان :
.....
المدينة :
البلد :
المهنة :
مدة الاشتراك :
ابتداءً من :
.....
عدد النسخ :

بلد
الاشتراك
الارسال
السني/ لمدة ٦ أشهر

□ الجمهورية الاسلامية ١٤٠٠٠ ٧٠٠٠
في ايران (بالريال)
□ باقي دول العالم بالدولار ٣٠ ١٥
الأميركي (أو مايعادلها)

□ يرافق اشتراكي □ صك □ صك بريدي □ حوالة بريدية
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقليين» إلى العنوان التالي :
□ الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص . ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥

الاشتراكات :

□ داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (١٤٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

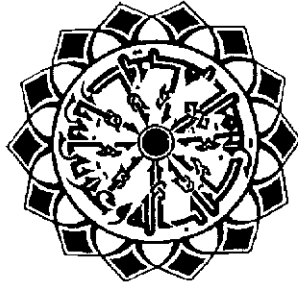
الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بنك ملی / شعبة ولايت - خيابان فلسطين جنوبي - رقم الحساب الجاري ٥٥٩١٦٠٠٦ (بالريال) مجلة رسالة الثقليين .

□ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركي أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي : (جميع فروع بنك ملی في خارج البلاد).

Bank Melli, Iran (55916006)

ثمن النسخة :

□ الجمهورية الاسلامية في ايران ٣٥٠٠ ريال □ العراق ١٠ دنانير □ لبنان ٢٥٠٠ ليرة □ سوريا ٥٠ ليرة
□ الاردن دينار واحد □ الكويت دينار واحد □ البحرين دينار واحد □ الامارات ١٥ درهما □ قطر ١٥ ريالا
□ عمان ريال واحد □ السعودية ٢٥ ريالا □ اليمن ٣٥ ريالا □ مصر ٧٥ قرشا □ ليبيا ١٠٠٠ درهم
□ السودان ١٠٠ جنيه □ تونس دينار واحد □ المغرب ١٥ درهما □ الجزائر ١٢ دينار .
□ وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها .



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol . 9, No. 34, July - Sep. 2000